

مقدمة

قبل أن تُخلق الجان من نار، وقبل أن يُجَبَل آدم من طين، في
زمان منسي أو مُتَنَاسِي، دهور فُقِدَت بين فصول الأعوام المديدة،
قِصَصٌ لم تُحَفَّر على الصَّخر أو تُخَطَّ على السطر، أسطورة
تُدوِّوَلت خلف الأبواب المغلقة، تحت دِثار الظلام، حكاها
الثقلان حتى باتت بلا حرف صدقٍ فيها ونسج كل فاه كذبتُهُ
عليها، فَحَكَم الصمت بأن الينُّ وحوش بلا أفئدة أو رحمة، فأين
كانت أفئدتكم حين أحرقتموننا؟ أين كانت رحمتكم حين اقتلعتم
جذورنا؟ أقدرنا أن نحاكم زوراً؟ في حين أن الحقيقة الوحيدة هي
أننا نبحث عما سَلِبَ منا!

مصطلحات

البين:

١- جيل الأولين:

الجيل الأول والأوحد الذي أزهروا من أورا، يتوحدون في تلون شعرهم، وشمهم، وأعينهم إما بالذهب أو الفضة.

٢- جيل الصفوة:

الأجيال التي أزهرت من أفئدة جيل الأولين، يتوحد تلون الشعر، والوشم إما بالذهب أو الفضة، أما العينان فخلاف لهما.

٣- الجيل الباسل:

من أزهروا في زمن الحرب ومن أجل الحرب، تتلون أعينهم بأي لون غير الذهب أو الفضة، يختلف لون الشعر والوشم أحدهما بالفضة والآخر بالذهب.

٤- الجيل الضال:

من أزهروا بعد احتراق أورا، لا يملكون صفات البين الآخرين ذواتها كما أنهم لا يملكون المعرفة.

٥- آفاريون/ آفاري

الصفوة من البين ممن تختارهم أورا ليكونوا رسلاً لها.

الجان

١- جيل الساقطين:

من هبط من السماء للأرض من الجان

٢- الجيل الأعظم:

الجيل الذي أنهى الحرب مع البنّ

٣- الجيل الفاسق:

الجان الذي ولد بعد الحرب ممن يعملون بالسحر

الفصل الأول

مُزهِرُونَ

في أعماق الصحراء...
نبض قلبٍ آخر نبضٍ لديه...
في أعماق الرمال...
قلبٌ أفقده الحب...
برآة الأيام...
فبكي... وأبكي معه الصحراء...
لتسمع أنين الرمال ليلاً...
مع هبوب الرياح...
لتحكي قصة قلب...
بكي حتى جعلها أرضاً عذراء...

أزيو

بين الكثبان الرملية، تحت أشعة الشمس الحارقة وحين أن
الرفيق الوحيد للصمت هو صوت الرمال تتزحزح تحت وطأة
قدميه، وجد أزيو نفسه يسأل السؤال ذاته الذي طرحه قبل خمسة
عشر عاماً، بينما اختبأ في ظلام تلك الزاوية مانعاً هرب صرخاته
وحتى أنفاسه خشية أن يتلعه الشيطان، ذلك السؤال ذاته يجول
في خاطره الآن إنما لسبب آخر تماماً: "أما أراه حقيقي أم هو من
نَسجِ خيالي؟"

ما كان لي طرح هذا السؤال قبل يومين فلم يأبه آنذاك إن كان ما
يراه هو قرية أم سراباً، لكن وبما أن بعيره الخائن والجبان تخلى
عنه هارباً من عاصفة رملية آخذاً معه كل متاع سيده بما في ذلك
الماء والطعام، فكل ما رغبه أزيو الآن هو ألا يكون هذا مجرد
سراب آخر، يكاد الظمأ يقضي عليه وكل ما يرجوه رشفة ماء،
ونزل يؤويه من برد الصحراء. بضع خطوات أخرى واستجيب
دعوته، لأي إله كان يدعوه حينها. ليس وكأنه يؤمن بوجود
أحدها، فأبي إله سيخلق تلك الشياطين سامحاً لها بالتجوال

بحرية وقتل البشر ليس بإله، لكن كل ما يهم الآن أنه وصل للقرية،
مرة أخرى أثبت أزيو أن الموت ليس غريمًا له.

مضى الغريب المتجول، داخل القرية والتي لم تكن مختلفة
عن أي أخرى سبق وخطاها، بشوارع ملئت بالباعة الصارخين من
كل حدب و صوب معلنين عن بضائعهم، ذلك يصرخ عن امتلاكه
أجود الأقمشة، آخر عن أفضل أنواع الفواكه، وآخرون يصرحون
أنهم يملكون أنقى أنواع الذهب، لطالما أحب أزيو الشوارع
المزدحمة بالأشخاص، أحب أصوات الصراخ، رائحة العطور
والأزهار فيها، شيء من هذه المشاهد أعاد له ذكريات من طفولته
السعيدة وهو يمسك يد والدته التي تقوده بين حشود المشترين
وصوتها الناعم يجادل الباعة في أسعارهم، كم اشتاق لعطرها،
صوتها، ابتسامتها، وصوت نبضات قلبها الدافئ، أو ما ظن أنه
قلبها، قبل أن يقوم ذلك المخلوق بانتزاعه من صدرها أمام
ناظره.

فيما كان أزيو يسبح في بحر الذكريات بغضب، حزن، وشوق،
إذا به يسمع صوت عود يَطْرَبُ له الفؤاد، ألحانه في منتهى الدقة،
القوة والرقّة، بدا أن عازفه لم يعزف لإرضاء المتجمهرين، ولكن

لجعل أحد ما يتراقص، وبالرغم من أنه لم يهتم يوماً بالعروض ولا بالراقصات، لكنَّ صوتاً ما داخل قلبه أخبره أن يتبع هذا اللحن، أن يتوجه حيث تجمهر البشر، خطوة تتبعها أخرى وجد أزيو فؤاده يرتعش للكائن الملائكي المتراقص.

فتاة لم تزد من العمر على عشرين عاماً ذات جسد حنطي اللون بالكاد اختبأ تحت ثيابها الزهرية الشفافة، بشعر طويل مجنون سرق لون الرمال الذهبية، وقد أهيف تمايل مع الموسيقى وكأنه واحد معها، بل هو الموسيقى كلها، تراقصت الفتاة مع قماش أبيض ربطت نهايته في رسغها الرقيق، وحمل كفاها الناعمان صنوجاً ضربت بهما تزامناً مع ضرب قدميها بالأرض محدثةً يقطاً^(١) ناعماً من الخلاخيل التي زينت كاحليها الدقيقين، وعندما استدارت سرقت آخر قطعة من فؤاده بعينيها اللوزتين الواسعتين وشفتيها الورديتين واللتين ارتسمتا بأجمل وأرق ابتسامة، إلا أن كل جمالها لم يكن كافياً لمنع عيني أزيو أن تبصرا ذلك الوشم الذي على نحرها، الوشم الذي أحرق روحه ورمى به في ذعر قديم لم يتخطه ولن يتخطاه يوماً، فقدر تلك الفتاة هو

(١) يقط: صوت الخلاخال

الموت على يد الوحوش، ما لم يحل هو دون ذلك. من خلف أزيو تعالى صوت صراخ شخص ما، مما أوقف العود عن العزف، الفتاة عن الرقص، وأحال أعين المتجمهرين نحو ذلك الصراخ.

“هذه الفتاة آثمة، لقد ارتكبت محرماً، بل أسوأ المحرمات، إنها تحمل على نحرها إثباتاً لجريمتها، هذا الوشم، إنها مُزهرّة، هذه الزهرة الموشومة دليل على أنها عقدت صفقة مع البنّ وحصلت على قلبه، فضلت المحرم على الموت، إنها جشعة، ووجودها هنا سيجلب كل أنواع اللعنات علينا، سيأتي جميع أنواع الوحوش هنا للحصول على هذا القلب الملعون”

كلمات العجوز جعلت الحاضرين يشهقون في صدمة وذعر، لطالما قصّ عليهم أسلافهم قصصاً عن أساطير البنّ المخيفين والأسوأ منهم هم أولئك المُزهررون الآثمون، الذين يفضلون أن يحملوا قلب وحش ينبض داخلهم عوضاً عن الموت، وعقاباً لهم على فعلتهم فإن البنّ ذاته الذي منحهم الحياة أول مرة، سيقدم إليهم منتزِعاً أفئدتهم. وفي ثوانٍ، بل أقل بدأ المتجمهرون بالهرب من الفتاة والعازف كأنها سقم عليهم الهرب منه كأن إثمها

سيطالهم لتكون حياتهم هي الثمن أيضاً، ولإبعاد تلك الأثمة قام أحد المتجمهرين بأخذ أكبر حجر وجدته على الأرض وقذف به صوب الفتاة أملاً أن يصيبها.

ركض أزيو مسرعاً نحوها أملاً أن يصد الحجر أو حتى أن يصاب عوضاً عنها، لكن عازف العود كان أسرع منه، في طرفه عين كان العازف يقف أمام الفتاة ممسكاً بالحجر في إحدى يديه بينما اليد الأخرى أحاطت بكتف الفتاة بقوة ولطف مانعاً أي أذى من أن يطالها، بدا أن العازف هو حارسها الشخصي وحماتها أمر فعله طيلة حياته. نظر أزيو للعازف، ورجاء صغير في قلبه أن يكون شقيقها، ففكرة أن تكون لرجل آخر وليست له أحرقتة، لكن كل شيء يصرخ أنهما لا يمتان بعضهما لبعض برابط دم. هو ذو شعر أحلك من ظلام الليل بطول يلامس بداية كتفيه، عينين حادتين بلون العشب الأخضر، وبالرغم من نُخل عظامه وجسده، إلا أنه بدا طويلاً وقويًا حيث إن الحجارة التي قُذفت كانت مسرعة ومع هذا فقد أوقفها بكل يسر.

فيما ظل المتجمهرون يلوذون بالفرار، أمسك العازف بالفتاة وحمل العود في اليد الأخرى وشقاً طريقهما عبر الحشود من دون

النظر للخلف أمر آخر يبدو أنهما فعلاه طيلة حياتهما، حاول أزيو أن يلحق بهما، ولكنهما أسرع منه، كما أن الفوضى التي عمّت في الأرجاء حالت دون الوصول إليهما. ظل أزيو يبحث عنهما لوقت طويل ذلك اليوم، ولكن في قرية كبيرة، ووجهة للكثير من المرتحلين إيجادهما لن يكون سهلاً، أثناء بحثه وجدت المشاعر المشؤومة مكانها في فؤاده، ذلك الخوف الكامن الذي لم يفارقه يوماً طيلة الخمسة عشر عاماً الماضية، كما اليأس وقلة الحيلة، من أعماق وجدانه وروحه رغب أزيو إنقاذ تلك الفتاة، ليس لأنها سرقت فؤاده، بل لأنه يرغب إثبات ذاته قبل كل شيء، ليثبت قدرته على حماية شخص ما من تلك الوحوش، ليثبت نضوجه، تغييره، وأن كُّل تلك السنوات التي قضاها في تعلم السحر وتجنيد أعظم وأقوى الجان لمساعدته لم تكن هباءً، عليه أن يثبت لنفسه وشريكه من بني الجان أنه قادر على الانتصار ضد عدوهما المشترك.

جلنار

ها هي شمس يوم آخر تغرب على جُلنار الهاربة من الجماهير الغاضبة، هي لم تكن غريبة عن هذا الاستهجان والبغضاء اللذان تلقتهما طيلة حياتها القصيرة، بل إن عائلتها وسكان قريتها السابقة والصغيرة نبذوا وجودها، ليحبسوا الطفلة ذات العامين في كوخ صغير ناءٍ بلا نوافذ أو ضوء، وباب موّصد خلفها لا يُفتح إلا مرة في الشهر حين يُحضّر لها أحد من القرية مؤونة طعام بالكاد تكفيها لشهر واحد، مصدر هذا الخوف هو الزهرة الموشومة على نحرها، لأنها مزهرة.

قصة جلنار مع الوشم والبنّ بدأت في زمن لم تولد فيه بعد، بدأت قبل التاريخ نفسه، بل هي قصة نُسجت قبل الإنس أنفسهم، تم تداول هذه القصة ملايين المرات ولعدة أجيال حتى لم يعد أحد يعلم ما الحقيقة منها من الخيال، ولكن ما يعلمه الجميع هو التالي: إن وجدَ البنّ، إن كانوا حقًا مخلوقات تدب على الأرض، فهم وحوش عريقة وجدت قبل الجان، بل هم أول من قطنَ الأرض. هذه المخلوقات أزلية ولا يستطيع أحد أن يقدر عمرها

الفعلي حيث إن أحدهم قد يحيا لسنوات لا تحصى، لا شيء إلا نار الجان قادرة على قتلهم، كما أنهم وحوش بلا رحمة، بل هم لا يعلمون ما معنى المشاعر، قلوب البنّ متحجرة بلا أحاسيس، أفئدتهم غير قادرة على الشعور، بالرغم من افتقارهم للإحساس لكن لديهم رغبة واحدة، بل هي رجاء، أمنية، ألا وهي أن تنبض أفئدتهم بالقليل من المشاعر أن يتذوقوا طعمها ولو لمرة. ومن أجل هذا الرجاء، يمنح البنّ قلبه لبشري على شفير الموت، لأن غريزة البقاء عند البشر قوية، وحين تخبو نبضات قلوبهم، يلفظون رجاء بآخر أنفاسهم، رجاء قوي مليء باليأس الفارغ كما الأمل المُعدي، ومع آخر زفرة، وحين يحول نظر ابن آدم للظلام يظهر بنّ متوحش أمامه واهباً له فؤاده، بما أن دماء البن قوية للغاية فهي قادرة على الجريان في عروقهم دون قلب يدفعها، إلا أن هذه الهبة تأتي بشرطين أولهما؛ أن يشاطر البشري مشاعره مع البنّ لمدة عشرين عاماً، ثانياً؛ يسترجع البنّ قلبه من البشري بعد انقضاء مدة العهد، ومن أجل تلك الغريزة ذاتها، الأمل واليأس ذواتهما يوافق البشر على هذه الصفقة التي ستمنحه عقدين من الزمن ليحيا، كلا الطرفين فائز في هذه الصفقة، البشر مستعدون للتضحية بحياتهم من أجل دقيقة إضافية في هذه الدنيا، والبنّ سيتذوقون لذة

المشاعر لأول مرة في حياتهم الطويلة والبائسة.
 لكن قصة جلنار مختلفة، هي لم تعقد أي صفقة، لم تتضرع
 من أجل حياتها، ذلك لأنها ولدت بقلب لا ينبض، فكانت دعوات
 والدتها من جلبت لها وحشها ومنحتها الحياة، ما أن منح البنّ
 فؤاده لها حتى ظهر وشم زهرة الجلنار على صدرها الصغير
 فتنفست أول أنفاسها، صارخة أولى صرخاتها في هذه الحياة،
 ولأجل هذا استظل جلنار دائماً وأبداً شاكرة لوالدتها ولوحشها،
 حتى وإن انتزع وجدانها بعد عام من الآن.

"جلنار، بات الجو بارداً أغلقي النافذة" أتى صوت شافير من
 خلفها، هو رفيقها، منقذها، والشخص الوحيد الذي يحبها بصدق
 ولا يهاب زهرتها، بل هو يمضي معها في هذه الرحلة التي اختارت
 خوضها، رحلة للبحث عن البنّ الذي منح قلبه لها، حتى وإن
 كانت كل الخطوات التي خلفها على الرمال مجرد وهم، هباء،
 حتى وإن لم يستجب البنّ لرجائها بمنحها وقتاً أطول، هي فقط
 لا تريد أن تندم.

"شافير هل تأذت يدك عندما أمسكت بالحجارة؟" خطت
 جلنار نحوه وأمسكت يده اليمنى لتنظر إن تأذى أم لا فهي تعلم

أنه لن يكون صادقاً معها، قلبت يده وعندما رأت أنها سليمة بلا خدش فيها، أطلقت تنهيدة راحة.

وضع شافير يده على رأسها وربت عليها بلطفه المعتاد، وكم أحببت هذا، لقد شعرت بأن لا أذى في العالم يمكن أن يطلها ما دام معها.

شافير: "لا بد أنك جائعة سأذهب للسوق لأحضر بعض الزاد، لا تفتحي هذا الباب لأي مخلوق، ولا تخرجي من الحجرة، من الجيد أنك بدلت ثيابك قبل الدخول إلى هنا فلم ير صاحب المنزل الزهرة، وإلا ما كنا لنجد مكاناً نمضي فيه الليلة."

"أنا آسفة أنت تعاني كل هذا فقط لأنك معي." مليء صوتها حزنًا على هذا الوجدان الذي أحبها وحماها من كل مكروه، وخوفًا من تلاشي دفاء شافير تاركًا إياها وحيدة في الظلام الذي تهابه. وقد علم مرافقها هذا الخوف الذي لا يفارقها وكما العادة قام بحبسها بين ذراعيه في حضن طويل، دافئ وخالٍ من أي وعود.

مع رحيل رفيقها بقيت جلنار بمفردها في الحجرة الصغيرة وأخذت من السرير في الميمنة فراشًا لها مستلقية عليه، ليرتحل عقلها في ذكريات قديمة.

الظلام، البرد، والجوع، هذه أولى ذكرياتها، لعلها ليست ذكريات، بل مشاعر، فهي كانت أصغر من أن تذكر أي شيء، بالرغم من هذا هنالك ذكرى وحيدة نقشت في عقلها، وهي ذلك الضوء الذي انتزع الظلام كما الوحدة، والفتى الذي حطم الباب الموصد سامحاً للضوء بالدخول، كان عمر جلنار خمسة أعوام عندما حطم شافير ذلك الباب وأخرجها للعالم. لم تعلم من هو، لماذا أخرجها؟ كيف يعلم قصة فؤادها؟ ولم تسأل يوماً، كل ما عرفته عنه آنذاك أنه أنقذها من العيش والموت في العدم والظلام. ولأنها قضت أيامها في معزل لم تعلم جلنار أي شيء، لم تُجد الكلام، ولم تفهم الأصوات التي كان يخرجها شافير، لطالما كانت جاهلة عن كل شيء، إلا أن رفيقها كان حليماً بها، شيئاً فشيئاً تحولت جلنار إلى بشرية بعد أن عاشت حياتها كلها مثل الدواب. في ذكرياتها التي لا تنضب أيضاً، رؤيتها راقصة لأول مرة، وتجمهر الأشخاص حولها هاتفين لها ولعازفها، لكن أكثر من هذا كله، تمكنت جلنار أن ترى الحياة تُشرق في عيني شافير، شيء لم تره طيلة الأشهر الستة التي رافقها فيها، ولأجل هذا قررت أن تتعلم الرقص وتمسي راقصة متجولة.

بالرغم من سعادتها مع رفيقها الذي أحبته من أعماق فؤادها،
إلا أن حياتهما لم تكن يسيرة، لا توجد قرية ترحب بوجود مزهرة
بينهم، فالجميع يهابون من أسطورة البنّ والوحوش التي قد تأتي
باحثة عن قلب البن الذي تحمله هي، أينما ذهبوا قوبلا بالرفض
كما الكره، وأحيانا كما اليوم اعتداء جسدي، عدا أن جلنار لم
تسمح لليأس والشجن أن يتسللا لوجدانها، ذلك لأن شافير
أخبرها، أن كل ما تشعر به هي، يشعر به البنّ وهذا بسبب رابطة
الزهرة والجذر التي بينهما، هي الزهرة وهو الجذر.

حتى بلغت جلنار العاشرة من عمرها لم تع تماما ما معنى أن
تحمل هذه الزهرة عليها، لم تفقه أن الموت هو النتيجة الحتمية
لها، بل هي لم تفقه الموت فعلا، إلى أن أتى يوم مرت فيه مع
شافير على قرية موبوءة، فرأت ولأول مرة جثة بشري، هذا الجسد
الشاحب الملقى على قارعة الطريق بلا أحد يواريه، وعينان قُلبتا
للخلف بلا حدقتين فيهما، وذلك الفاه المفتوح الذي سمح
للذباب أن يدخل ويخرج منه كيفما شاء، كما تلك الرائحة
الكريهة التي انبعثت حتى خارج القرية، مصيبا كل من يقترب
منها بالغثيان، الآن علمت جلنار أن للموت رائحة. هذا المشهد

أصابها بذعرٍ لم تعلمه من قبل، لتهاب الموت أكثر من الظلام،
وفي ذلك الذعر الذي ظلت تهوي فيه تمسكت بشافير، ناظرة إليه
بعينين تريان آخر بصيص أمل وحياة.

"أهذا هو الموت؟" سألت جلنار بصوت مرتعش وكل ضوء
تبقى في عينيها يسرق: "أهذه نهايتي أيضاً؟ هل سيأتي البنّ ويقتلني
هكذا؟ أأكون ملقاة في الطريق بلا أحد يدفني؟ هل ستكون
رائحتي هكذا؟" ظلت تسأل مضطربة ورأت فيما تسأل الوصب
واليأس لقلب شافير، الذي حملها بين ذراعيه وضمها له في
محاولة لتهدئتها، لكن هو الآخر كان يبكي على قسوة القدر الذي
كُتِبَ لهذه الطفلة.

"أنا لا أريد أن أموت، شافير أنقذني لا أريد أن أموت هكذا!!
هل يمكنني أن أطلب من البنّ أن يمنحني المزيد من الوقت؟
أيمكنني أن أطلب منه أن يدع هذا الفؤاد لي؟ هو مخلوق كريم،
لقد شاركني قلبه أول مرة، فلا بد أنه سيسمح لي بأن أحتفظ بهذا
الوجدان فترة أطول أليس كذلك؟ شافير دعنا نبحث عن البنّ
الخاص بي، دعنا نجد جذري لأطلب منه أن أحياء، أرجوك
لنبحث عنه..."

شافير لم ينطق بأي حرف وأحكم ذراعيه حول جلنار في ضمه
طويلة، ليحبيب: "أجل لنبحث عنه، أنا واثق أنه لن يمانع منحك
وجدانه."

من ذلك المنطلق بدأت رحلة جلنار وشافير في التنقل من قرية
لأخرى، مخلفين آثار أقدامهما على الكثبان الرملية، باحثين دون
أي بصيص أمل عن البنّ، لعل حياة جلنار لا تنتهي.

أزئو

بدأ اليأس يتسلل لقلب أزئو حين شارفت شمس اليوم على المغيب من دون أثر للفتاة أو عازفها، ليقرر استخدام تعويذة لاستدعاء الجان، لكنه يعلم جيداً أن هذا لن يكون في محل رضاه، فهو أحد أقدم الجان الموجودين، أقواهم، والوحيد الذي يشاركه كرهه للبن، ولهذا السبب ذاته كان عليه أن يستدعيه ليتمكن من تحديد موقع الفتاة لحمايتها من القدر المشؤوم الذي ينتظرها. توجه بضع خطوات خارج القرية ليلقي تعويذته بهدوء، خفية على الأنظار، فكما أن المزهرين مكروهون، فالسحرة مثله ليسوا محل ترحيب في القرى الصغيرة، ذلك لأنهم يتعاملون مع ما لا يراه أو يفقهه البشر هذا فضلاً عن جشع بعضهم ومكرهم، عندما وجد الساحر المكان المناسب بدأ طقوس الاستدعاء، أخرج من عتاده قطعة قماش سوداء وفتحها مخرجاً منها بلورة نقية شفافة ثم استل خنجراً صغيراً كان معلقاً في حزامه، وضع النصل على يده اليسرى ليحدث جرحاً صغيراً، ثم حمل البلورة بيده المصابة، فامتصت الدماء المناسبة، ليتحول لونها للقرمزي الداكن، لاحقاً وضع أزئو البلورة على الأرض ثم التقط غصناً طويلاً ملقى وبدأ برسم رموز الاستدعاء.

بدأ بدائرة صغيرة حول البلورة ثم كتب كلمتين مستخدماً لغة
السحر، ألا وهما اسما المتعاقدين من الثقليين "أزُيو" و "نامار".
أعاد رسم دائرة أخرى خارج الكتابة ومن هذه الدائرة رسم أربعة
مثلثات متقابلة، ليكتب أربع كلمات تصف نوع العقد بينهما،
"عهد" "موت" "محارب" "ساحر" لمرة ثالثة رسم دائرة أخرى
من منتصف المثلثات وهذه المرة كتب فيها صفة الجان "نار"
"دخان" "رماد" "غضب" أخيراً رسم دائرة رابعة كتب فيها صفات
الإنس "طين" "عظام" "دماء" "انتقام" أنهى هذا الرمز بدائرة من
الكتابة التي عليه أن يتلفظ بها لاحقاً. ما أن انتهى أزُيو من رسم
الرمز حتى خطا بضع خطوات للخلف، وأخذ شهيقاً طويلاً، فما
سيقوم به الآن يحتاج الكثير من القوة، بعد عدة ثوانٍ بدأ بتلاوة
طقوس الاستدعاء.
"حزن الأموات الثلاثة...
ألف رماد... ألف حكمة... ألف اسم...
تحرك تصبغ الرياح... توقف تُمسي الهلاك...
صوت المحاربين... فيضان الدم... همس الموت...
أنفاس الظلام... بلا ندم... أطلق العنان... لسخطك"

ما أن بدأ أزيو بالتلاوة حتى أضاءت البلورة بلون الدماء التي
سالت مغطية كل الرموز التي بدورها سطعت هي الأخرى ثم
اشتعلت كل كلمة وكل دائرة بنيران سوداء ما أن أنهى التلاوة حتى
ظهر من وسط تلك النيران دخان أسود أحلك من الليل ليتشكل
بهيئة الجان نامار، من بفضلله مُنِحَ جيله لقب الأعظم، ذو عينين
تلونتا بالدماء، هو لا يمتلك أي ملامح لهيئته، بدي كالدخان
الأسود المتناثر، كل هيئة له وجدت في عينيه الدمويتين، ومخالبه
السوداء الطويلة، حتى صوته العميق والغليظ كان يخرج بلا فاه،
ومع هذا هو من أشرس محاربي الجان"، والوحيد الذي وافق أن
يعقد صفقة مع أزيو لقتل البن.

نامار: "ما سبب استدعائي هذه المرة؟" بدا عليه عدم الرضا
من استدعاء البشري له
"لدينا بن لقتله"

"أهو بن صحيح؟ أم أحد تلك الجذور الفاسدة؟"



(1)

"صحيح" أجاب أزيو الإجابة التي يعرف أنها ستسعد نامار،
وقد أصاب فبالرغم من أن الجان لا يملك فاهًا إلا أن أزيو رأى
شريكة يكشر عن أنيابه ويظهر مخالفه في سعادة للمعركة القادمة.

نامار: "وأين هو غريمي؟"

"لم يُظهر عن نفسه بعد." إجابته أغضبت الجان حيث إنه نظر
لأزيو بنظرة دموية غاضبة.

"هل لك أن تفسر؟ ما سبب استدعائي إلى هنا إذا لم يوجد
أحد أقتله، أم تريدني أن أحررك من حياتك البائسة وأحيل جسدك
لرماذ؟!." هدد الجان شريكه بغضب وحقده فلا شيء يثير سخطه
أكثر من إخراجه من معزله الهادئ.

"اهدأ! فقتلي لن يجلب لك سوى البؤس، حاليًا أنا الوحيد
الذي يجلب لحياتك المريرة بعض السرور، فلا أحد من الإنس
يرغب بالتعاقد مع جان مشؤوم مثلك."

"بل أنا من لا أريد التعاقد مع إنس مغرورين وفاسدين، ولا
تنس أنك أنت من سيخسر إن استدعيتني بلا أسباب، فلا أحد من
الجان الجبناء مستعد للقتال معك في معركتك الخاسرة." قاطع
نامار أزيو بهذا الرد، والآخر لم يجب فهو يعلم أنه محق، لا جان

يرغب بالتعاقد مع ساحر لا يجلب لهم القرابين أو يخدمهم بالمقابل، وفضلاً عن ذلك يرغمهم على قتال مخلوقات متوحشة لا تفنى، هذا إضافة إلى ما ارتكبه أزيو بحقهم في الماضي، في هذه الحالة نامار هو الذي قبل به وليس العكس، لهذا لن يجادله أكثر.

أزيو: "حسنًا، وبالرغم من عدم وجود بنّ الآن، ولكن اليوم وجدت فتاة مزهرة، تلك الفتاة صغيرة في السن لا بد أن أمامها عامًا أو اثنين قبل أن يصل لها البنّ ويقتلها."

"إذا أنت تقترح أن نلازم الفتاة حتى يظهر الوحش ونجز

عنقه؟"

"أجل"

"وأين هي الفتاة؟"

"هذا ما استدعيتك من أجله، لقد فقدتها بين الحشود وأريدك أن تجدها." ما أن أنهى أزيو كلمته حتى رأى كرة نارية سوداء تتجه صوبه، مما جعله يرتمي أرضاً بسرعة ليتفادها، إلا أن النار أحرقت أطراف عباةته. نهض الساحر والغضب يعتريه، ليوجه نظرات غضب لنامار الذي لم يكن أقل سخطاً منه

أزيو: "أتحاول إحراقك بالنار؟ أفقدت عقلك؟" صرخ بأعلى

صوته.

"أنت من فقد عقله، أنسيت من أكون؟ أنا لست بجان صغير أو خادمك، أنا أسطورة تحكى قصص انتصاراته حتى هذا اليوم، أنا جان من الجيل الأعظم، أيها البشري الوضيع، سيأتك كلها لا تعادل طرفة عيني، أتستدعيني لأقوم بعمل خادم لك؟!!"

"حقاً التعامل معك منهك، ألا يكفي أنك لا ترحل معي وتفضل البقاء في عزلتك تحت زقورة إيتيميناكي*؟" معيداً قصص انتصاراتك الوهمية، أليديك أدنى فكرة كم هو منهك استدعاؤك من مكان بعيد؟ والآن لدينا فرصة حقيقة وأولى لقتل بنّ صحيح وأنت تريد إضاعتها لاعتقادك أنك أفضل من هذا العمل؟" أجاب أزيو بغضب. لطالما سارت علاقتهما بهذه الطريقة، هما يتشاحنان كلما التقيا، وبالرغم من صمتهما عن حقيقة واحدة ألا وهي أنهما في حاجة بعضهما لبعض، قتالهما وصراخهما الدائم إنما هو شكل من أشكال إفراغ غضبهما وبأسهما بعضهما على بعض فمهما أنكرا الأمر كل منهما رفيق الآخر الوحيد.

بعد الكثير من الصراخ، الشتم، والاحتقار وكما العادة خضع نامار لأوامر أزيو الذي لطالما عرف كيف يتعامل معه، توجه

(١) زقورة: معابد بابل

البشري حيث القرية يتبعه الجان الذي لا تبصره أعين الخليقة. ما أن وصلا لمتصف القرية حتى حلق نامار عدة أقدام من الأرض لينفث خيوطاً كثيفة من الدخان الأسود التي حلقت بشؤم في سماء القرية ثم تفرعت كالجذور في السماء سابحة بهدوء بين أزقة وشوارع القرية، باحثة عن المزهرة ذات رائحة الورد المميزة، التي يكتسبها المزهرون من قلوب البنّ ولا يشتمها البشر، عطر كالورد مخلوطاً بسحر من زمان سحيق، زمن تلون بسماء زرقاء صافية، أرض زرعت أزهاراً، كون مليء بخير الأنهار، وحفيف الأشجار، هذه الرائحة هي ذاتها من تجعل المزهرين هدفًا لكل بنّ فاسد الجذور، لأنها رائحة تعني الخلاص لهم.

ثوانٍ مضت وقف فيها أزيو بقلق ينتظر أن يقوده الجان حيث الفتاة، ثم نطق نامار بصوته الغليظ: "من هنا" تحرك في السماء يتبعه أزيو سيراً على الأقدام.

نامار: "أتعلم كم أشعر بالإحباط وأنا أقودك لمكان الفتاة؟"
سأل بنبرة مستهزئة

"ألديك فكرة أن ما وضعنا في هذا الوضع هو كبرياؤك الأحمق؟
لو أنك توافق على أخذي إلى هناك لما شعرت بالإحباط." أجاب أزيو بالاستهزاء ذاته.

"أنا الملقب بهمس الموت أقوم بنقل بشري..."

"وضيع، أعلم لا داعي لإعادتها على مسامعي كل مرة، أوه أيها المقاتل الجبار نامار، إن لي عظيم الشرف أن جاناً مثلك يقبل النظر إلى بشري مثلي، أيرضيك هذا؟" قاطع أزيو نامار، موقناً أن هذا يغضبه، فمثل طفل في العاشرة من عمره، الاستهزاء واستصغار أزيو يجلبان له الرضا، ولكي يرضيه علق بسخرية على مدى كون نامار عظيماً، وهو الأمر الذي أَرْضَى الجان بالرغم من السخرية الجلية في نبرة الآخر، مما جعله يطلق ضحكة صغيرة بالكاد تسمع.

بعد السير بين الشوارع ثم الأزقة، وفي الطرف الآخر للقرية وجدا النزل الذي يبحثان عنه، بدا النزل مهترئاً من الخارج وكأن المالك لم يهتم بالاعتناء به، فتح أزيو الباب ليجد أن داخل النزل يبدو مثل خارجه إن لم يكن أسوأ. كان بهو النزل ضيقاً وصغيراً، بالرغم من هذا تمكن السكارى من إيجاد مكان لوضع حصيرة في الأرض وجعلها ملتقى لسكرهم، كان البهو شبه مظلم لولا وجود قنديل واحد معلق في السقف ومما يبدو أن زيتته شارف على الانتهاء أيضاً.

خطا أزيو لداخل النزول وقبل أن يفتح فمه لقول أي شيء أتاه صوت عالٍ من زاوية ما في النزول.

"الليلة بخمس قطع نحاسية، وإن أردتني أن أرسل فتاة جميلة لحجرتك، فاعلم أن السعر سيرتفع لخمس عشرة قطعة نحاسية ولو امتلكت قطعة فضية فلن أمنحك الفرق"

"حجرة واحدة تكفي، ولا حاجة للفتيات فأنا لست مهتمًا." أجاب أزيو ثم قام بإخراج العملات المعدنية من حقيبة قماشية عُلِّقَتْ على حزام خصره وأسقطها أمام المالك، الذي هم بالتقاطها قبل أن يسرقها أحد السكارى. خطا الساحر حيث السلالم المؤدية للدور العلوي بادئًا بالصعود قاطعه صوت المالك مرة أخرى: "آخر حجرة في الممر" تجاهل أزيو الصوت مستمرًا في الصعود تابعًا نامار الذي كان يقوده لحجرة المزهرة.

تحرك الجان حيث قاده الدخان، حتى وصل إلى باب يقع إلى أقصى ميمنة السلالم، من دون أن ينتظر وصول البشري، عبر نامار من خلال الباب، لقد كان فضوله يحركه لمعرفة الشخص الذي سيقوده أخيرًا لغريمه. فيما كان يعبر الباب سمع صوت أزيو من خلفه يهمس: "توقف! ماذا تفعل؟"

لكن كما عادة الجان تجاهل أزيو، عابراً الباب بأي حال، وما
أن عبر منه حتى كاد أن يُصمَّ من صوت صراخ الفتاة التي ارتعبت
لدى رؤيته.

"آه، صحيح لأنها مزهرة تستطيع رؤيتي." فكر نامار وكأنه
يتهمك من نفسه.

جلنار

فيما كانت جلنار تحديق في الباب منتظرة صوت قرع شافير له، بدأ ظل أسود يتشكل على الباب، لقد كان الأمر لحظياً، بل كان أسرع من أن يفقهه عقلها، لأن الظل تحول لدخان، ثم إذا بعينين حمراوين تنظران مباشرة إليها عبر الدخان، شعرت بقلبها يعتصر شجنًا، ذعراً، وحنقاً ومن حيث لا تعلم أطلق فؤادها وفمها صرخة ألم، وكأن روحها وقلبها يتأججان ناراً ومن بين صراخها أطلقت رجاء أخيراً: "شافير!" ما أن صرخت اسمه إذ بحضن دافئ يحيط بها، وذراعين قويتين تحميانها، فجأة مثل السحر اختفى الألم كله، وكأنه لم يكن.

"جلنار! ما الأمر ما الذي يؤلمك؟ هل آذاك الرجل عند الباب؟" سأل شافير بذعر وخوف عميقين، كانت ذراعاه المحيطتان بها ترتعشان، ونبضات قلبه متسارعة لا تهدأ.

"هنالك جان يقف عند الباب، هيئته مخيفة للغاية، أول مرة أرى روحاً سوداء، مشؤومة مثله، عيناه تلونتا بالدم، بل يبدو أنه متعطش لدمائي." ارتعش صوتها بالرغم من أنها تشعر بالأمان

بوجود شافير معها، ولكن الصدمة لم تنزل بعد.

التفت شافير للحجرة فيما خبأ جلنار خلف ظهره، يده اليمنى ظلت ممسكة بها بينما يده اليسرى جالت داخل إحدى حقائب العناد التي وجدت على سرير جلنار، وظل يجوب داخلها باحثاً عن شيء ما، حتى أخرج منها عبوة خشبية أغلقت بإحكام.

"ما هذا؟ أيعتقد هذا البشري الضئيل أنه سيغلبني، بما يوجد داخل هذه العبوة؟ ربما يتوجب عليّ أن أحرق قليلاً من جسده، فهذا كفيل بجعله يتعلم ألا يقف أمام جان." قال الجان بصوت ساخر من هذا البشري الذي يتجرأ على الاعتقاد أنه قادر على إيذائه.

"لا تفعل لا تؤذه، لا تتجرأ على المساس بشعرة واحدة من رأسه." صرخت جلنار من خلف شافير، الذي أحكم قبضته على ذراعها قائلاً: "جلنار، لا تحرضيه على إيذائك، لا تتحدثني فحسب."

حلق الجان حيث شافير، وألصق ما يمكن اعتباره وجهه، قريباً من وجه البشري الذي لم يرمش بطرفه وظل مثبتاً عينيه حيث هما على العدم.

"انظروا لهذا هو حتى لا يراني، ماذا تظن نفسك قادراً على فعله لإيذائي؟" سخر الجان من شافير الذي لم يجب، "أنت حتى لا تسمعي، كم أنتم مغرورون أيها البشر." "أخبرتكم ألا تقترب منه ابتعد الآن!" عينا جلنار ملثتا غضباً من الجان وتحدياً له. في اللحظة التي انتهت فيها من الصراخ على الجان وقبل أن يتمكن من الرد عليها أتى صوت من خلف الباب: "تامار هذا يكفي، لا تفزع الفتاة أكثر." أظهر صاحب الصوت ذاته عندما عبر من الباب، وجه كل من جلنار وشافير نظرهما للرجل، هو في منتصف العقد الثاني من العمر، بكتفين عريضين وجسد نحيل طويل، شعره بني داكن لامس أطراف كتفيه، بعينين زرقاوين مثل سماء النهار، بدت ثياب الفتى مهذبة إلا بقليل من الأتربة عليها، ارتدى عباءة زرقاء داكنة طويلة وعلق على أحد كتفيه وشاحاً أبيض طرز بخيوط ذهبية بسيطة، وضع على خصره حزاماً جلدياً وعقده فوق العباءة والوشاح، وأخيراً اعتمر قلنسوة حمراء التفت حول رأسه بإحكام ودقة، وتزينت أذناه بحلقتين ذهبيتين وكذلك ساعده زينا بإسورتين ذهبيتين غليظتين.

بدا الفتى جميلاً للعين، ولكن لم يكن بمثل وسامة مرافقها، شعرت جلنار بقبضة شافير تضغط مجدداً على ذراعها، ليتحدث قائلاً: "من أنت؟ هل أنت سيد الجان الذي تتحدث عنه جلنار؟" بدا صوته غاضباً وحذراً.

"أعتذر إن أزعجناكما، ولكن نحن هنا للمساعدة، أنا ساحر من بابل اسمي أزيو، وأنا شريك هذا الجان واسمه نامار." تحدث الفتى بكل هدوء، إلا أن شافير لم يرخِ دفاعاته أو يفلت العبوة التي في يده.

شافير: "لم يطلب أحد مساعدتك، كما أننا لا نحتاجها."
أزيو: "كلي ثقة أنكما تحتاجان مساعدتنا وخاصة أن رفيقتك مزهرة."

وضعت جلنار يدها فوق وشمها الذي كان مختبئاً تحت ثيابها.

جلنار: "كيف علمت؟"

أزيو: "رأيتك ترقصين اليوم في ساحة القرية"

شافير: "إذا أنت ساحر آخر يريد أن يخلص جلنار من بؤسها ويمنحها موته رحيمة، ثم يتفاوض معي عن ثمن حياتها وقلب

البنّ داخلها، أليس كذلك؟"
امتلاً صوت شافير غضباً وازدراء.

نامار: "أرى أن هذا البشري لن يكون إلا سبباً للمشكلات،
دعني أقتله أو أحرقه، حينها يمكننا أن نتصرف مع الفتاة كيفما
شئنا."

صرخت جلنار التي لا تزال خلف شافير المحكم بقبضته على
ذراعها: "لا تجرؤ، أيها الجان!"

نامار ساخراً: "وإلا ماذا يا طفلة؟ أنت لا تستطيعين نزع لعنة
الموت من عليك، كيف تستطيعين حماية بشريّ مثله؟ في الحقيقة
أنت تقودينه للموت مع كل خطوة تخطوانها معاً."

أزبؤ صارخاً: "نامار أخبرتك أن تخرس."

كلمات الجان جعلت قلب جلنار يصاب بالوصب والأسى،
هو محق، لطالما علمت أنها تحكم على شافير بالموت ما دام
معها، فعندما يأتي اليوم الذي يُطالب فيه البنّ بقلبه، لا توجد قوة
في العالم تستطيع إيقافه، عدا أن شافير سيقا تل حتى الموت
لحمايتها، هي تعلم أن الطريقة الوحيدة ليصل البنّ لفؤادها هي
عبر جسده الممزقة.

شافير: "جلنار، أيًا ما يكن سبب خوفك من كلماته، فلا تستمعي لها، أنا هنا من أجلك، وسأظل دائماً معك، حتى آخر أنفاس روحي." كلماته منحتها الطمأنينة، ليس وكأن فكرة عجزها عن إنقاذه تلاشت، لكن وعندما يتعلق الأمر بشافير قررت جلنار منذ أمد بعيد أنها ستكون أنانية معه هو فقط، ومع هذا هي لا تريد الموت لرقيقها.

أزيو: "يبدو أن تجاربكما السابقة مع السحرة ليست جيدة، أنا لست هنا لأحصد وجدان الفتاة، بل لأحصد رأس البين الذي سيأتي لقلبه."

شافير: "أتظن أننا سنصدق هذا؟ لم يعد هنالك سحرة حاصدون للبين منذ قرون مضت، بل إن البشرية جمعاء توقفت عن الإيمان بوجود البين"

أزيو: "هذا صحيح، جميع البشر والجان تخلوا عن حصاد البين على حد سواء، لكنني تمرست على صيدهم، وعقدت صفقة مع أقوى وأقدم الجان الذين جابوا هذه الأرض، نامار هنا من الجان الذين قاتلوا البين، علّه آخر جان من جيله الذين عهدوا قتل البين، ثم إنه خاض نصيبه من المعارك ضدهم، وقصص انتصاراته..."

"توقف لا أريد سماع المزيد، أنا لا أبغي البنّ ميتاً، أنا شاكرة له لمنحي هذا الفؤاد، ولا أريد موته، لا أعلم ماذا تظنون عنهم، لكن وجدانه داخلي ينبض دفثاً مثل أشعة الشمس، هم ليسوا وحوشاً، ليس البنّ الخاص بي على أي حال. فإن كان عرضك هو الحفاظ على حياتي مقابل قتل البنّ فلن أوافق على هذا أبداً، أنا وشافير في رحلة البحث عنه، أريده أن يمنحني قليلاً من الوقت في هذه الحياة، أن يعيرني فؤاده لقليل من الوقت، وأعلم أن قلبه الدافئ سيوافق." تحدثت جلنار بصوت واضح، وقلب واثق.

أطلق نامار صوت ضحكات عالية وساخرة جعلت النزل كله يهتز في مكانه، حتى السكرارى في الدور السفلي انتفضوا من أماكنهم هارين للخارج، فأضحى النزل خالياً من البشر فيما بقي ثلاثة بشريين وجان واحد في حجرة صغيرة يقفون تحت ضوء قنديل متراقص.

نامار: "أتقولين قلب دافئ مثل أشعة الشمس؟ أتظنين أن البنّ سيمنحك فؤاده؟ أحقاً تعتقدين أنهم مخلوقات نبيلة؟" ظل الجان يضحك ساخراً بصوت عالٍ، وهذه المرة لم ينهره أزيو.

شعرت جلنار باليأس الأسود يعود ويتسلل لقلبها ويكاد يبتلعها، لولا أن شافير وضع كلتا يديه على أذنها، ورفع رأسها

لتلتقي أعينهما وهمس لها: "أنا هنا، لا تخافي، أنا هنا." هذه هي ذواتها الكلمات التي ظل يرددها لها طيلة السنوات التي عرفتة فيها، كلما شعرت بالخوف من الظلام، أو باليأس، وحتى عندما بكت ليلاً من كوابيسها، هذه الكلمات، هذه اللمسة الدافئة هي ذاتها لم تتغير ما زال تأثير شافير عليها قويًا كما كان إذا لم يكن أقوى.

أزيو: "جلنار لتحدث، هنالك الكثير مما لا تعرفينه." ملا صوتة شفقة.

نظر شافير بغضب إليه ليقول بحزم: "لا تدنسا عقلها، وجدانها، وروحها أكثر من هذا، لا تحطما إرادتها، ارحلا فحسب." أمسكت جلنار بيد شافير قائلة له بعينين صافيتين ويقين مقطوع: "الأمر لا يتعلق بي فحسب فأنت معي في هذا القدر، إن كانت هنالك أمور لا نعلمها يمكنها إنقاذ كلينا، ومنحنا سنوات إضافية للحياة معاً فأنا موافقة، لأنني أعلم أن هذا البنّ لن يصل لقلبي حتى تلفظ روحك آخر بريق فيها، وهذا ما لا أريده، لذلك دعنا نستمع لما يقوله، فقد رنا أوشك على الانتهاء."

أريو

جلس أزيو على أحد الفراشين، فيما جلست جلنار مع شافير على الآخر ملاصقة رفيقها، الأمر الذي تسبب لفؤاد الساحر بالألم، لم يعلم إذا كان ما يشعر في قلبه هو شفقة على مصيرها أو حبًا لها، إلا أنه ما كان ليبدل كل البغضاء، السخط، والحقد في وجدانه إلى الحب، ما هو بسامح بهذا، فلا يحق له أي شعور جميل، فقد حرمه على فؤاده.

شافير: "قل للجان أن يرحل أو يختفي فمظهره يخيف جلنار."
نظر أزيو لجلنار ووجد أنها متمسكة بقميص شافير ويدها ترتعشان.

"لماذا أنت خائفة هكذا؟ أعلم أنها ليست أول مرة ترين فيها جانًا، فأنت تملكين قلب بنّ بداخلك، هذا يعني أنك ترينهم منذ امتلكت هذا الفؤاد." سأها أريو

جلنار: "بالرغم من أني أراهم طيلة الوقت إلا أنها أول مرة أرى جانًا بهذه الهيئة، كما أنها أول مرة يتحدث فيها جان معي، هم

يتجاهلونني بشكل عام، ولا يقتربون مني"

نامار: "هذا لأنهم عار على معشر الجان، هم جنباء بلا فخر فيهم." صوت نامار امتزج بين الاستهزاء والسخط.

نبرته الحاقدة جعلت جلنار تحكم قبضتها على شافير وتلتصق به أكثر، أمر انتبه له أريو وأغضبه، قائلاً: "نامار هل لك أن تغير من هيئتك، أو أن تدخل داخل البلورة؟ فأنت تخيفها."

نامار: "أنا لن أغير من هيئتي التي أنا فخور بها، ونفسي الفخور ترفض الدخول في بلورٍ ذليل."

أريو: "إذا توجه للخارج." بدأ صبره ينفد، ولكنه لم يرد أن يُغضب نامار فيرحل لزقورة بابل، فهو بحاجة لوجوده معه وهذا بسبب ما قالته جلنار عن حقيقة عدم اقتراب أحد من الجان منها، وعلى ما يبدو فإن نامار يعي ما يعنيه هذا أيضاً، لذلك ومن دون افتعال المزيد من الشجار توجه للخارج، الأمر الذي أراح جلنار، لترخي قبضتها من على قميص شافير دون أن تتركه.

أريو: "أتعلمين ما معنى أن الجان لا يقتربون منك؟"

جلنار: "لا، هل لذلك سبب؟"

أريو: "هذا يعني أن البن الذي أعارك قلبه بالقرب منك."

بدت المفاجأة والصدمة على وجهها، لكنها اختلطت بقليل من السعادة.

جلنار: "لماذا تظن أن البنّ الخاص بي قريب منا؟ ولو كان هذا الأمر صحيحاً فلماذا لا يظهر نفسه، أو يأتي لأخذ قلبه؟"

أريو: "حتى انتهاء العقد، البنّ لن يظهر نفسه أو يأخذ قلبه، وهذا لأنه يريد أن يشعر، ما دام قلبه في جسدك، فأنتما تتشاطران عقد زهرة وجذر، كل ما تشعرين به ينقل له..."

"نحن نعلم هذا مسبقاً، لكن هذا لا يجيب على السؤال." قاطعه شافير

أريو: "حسناً سأشرح كل شيء بالتفصيل، الحقيقة لا أحد يعلم النشأة الأولى للبنّ، أو كيف يوجدون فهذا أمر لا يعلمه أحد، فهو من أسرار الجيل الأول من الجان والذين اندثروا منذ أمد طويل جداً، ولكن ما نعلمه هو أنهم يولدون بلا مشاعر، والطريقة الوحيد ليشعروا هي أن يشاطروا قلوبهم مع بشر، لكن لماذا مدة العقد عشرون عاماً بالتحديد، لماذا ليست قبل، أو بعد؟"

"هذا لأن البنّ، لا يستطيعون الوجود بلا قلب لوقت أطول من هذه المدة، ولو أن البنّ لم يستعد قلبه بعد فترة انتهاء العقد فهو يتحول لما يسمى بنّا فاسداً أو جذراً فاسداً." أتى صوت نامار من خلف الجدار.

جلنار: "ما معنى جَذِر فاسد؟"

أريو: "يعني أن البنّ يتحول لوحش، في الحقيقة الوحوش ليس لها وجود، هنالك بشر، جان، بنّ، نباتات، حيوانات، وكما قد يعتقد البعض آلهة، ولكن لا يوجد أصل للوحوش، كل هؤلاء الوحوش ما هم إلا بنّ لم يستطيعوا أن يتصلوا على أفئدتهم."

جلنار: "ما يمنعهم أن يتصلوا عليها؟"

أريو: "لأن البشر حامل القلب يمسي في مكان لا يعلمه البنّ؛ منذ البداية وعندما شاطر البنّ قلوبهم، لم يعلموا أن البشر ستهرب حاملة معهم أفئدتهم، وحين تبدأ غريزة البنّ الأصلية بالظهور مع اقتراب موعد استرجاع فؤاده، وحين يفشل في استرداده، فهو يتحول لوحش يفقد كل هيئة، عقل، وذكريات، فتلك الغريزة ذاتها تجعلهم يجوبون بلا هدى باحثين عن قلب بنّ يشبعون به غريزتهم، وهدفهم الأول يكون دائماً مزهراً مثلك، فهم وبالرغم

من قوتهم كوحوش إلا أنهم لا يضاهون قوة بين ما زال على هيئته.

جلنار: "هل سيتحول بين لو حش إذا لم أمنحه قلبه مجدداً؟ أنا لا أريد له أن يتألم، أنا..."

شافير: "أنت لا تريدين الموت أيضاً، كلانا لا يريد هلاكك، بين الذي منحك قلبه يعلم أن الأمر سينتهي بهذه الطريقة، لا يهمني ما الذي يحدث له، هو لا يستحق شفقة مني، كل ما يهمني هو أن تظلي حية، أنت لم تختاري هذه الصفقة، بل فرضت عليك، أنت لم تختاري هذا القدر القاسي، لكن هو فعل، ليس عليك دفع ثمن شيء لم تختاريه."

جلنار: "لماذا أنت غاضب هكذا؟ أتريدني أن أختار حياتي على حياة بين؟ هذا القلب ملك له منذ البداية، أنا من خالف القدر المكتوب لي، لم يكن قدري أن أحيأ منذ البداية، ولدت من دون قلب ينبض، هو أعارني حياته، هذا القلب حق له وليس لي"

كان غضب جلنار مساوياً لغضب رفيقها.

شافير: "إذاً ماذا؟ هل ستتخلين عن كل شيء الآن؟ هل ستفترشين الأرض فاتحة ذراعيك له عندما يأتي مطالباً بقلبه؟"

جلنار: "أجل أنا أريد أن أحيأ، أجل لا أريد الموت، لكن لا أرغب له الألم، أنت لا تفهم، هو ليس وحشاً، أستطيع الشعور بذلك في وجدانه، إنه مليء بألم سابق، أنتم تقولون إنهم وحوش بلا مشاعر، إلا أن هذا البينّ امتلك مشاعرَ في يوم ما، لا أعلم ما الذي جعل فؤاده يتحجر، عدا أني أستطيع الشعور بالكثير من الحب، السعادة، السلام، كذلك الحزن، الألم، والخوف عميقاً داخل هذا الفؤاد، هذه كانت مشاعره في يوم ما، ثم ماذا عن الأحلام التي أراها من حين لآخر؟"

"عن أي أحلام تتحدثين يا فتاة؟" قال نامار فيما عبر من خلال الجدار، مما جعل جلنار تتمسك بقميص شافير مجدداً، وتنظر إليه بخوف.

شافير: "أيها الساحر قل لجانك أن يرحل".
نامار: "لن أرحل حتى آخذ إجابتك". بدا على صوته قليل من القلق الذي حاول إخفاءه.

أريو: "كيف تعلم أن الجان هنا؟ أتراه؟" وجه سؤاله لشافير

الذي أجاب: "جلنار خائفة، فهذا يعني أنه هنا."

أريو: "لن يرحل حتى يسمع إجابتها."

شافير: "أست سيده؟ مره بالرحيل."

"أنا لست سيده." "هو ليس سيدي." أجاب كلُّ من نامار وأزُّو في الوقت ذاته، ليردِّف أزيُّو بعدها: "أرجو أن تخبرنا عن الأحلام التي تراودك"

جلنار: "هي ليست أحلاماً واضحة، بل تبدو مثل ومضات من ذكريات، أراها عبر عينيه، وأسمعها عبر أذنيه، أرى السماء زرقاء بقليل من الغيوم التي تخللتها أشعة الشمس، أرى أشجاراً ونباتات على مد البصر، أستطيع سماع صوت غناء جميل، صوت الأنهار، ومن حين لآخر أسمع صوتاً يقول: "شاو" أكثر ما يتردد في أحلامي هي تلك الشجرة الفريدة التي انتصفت الحياة بضخامتها المتطاولة بين الغيوم، وجذورها الغليظة الممتدة عميقاً داخل الأرض، بأوراق صيغت من الذهب والفضة، هذه الشجرة أحاطت نفسها بنهر أزرق جارٍ بين مدرجات الأرض، على ضفافه اجتمعت مخلوقات جميلة بكل لون أزهروا، إن رائحتها العطرة مألوفة لدرجة مؤلمة، ثم هنالك ذكريات حرب دموية، حيث تلونت الأرض بدماء خضراء زاكية، ولم تكن الدماء هي الوحيدة هناك أيضاً الكثير من الدخان والنار، لتختفي

الشمس خلفهما، أخيراً تلك الشجرة تحترق لرماد" ظلت دموع
جلنار تنساب بلطف وهي تقص أحلامها، وكأنها أحلام مسلووبة
من فؤادها، فيما اختار شافير إمساك إحدى يديها بصمت.

نظر أزيو لنامار متسائلاً: "أتعلم شيئاً عن هذا؟"

"لا" نطق نامار بهذه الكلمة ثم توجه للخارج من دون أي قتال
أو حتى طرح المزيد من الأسئلة.

بعد عدة دقائق هدأت فيها دموع جلنار قائلة: "هذه ذكريات
البنّ لا أعلم لماذا أراها، ولكن أعلم أنها له، لهذا لا أريد أن أسلبه
قلبه، لأنه سيفقد هذه الذكريات الجميلة أنا فقط لا أريد هذا."

شافير: "كيف تعرف أن البنّ قريب منا؟"

أزيو: "لأن الجان لا يقتربون من جلنار، هم يشعرون بوجود
البنّ قريباً منها، وكذلك شعر نامار، فهذا يظهر من رائحتها كما
قال، كلما كان البنّ قريباً كانت الرائحة أقوى، ولأن الجان لا
يريدون معركة مع البنّ في حال هددوا سلامة قلبه، فهم لا يقتربون
من المزهرة"

جلنار: "لماذا لم أراه؟ إذا كان قريباً كما تقول فلماذا لم أراه
حتى الآن؟"

أريو: "لعله يخفي نفسه جيداً، هو موجود قربك ليحمي قلبه من الضياع، وحرصاً من أن يفتك به مخلوق آخر."

شافير: "هل سبق وقمت بقتل بن من قبل؟"

جلنار: "شافير لا..."

قاطعها شافير قائلاً: "من أجلي، دعيني أجد إجابات لأسئلتني،

ليس وكان العقد سيتهي غداً." بدا على وجهه الألم والحزن، مما جعلها تصمت.

أريو: "سبق لي قتل جذور فاسدة بمساعدة نامار، عدا أن بن

جلنار قد يكون أول بن صحيح أقاتله."

شافير: "قلت إنك ساحر من بابل، سحر بابل من أقوى أنواع

السحر الموجود، أليس هذا صحيحاً؟"

أريو: "بلى، أنا أنتمي للجيل العاشر، من تلامذة السحر الذين

تلمذوا على هاروت وماروت، مما يجعل سحرنا أنقى أنواع

السحر."

شافير: "خذنا لزقورة بابل، قد نجد هنالك مخطوطة تخبرنا

كيف ننقذ كلاً من جلنار والبن، ولكن فقط إن لم ينطو هذا على

أي خطر على حياة جلنار."

أريو: "لا تفهم نيتي خطأ، وبالرغم من أنني أرغب إنقاذ جلنار، لكن إنقاذ البنّ ليس في قائمتي أو نيتي، لقد أقسمت منذ وقت طويل على قتل كل البنّ ولن أراجع عن هذا."

جلنار: "لماذا تقول هذا؟ لقد أخبرتك للتو أنه يملك مشاعر، ما الذي يدفعك لصيدهم وقتلهم بهذه الطريقة؟"

أريو: "لأن أحدهم انتزع فؤاد والدتي أمامي وأنا في الحادية عشرة، بالرغم مما تؤمنين به، سواء امتلكوا مشاعر أم لا، فهذا لن يغير واقع أن والدتي قُتِلت على يد أحدهم." بدا الألم والغضب على أريو، الذي حرك عينيه ليرى ردة فعل جلنار؛ لقد كانت دموعها تنساب على وجنتيها، ويدها على فاهها مانعة إياه من إصدار أي صوت.

شافير: "إذا والدتك كانت مزهرة، ولأنك لم تستطع إنقاذها تحاول الآن الانتقام من كل البنّ الموجودين؟"

كلمات شافير كانت مثل النار تنهش في قلب وروح أريو، هو لم يَنْسَ ولو للحظة واحدة ما حدث قبل خمسة عشر عاماً، والعجز الذي شعر به، تلك الذكريات ما زالت لم تنضب في فؤاده، هامسةً له من مكان مظلم بعيد أنه ضعيف لم يتمكن من

إنقاذ والدته من مخالب الوحش، هو الفتى الذي كان في الحادية عشرة، ما زال أزيو يرتعد حتى هذا اليوم في كل مرة يقترب فيها من خوض معركة مع بنّ، وذلك الخوف ذاته هو ما يدفعه للقتال والقتل، لأنه لا يريد أن يشعر بالعجز مجدداً، ليس مجدداً.

لكن في تلك اللحظة التي تحدث فيها شافير أطلق أزيو سراح السخط الذي يتآكل داخله مُنطلقاً صوب ذلك الرجل للكمه، لقد كره أزيو شافير منذ اللحظة التي رآه فيها، من يظن نفسه ليحكم عليه؟ ما الذي يعرفه عن ألم الخسارة؟ ما الذي يعرفه عن العجز؟ من منحه الحق ليحكم عليه وعلى ماضيه؟ كل تلك الأسئلة الحاقدة تطايرت في عقله، فأراد إخراسها بلكم شافير، لكن رغبته تبخرت عندما أمسك الآخر بقبضته كأنها قبضة طفل ضعيف، ثم قذف بـ أزيو نحو الجدار مما جعله يصطدم به بقوة أفقدته توازنه، لينهض بسرعة متجهاً نحو خصمه محاولاً لكمه مجدداً، إلا أن جلنار حالت دون ذلك، حيث وقفت بينهما قائلة: "لا تجرؤ! هو لي أنا ولا يحق لك إيذاؤه."

كلماتها أحرقت روح أزيو وحولت كل غضبه لخيبة أمل ويأس، شعر بقلبه يُرمى في صحراء قاحلة حيث كل ما فيها هو

سراب بلا مأوى لروحه المحتضرة.
أريو: "أنا أعتذر عن الهجوم عليك" قالها من بين أسنانه فهو لم يقلها لأنه يعترف بخطئه، انما أراد أن يكون منقذ جلنار من الموت، لم يرغب أن يتسبب هذا الشجار بطرده من الوجود معها لذلك ابتلع كبرياءه معتذراً.

التفتت جلنار نحو شافير قائلة: "اعتذر أنت أيضاً، لقد تخطيت حدودك"

شافير: "لم أقل إلا الحقيقة."
جلنار: "اعتذر"

أحال شافير بعينه بعيداً ثم قال بصوت غير مبالي: "لقد تخطيت حدودي، أعتذر"

جلنار: "إذا أردنا أن ننجح في سعينا فعليكما أن تتفقا."
شعر أريو بالسعادة وقليل من الأمل وإن كان كاذباً، بأن بقاءه مع جلنار سيطول.

من مكان بعيد صدى صوت وقع أقدام الأطفال الراكضين كما أصوات ضحكاتهم المتعالية، وقبضة صغيرة تمسك بدفء يد ناعمة، تقوده بخطوات صغيرة إلى أن تتوقف أمام ناصية لسلة ما، فتحدث صاحبة اليد الناعمة، ليرفع الفتى ناظره إليها، فتقابله بابتسامة حب، أغمض الفتى عينيه من أشعة الشمس الساطعة، ليحل الظلام عندما فتحهما مجدداً، وهو يُجَرِّبُ بقوة وسرعة نحو زاوية مظلمة في كوخ صغير، ثم تُلقِي عليه اليد الناعمة دثاراً أبيض، لتضع إصبعها الرقيق على شفثيها هامسة بكلمات قليلة، ثم أسدلت ما تبقى من الدثار فوق الفتى، ليسمع صوت الباب يتحطم بقوة هائلة من خلف المرأة التي ركضت مبتعدة عن حيث الفتى الواضع كلتا يديه فوق فاهه خوفاً من أن يسمعه الوحش، لقد كان طويلاً بجسد نحيل وذراعين طويلتين، بل إن مخالفه الطويلة هي ما جعلتهما تبدوان كذلك، كانت عيناه حمراوين، بشعر حريري فضي طويل، وجسد موشوم بأوراق نبات فضية عليها أزهرت أزهار زرقاء، صوت صرير أنياب الوحش كان عالياً كذلك صوت أنفاسه المتقطعة، توجهت اليدان الناعمتان ذواتهما نحو الوحش، طرف الفتى بعينه لثانية واحدة، ليفتحها على لون قرمزي ملاً الأرجاء، كما رائحة الدماء العطرة تناثرت

عبيراً زكيّاً، هنالك على الأرض رقدت المرأة، حيث صدرها
مثقوب، بالقرب منها ذلك الوحش يمد مخالبه لقلبها النابض
وعلى جسده تناثرت دماؤها، ليطلق صرخة، أفقدت الفتى وعيه،
فتح الفتى عينيه على الظلام مجدداً مذعوراً، وأنفاس ثقيلة لا تجد
مكانها داخل صدره، عدا في ذكراه، كانت الشمس تشع في الخارج
عندما فتح عينيه تلك الليلة.

"أجل إنه ذلك الكابوس مجدداً أريو، إنه مجرد كابوس"
تحدث مطمئناً ذاته، ما تزال ذكرى مقتل والدته تطارده.

"تامار هل أنت هنا؟" سأل أزيو بأنفاس متقطعة.

"ماذا تريد؟"

"ظننتك رحلت؟"

"لن أرحل ما دامت لي فرصة لقتل بنّ"

أريو: "ما رأيك فيما قالته جلنار؟"

"مجرد أحلام فارغة"

"أنت تخفي شيئاً ما؟"

نامار: "علاقتنا ليست مبنية على تبادل الحوار والمعلومات، أنت لديك ما تحتفظ به، كذلك أنا، كل ما علينا فعله هو قتل عدونا المشترك."

"لا أعلم قصدك، ليس لدي ما أخفيه، لكنني أعلم أنك تفعل، لذلك من الأفضل ألا تخون ثقتي، فكلانا لا يملك ما يخسره"

نامار: "بيدولي أن لديك ما تخسره الآن"

"ما قصدك بهذا؟"

"أستطيع رؤية الحياة تشع من عينيك، أنت لم تملكها من قبل، لهذا السبب قبلت مشاركتك، تذكر أيها البشري، طريقنا لا يحتوي على حياة أو مشاعر، أيًا يكن ما تشعر به نحو تلك الفتاة تخلص منه لأنه سيقتلك"

"تحدث كأنك تعلم، أراهن أن كل ما فعلته في حياتك التي امتدت آلاف السنوات هو القتال، ثم أخيراً الاعتزال في زقورة أور. في تلك اللحظة تهباً لـ أزيو أن نامار العظيم امتلك مشاعر لأنه لجزء من اللحظة غرقت عيناه بحزن العالم كله، إلا أنه تلاشى مجدداً، ليجيب نامار بطريقة المعتادة: "لن أضيع وقتي في شرح قيمة حياتي لبشري مثلك."

عبر الجان من خلال الجدار، لكن يبدو أن هنالك شيئاً ما يحدث معه، أمرٌ لم يستطع أزيو تمييزه، فهو ما زال على عادته، لكن شيئاً ما لا يبدو على صواب.

جلنار

استلقت جلنار على الحشائش تراقب السماء بصفائها الأزرق،
بلا غيوم تخفي سحرها، حفيف الأشجار كما الحشائش ملاء
البقاع لحنًا جميلًا، لتحمل الرياح معها عبيراً زكيًا، فاتنًا، كما
عزفت الأنهار لحن جريانها خريراً، علمت جلنار أنها في ذكريات
البنّ، سوى أن ذكرياته هذه المرة مختلفة، في العادة تأتي
كومضات، إلا أن هذه المرة كل شيء ساكن، وكأن الكون خلا
من سواها، كم تمنيت لو يشاركها شافير هذا الحلم الجميل، لعله
يعلم أن البنّ ليسوا وحوشًا.

بغثة تحول كل شيء لنار سوداء ملتهبة، تهاوت صرخات من
كل الأركان، وقفت جلنار بين الحشائش المحترقة، وأعمدة
الدخان التي ملأت السماء؛ لتلتفت لذلك المكان الذي توجد فيه
الشجرة فوجدت جذورها تحترق، كما أوراقها سالت ذائبة على
الأرض، من بين النيران التي ابتلعت الشجرة وقفت هيئة دخانية
مخيفة بعينين دمويتين، لا بل كانتا تبكيان دماً، بعيداً في الطرف
الآخر وقف مخلوق طويل، بعينين زمرديتين ضبابيتين، وشعر

غُزل بخيوط الذهب الطويلة، بجسد فاتح الاخضرار وشم بأوراق
الجلنار القرمزية، برزت بتلاتها على ذراعيه كما أوراق شجرة
فضية، نظر المخلوق إلى حيث جلنار ومن بين الدخان رآها،
بالرغم من بعد المسافة بينهما، إلا أن أعينهما التقت، من حيث
كان همس المخلوق شيئاً لها، ما أن سمعته حتى استيقظت من
نومها باكية.

"ما الأمر؟ كابوس آخر؟" كان هذا صوت شافير قادمًا من
السرير المجاور لها.

"كان حلمًا جميلًا، ثم تحول لنار أحرقت كل شيء، ومخلوق
بهية دخان مخيفة تشبه ذلك الجان نامار."

"هل رأيت في حلمك؟"

"لا أعلم إن كان هو أم لا، لقد بدا شبيهًا له، لكن لم يكن هو،
ذلك المخلوق، كان يبكي دمًا ألمًا على شيء ما."

"الجميع سيكون لفقدان عزيز ما" صوت شافير حمل في طياته
القليل من الحزن لفقدانه شيئًا ما هو الآخر.

"ماذا عنك؟ هل بكيت أيضًا؟ عندما فقدت شخصك العزيز."

سألت جلنار التي علمت قصة موت كل سكان قرية شافير

الصغيرة بسبب قطاع طرق هاجموا القرية، حينها كان شافير خارج القرية يرعى المواشي، ليعود على مشهد جثث دموية ملقاة في كل مكان. لا تعلم جلنار إذا كان هذا من حسن حظها، أم أن الحياة ألفت عليه قدرًا وحشيًا، إلا أنه لولا هذا القدر لما التقت طرفهما ولم قضت ما تبقى من حياتها في ذلك الظلام.

"لا أذكر، فقد حدث هذا منذ زمن بعيد جدًا، أبعد مما قد أتذكر، إلا أنني أذكر توقف قلبي عن النبض وغرقه في حفرة سوداء بلا نهاية أو ضوء، وذلك حتى التقت أقدارنا." أجابها شافير من دون أن يغير من نبرة صوته.

"قد يبدو ما أقوله وحشيًا وأنانيًا، غير أنني أشكر القدر الذي جعلك تأتي إلي وتنقذني." عنت جلنار كل حرف قالته وأكثر مشاعرها تجاه شافير لا يمكن أن توصف بكل كلمات وحروف العالم، هو عالمها كله، الحب والأمان الوحيدان اللذان تعرفهما، هي لا تعرف في الحياة عداها، حتى والدتها التي ألفت إليها بقدر ذي نهاية مشؤومة، توفيت قبل أن تعي جلنار أي شيء في الحياة، هي لا تذكر دفنها أو حنانها حتى، بالرغم من هذا تظل شاكرة لها ولهذا القلب.

شافير: "أنا أيضًا شاكرٌ للقدر، بالرغم من كونه قاسيًا، إلا أن

ذكرياته ستظل معنا."

"لماذا تتحدث وكأن نهاية قدرنا قادمة؟"

"على الأقل قدرك أنت سيستمر."

جلنار: "وماذا عنك؟"

"ما زلت لا أرى نهاية قدري."

"هل أنا موجودة في قدرك؟" سألت جلنار بقلق يخالج فؤادها،

خوفاً من أن يهجرها رفيقها بعد انتهاء رحلتها.

الآن ولأول مرة منذ بدأ حوارهما يلتف شافير ناظراً إليها،

وعينه تلونتا بنظرة شوق بدت مألوفة لها، كأنما رأتها في عيني

مخلوق آخر لم يكن هو، ثم أجابها: "أنت كل قدري يا جلنار،

دائماً وأبداً، حتى لو هلكت روحي، أنت أجمل أقداري."

هذه الكلمات كانت جديدة عليها، بدت كأغنية أبدية، أغنية

تردد صدى ألحانها في كل الكون، فلونت قلبها وروحها بشعور

دافئ جميل، بالرغم من أنها تحب شافير من أعماق فؤادها، غير

أن ما تشعر به الآن مختلف، كأنه برعم زهرة أزهرت في وجدانها،

وحيث إن الظلام أحاط بهما إلا أن قليلاً من ضوء القمر وجد

طريقه متسللاً عبر النافذة، ضارباً بضوئه وجه شافير الناظر إليها،

كم بدا جميلاً تحت هذا الضوء، وكأنها تراه لأول مرة، بل هو يبدو مثل الضوء الذي اخترق الظلام الذي أحاطها قبل زمن طويل، بدا لجلنار أن كل كيان شافير يشع أمامها كالقمر.

أشرقت شمس اليوم التالي، منذرة بيوم حار ورحلة طويلة منهكة، وحيث إن وجهتهم تكمن في بابل قرر المرتحلون أن يستعينوا بالإبل في هذه الرحلة الطويلة التي سيقضون معظمها في الصحراء، توجه أزيو لشراء الإبل، فيما أن مهمة جلنار وشافير تكمن في إعداد المؤونة اللازمة، ليكون مكان اللقاء عند بوابة القرية الجنوبية.

وصل كلٌّ من جلنار وشافير لمكان اللقاء، حيث كان أزيو بانتظارهما، علقوا أمتعتهم على الإبل متحققين من إحكامها، نظرت جلنار يميني ثم يسرى، لكنها لم تجد نامار.

"أين هو الجان؟ اسمه نامار أليس كذلك؟"

أخرج أزيو البلورة من قماش عُلق في خاصرته، قائلاً: "هنا، بهذه الطريقة لن شعري بالذعر من رؤيته."

كانت البلورة سوداء، عندما أمعنت جلنار النظر فيها اتضح لها أنها احتوت على دخان أسود داخلها.

"كيف يتمكن من الوجود هنا بجسده الكبير؟"

أريو: "لأن أساس تكوين الجان هو النار، لذلك يستطيعون تغيير أحجامهم."

جلنار: "لكنه دخان، كيف يكون من نار؟"

"هلا توقفتما عن الحديث عني؟ فهيتي لا تعنيكما."

أتى صوت نامار من داخل البلور ناهراً كلاً من جلنار وأريو عن الحديث أكثر عن هيئته.

ساد الصمت بعدها للحظات حتى كسره شافير بقوله: "جلنار

هيا بنا."

توجهت صوب شافير حيث وضع كلتا يديه على خصرها الدقيق ثم رفعها كما لو كانت ريشة بلا وزن لتجلس على ظهر البعير، لطالما علمت أن رفيقها قوي، لكن ومنذ ليلة البارحة باتت جلنار واعية لكل شيء يتعلق به، كأنها تراه بضوء جديد، إنه قوي بالرغم من أن جسده ليس مفتولاً مثل أريو، عدا أنه قوي لدرجة جعلته يقذفه للجدار بيسر، لربما امتلك شافير قوة تفوق معظم الرجال، حتى وهما معاً منذ سنوات إلا أن جلنار تعي لأول مرة كم هو وسيم، خاصة تحت ضوء القمر، كل حركة تحركها كل

حرف نطقه جعلت فؤادها يزهر أكثر، هي لا تعلم ما هذا الشعور
إلا أنه رائع وجميل بطريقة مخيفة.

اعتلى شافير البعير ليقعد خلفها، وحين نهض الجمل كادت
جلنار أن تقع أرضاً من حركته التي رمتها إلى الأمام، وقبل أن
تفقد التوازن أحاط شافير ذراعه حول خصرها، جاذباً إياها صوبه
لتشعر بدفء جسده على ظهرها، وقلبها يكاد يقفز خارج
جسدها: "آه، جلنار ما مشكلتك؟ هذه ليست أول مرة يلمسك
فيها شافير، لماذا لا تتحكمين بقلبك قليلاً!" أثبت ذاتها، عدا أن
مجرد تكرار اسمه، جعل قلبها ينبض بشكل جنوني، حركة الجمل
التالية رمت بها للخلف ليلتصق ظهرها بشافير أكثر،
"أيها الإله مردوخ*" "لتحم قلبي الضعيف، يبدو أنه سيحترق."
دعت جلنار، التي أبعدت جسدها عن رفيقها بعد أن نهضت
الإبل.

شافير: "هل أنت بخير؟"

(١) مردوخ: أحد الآلهة التي آمنت بها حضارة بابل

وهو الإله الخالق والحامي

أومات جلنار من دون أن تتحدث لأنها خشيت أن يبدو صوتها

غريباً.

"حسناً تمسكي جيداً، الآن ستبدأ رحلتنا لبابل،"

رفعت جلنار رأسها لتنظر للأفق المائل أمامها، هذه الرمال

اللامتناهية، الشمس الساطعة، والهميس*^(١) التي سترافقهم في

هذه الرحلة الطويلة.

"جلنار ليكن قلبك قويّاً، لا تيأسي، انظري للسماء ونجومها،

وامضي قدماً من أجل هذا القلب الذي بداخلك، كي لا يضمرك."

شجعت ذاتها، فيما خطت الإبل أولى خطواتها على الرمال نحو

وجهتهم.

(١) الهميس: صوت خف الجمل

أزيو

مضى أربعة عشر قمراً منذ بدأت رحلة أزيو مع جلنار، كل يوم كان مثل عذاب وجحيم، رؤيتها مع شافير طيلة الوقت، رؤيته يستجيب لكل طلباتها، بل هو يعلم ما تريد قبل أن تنطق به، كانا مثل الظل والجسد لا يفترقان، هي الجسد وهو الظل الممتد لها، لكنه لم يمانع هذا الألم، بل أزيو اختار هذا عوضاً عن ألم عدم رؤيتها.

لم يعلم كيف وجد هذان الاثنان معاً طيلة هذه السنوات، شافير قليل الكلمات، بصمت يلتف على خطواته كما أنفاسه، هو باردٌ كالموت، لكنه حمل دفء الشمس لجلنار.

وهي بضحكها التي ملأت أيامه بهجة، أسئلتها اللامتناهية، حواراتها الطويلة، كانت مثل لهيب النار، تجذب العثة إليها، وأزيو هو هذه العثة التي تبحث عن الضوء في الظلام فتقترب منها بالرغم من الحرارة والوصب، تظل تحلق صوب النار حتى تحترق، هو يعلم أنه سيحترق بنار جلنار يوماً ما.

خلال هذه الرحلة ظل نامار صامتاً في كل لحظات اليوم، بل إن أزيو أخرج البلورة عدة مرات فقط ليطمئن على وجوده داخلها وأنه لم يعد لزقورة بابل، هذا الصمت المطبق من نامار أقلقته، خاصة أنه لم ينسَ آخر حوار لهما، حين أخبره أن لديه ما يحتفظ به من معلومات، منذ تحدثت جلنار عن أحلامها، تبذل نامار.

بعد أن قُتلت والدته على يد بنّ، توجه أزيو لأحد معابد السحر، برفقة سابريل، رجل عبر به الصحراء، كان ماراً على القرية ووجد أزيو فاقداً الوعي داخل المنزل وجثة والدته مغطاة بالدماء، عندما فتح الصبي عينه بعد فاجعة تلك الليلة، كان ذلك الرجل أول من رأى، ليُعرّف عن ذاته باسم سابريل.

ولأن أحداً من سكان القرية لم يرغب بالاحتفاظ بطفل لامرأة مزهرة، أشفق الرحّالة عليه مصطحباً إياه في رحلته، بعد أن أتم القمر دورته في السماء، وصل الاثنان لمعبد في مدينة بابل، هنالك تخلى سابريل عنه، أخبره أن السحرة سيهتمون به، أن عليه أن يكبر ليكون رجلاً جيداً لينشئ أسرة له، مهما بكى أزيو، مهما صرخ طالباً منه أن يأخذه معه، لم يجد استجابة، لقد منَح سابريل ظهره له، راحلاً من غير عودة.

في بادئ الأمر عمل أزيو خادماً في المعبد، ثم مساعداً لأحد السحرة، غير أن ما جعل أزيو يمتهنُّ السحر هو حقيقة قدرته على رؤية الجان بوضوح كما التحدث إليهم بحرية، لم يعلم لماذا يراهم كما يرى البشر، لطالما أخبرته والدته ألا يذكر ذلك لأحد. ذات يوم فيما كان ينظف حجرة كبير السحرة انخرط بجدارل مع أحد الجان الذين سخرُوا منه ومن والدته المزهرة، الأمر الذي جعله ينكث بوعده لوالدته مظهراً قدرته، هذه القدرة استحوذت على انتباه كبير السحرة، ليحتضن أزيو تحت جناحيه معلماً إياه أساليب السحر، غير أنه لم يكن مهتماً بذلك فكل ما اهتم به هو سحر الصيادين، هذا السحر القوي الذي يقتل البين. لم يعلم أزيو أن الأمر ممكن حتى سمع عن جان موجود في أكبر معبد في أور، جان بسخط متأجج كالسعير، ذي قدرة كما خبرة في قتل البين، بعد الكثير من البحث وقراءة العديد من المطويات التي كُتبت على البردي، علم أزيو أن قتل البين ممكن إذا تعاقد بشري مع جان، بل إن قوة الجان تتضاعف إن عقَدَ صفقة مع بشري، وفي خفايا الظلام بدأ أزيو يتسلل ليلاً للمكتبة ويتعلم سحر صيد البين.

بعد خمس سنوات أصبح ساحراً قوياً، بعدد كبير من الجان

تحت خدمته، بالرغم من هذا لم يخبر أيًا من خَدَمِهِ برغبته في قتال
البنّ، لكن ظل يسأل كثيراً عن الجان الذي كان في زقورة أور،
ذلك الجان الذي لديه عدة ألقاب صوت المحاربين، فيضان
الدم، همس الموت، أنفاس الظلام، وغيرها الكثير، سمع أزيو أن
ذلك الجان أسطوري، أن قصص انتصاراته على البنّ تُحكى لهذا
اليوم، علم أيضاً أنه ذو كبرياء عظيم، كما أنه يكره البشر والجيل
الفاسق من الجان، إلا أن هذا لا يعادل بغضائه نحو البنّ. عقد
أزيو العزم ليقابل هذا الجان، لدى وصوله لزقورة أور^(١) العظيمة،
تفاجأ بالصرح العظيم الذي يقف أمامه، بأبراجه الستة التي
تطاولت بعضها فوق بعض عن الأرض، تسلق أزيو الدرجات
التي لا تكاد تنتهي والمؤدية لمدخل المعبد، ومع آخر درجة
ارتقاها وجد المدخل أمامه، قاد قدمه نحو بهو المعبد الفسيح،
سائلاً أحد الكهنة عن الجان العظيم الذي يسكن هذا الصرح،
سؤاله أصاب الكاهن بغضب وحيرة، ليجيبه: "لا تسكن
المخلوقات المشؤومة هذا الصرح النقي، ما كان الإله مردوخ



(١)

ليوافق على هذا. " أتبع هذا الجواب بطرد أزيو من المعبد على يد الحُرَّاس. بالطبع ما كان ليستسلم بهذه السهولة ليس بعد أن قطع شوطاً طويلاً، لذلك قرر أن يستعين بخدمه من الجان، لكن مساعدتهم تتطلب جمع القرابين لهم، مما سيجعله يقضي ثلاثة أيام بتجهيزها، وبعد أن غابت شمس اليوم الثالث وعندما انتصف القمر السماء، قدم أزيو أضحياته لكل خدَمِه من الجان، في الحقيقة خادم واحد كان سيكفي كي يتسلل للدخل، إلا لو صدقت الأقوال عن هذا الجان، فتقديم صفقة له دون حماية لن تكون فكرة حسنة.

تجمع كل الجان لدى سيدهم وكان عددهم مائة جان، جميعهم مستعدون لخدمته، من المستحيل أن يمتلك ساحر هذا العدد الكبير من الجان لأن هذا يعني استهلاك الكثير من الطاقة الروحية للساحر، سوى أن أزيو لم يعانِ مشكلة في ذلك أبداً، كان هذا أحد الأمور التي جعلت الكثير من الجان يقدمون خدماتهم له من أجل أصغر وأرخص القرابين، العقد بين الجان والبشر يمنح الجان الكثير من القوى التي يستمدونها من روح البشري، لذلك يموت السحرة صغاراً في السن، سبب آخر جعل الجان يجتمعون

لدى أزيو هذه الليلة دون غيرها، سيتاح لهم شرف مقابلة الجان
الأسطورية، الجان الذي قلب موازين الحرب مع البنّ، أسطورة
الجان نامار.

في دجى من الليل، وبغياب قمر يضيء السماء حمل الجان
أزيو منتقلين به داخل المعبد، حيث استخدم الجان خاصية التنقل
السريع طالبين منه إغلاق عينيه وفمه، كما أمره ألا يتنفس، كانت
سرعة الجان في التنقل مهولة مما قد يدفع الهواء لرثيه بقوة
فتنفجران، شعر الساحر بجسده يقذف بقوة من مكان لآخر دون
أن يصطدم بشيء، و صدره يحترق من نقص الهواء، شيئاً فشيئاً
بدأ وعي أزيو بتركه وقبل أن يفقد كامل وعيه سمع صوتاً غليظاً
وعميقاً يتحدث بغضب: "ما الذي أتى بحثالة الجان هنا؟"

أخيراً تنفس أزيو ملء رثيه، غير أن هذا لم يكفِ فأخذ لحظات
يحاول إدخال أكبر قدر من الهواء داخل صدره حتى عاد له وعيه
بالكامل، ليعاود سماع الصوت المشؤوم ذاته يصرخ: "ارحلوا
جميعاً من هنا قبل أن أذيقكم نار سخطي!"

كان حضور صاحب الصوت عارماً، لجعل جسد أزيو
يرتعش، لم يستطع أن يرى يده أمامه بسبب الظلام الحالِك، لكنه

شعر بحضور الجان العظيم في كل مكان حوله، لقد كان حضوره ساحقاً لروح أريو، مما جعل كل كيانه يصرخ له بأن يهرب، أن ينجو بحياته، إلا أنه ما كان ليفعل، ليس الآن، ليس بعد كل ما خاضه ليصل حيث هو اليوم، بالرغم من هالة القتل المرعبة المنبعثة من أسطورة الجان إلا أنها لم تكن قريبة حتى من تلك التي شعر بها عندما ظهر البين قاتلاً والدته. كل تلك المشاعر والأفكار، التي تصارعت داخله لم تكن إلا لأجزاء من اللحظة، إلا أنها بدت مثل الدهر بالنسبة له، كل شيء يتوقف عليه الآن، كل خيارات حياته السابقة والقادمة تتوقف عند هذه اللحظة، أخذ أزيو نفساً عميقاً ثم حاول أن يقف منتصباً مانعاً جسده من الارتعاش خوفاً، قائلاً بصوت ثابت قدر المستطاع: "نار"

ليشعل الجان لهيبهم استجابة لأوامره، وهناك كان ذلك المخلوق الذي لا يشبه الجان في شيء، هو شيء آخر أكثر شؤماً وخبثاً، لا عجب أن حضوره مرعب. طيلة حياته رافقت رؤية الجان أريو، والآن هو سيد لمئة منهم، بالرغم من هيئاتهم العديدة والقيحة، منهم من يملك العديد من القرون آخرون تغطت أجسادهم بالحرشف، أو الأشواك، غيرهم طويل، آخرون قصار،

بعضهم امتلك آلاف الأسنان داخل أفواههم الغريبة، غيرهم امتلك حوافر، جميعهم بالرغم من قباحتهم كانوا بهيئات واضحة، سوى هذا الجان، ذي الهيئة الدخانية، كان يطفو على الأرض، عندما أمعن أريو النظر وجده مكبلاً بسلاسل من فضة غليظة، وعلقت على هذه السلاسل قصاصات جلد كتبت عليها لغة السحر بالدماء السوداء، أخيراً رسمت على الأرض تحت الجان طلاسماً والتي أحيط حولها بالبلورات الخضراء.

أريو: "هل أنت أسطورة الجان نامار سليل عشيرة عنقال؟"

"لديك الكثير من الجرأة لتتق بهذا الاسم أيها البشري

الوضيع، ألدك فكرة عن وزن هذا الاسم؟"

"أجل لهذا أتيت هنا."

تأمل الجان أريو بعينين دمويتين، كادتا تسرقان روحه البشرية،

بالرغم من الذعر الذي تملك الساحر إلا أنه لم يتزعزع من

موضعه، عم الصمت لحظات بدت كأبدية، ليحطمه الجان

الأسير بقوله: "أنت غريب أيها البشري، لست كسائر البشر،

هنالك شيء مختلف بك، ما هو؟"

"لا أعلم ما الذي تتحدث عنه"

بالتأكيد لقد علم أزيو أنه مختلف منذ طفولته حقيقة أنه يرى ما لا يراه أي بشري يقول الكثير عنه.

الجان: "لم أقتل بشريًا منذ وقت طويل، أقبل لأحرق هذه الروح التي تتوق لقتلها."

"لست أنوي الموت هنا." "حقًا! ومع هذا أنت هنا تسأل عن أسطورة الجان بكل

غطرسة، أظننت أن هذه الأغلال قادرة على حمايتك مني؟" "أنا هنا لعقد صفقة معك؟"

"ما الذي يستطيع بشري منحي إياه؟" سأل الجان باستهزاء

واضح

"ما يتمناه فؤادك..."

قبل أن ينهي أزيو جملته دوى صوت ضحكات الجان العظيم في المكان مما جعل الزقورة كلها تهتز في مكانها، ومعها تجلجل صوت الأغلال التي أحكمت الجان في مكانه.

"وما الذي يعرفه بشري مثلك عمًا يتمناه فؤاد عظيم مثلي؟"

ارتعش جسد أزيو كله، وارتفع صوت الصرخات في داخله

والتي تأمره بالنجاة، غير أنه ما كان ليخضع لها، أتى صوت الجان مجدداً ساخراً: "انظر إليك أنت ترتعد مثل فرخ عصفور صغير أضاع والدته."

مع هذه الكلمات تلاشى خوف أزيو متحولاً لغضب، أجل هو كان طفلاً يختبئ في الزاوية المظلمة يوماً ما، لكن ليس اليوم، هو هنا اليوم إثباتاً لنفسه، هو لم يعد ذلك الطفل الصغير الذي يحتاج للحماية، لن يختبئ في الظلام مجدداً، ليس بعد الآن، تحولت نظرة الخوف في أزيو لشيء آخر، ناظراً للجان الذي صمت في لحظة التقت أعينهما، ليسأل بصوت كالهَمْس الحذر: "ماذا تكون أيها البشري؟ أنت مختلف"

ليجيبه أريو: "أنا هنا لأغدو صائد بنّ وأتيت لمنحك فرصة لتكون شريك في رحلة الانتقام هذه."

ما أن صرح أزيو علناً ولأول مرة عن رغبته حتى تعالت أصوات الجان المئة في المكان.

"هل فقدت عقلك؟"

"لقد خدعتنا"

"لم نسمع عن هذا الأمر من قبل"

"أنا لم أتعاقد معك لأقتل البين"

"لماذا قد أضحي بحياتي من أجل رغبتك؟"

تدفق غضب الجان كما معارضتهم على هذا الأمر الذي يعد ضرباً من الجنون، وفي حين أن الصرخات ملأت المكان إلا أن الجان وأزبؤ وقفوا وجهاً لوجه في صمت، من دون أن يتزع أحدهما عينه عن الآخر، كل تلك الأصوات لم تعن شيئاً، بعد لحظات معدودة صرخ الجان العظيم بأعلى صوته: "صمتاً"

مما جعل كل الجان يخرسون في نفس واحد، في حين أن أزبؤ لم يطرف بعينه حتى، ساد الصمت للحظات قصيرة أخرى استمر فيها أزبؤ بالنظر لعيني غريمه والذي نطق أخيراً قائلاً: "أنا نامار سليل عشيرة عنقال العريقة، أنا أسطورة الجان، أنا صوت المحاربين، أنا فيضان الدم، أنا همس الموت، وأنا أنفاس الظلام، لقد عشت أعواماً طويلاً حتى أني فقدت العد فيها، أنا من بسبب جبروتي مُنح جيلي لقب الأعظم، كل هؤلاء الجان من الجيل الفاسق، فاسدون، مدللون، لا يملكون ذرة فخر ولا كبرياء لتاريخهم القديم، ولا لتضحياتنا، لم تعد المهمة التي أمرنا بفعلها من سلفنا تعني لهم شيئاً، كل ما يريدونه هو قربان يشبع جشعهم،

إِنْ كُنْتَ جَادًّا فِي الْقِتَالِ فَلَنْ يَتَّبِعَكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ. " امتلاً صوت نأمار
بالاحتقار والاستصغار لذوي جنسه، الأمر الذي لم يلق
استحسانهم.

"أنا مستعد لهذا، يكفي أن تكون الصفقة بيننا نحن الاثنين."
شعر أزيو بغضب شديد صادر من الجان الذين رافقوه هم
يتعطشون لدمائه.

"ما اسمك أيها البشري؟"

"أنا أزيو بن هيلما."

"لا يهمني سبب سعيك للصيد، كما لا يهمني أي شيء آخر
عندك يكفي اسمك لعقد صفقة بيننا، الآن انزع هذه الأغلال
عني."

ما أن خطا أزيو أولى خطواته، حتى انطلق مئة من الجان صوبه
لقتله، هم كانوا ليقتلوه على أن يحملوا لقب الجان الذين تخلى
عنهم سيدهم، فهذا لن يجعل أي ساحر آخر يُسخرهم لخدمته،
كما أن الأنباء تتناقل بسرعة بين الجان، في أفضل حال يستطيعون
قتله هنا، محملين الذنب على نأمار، أكذوبة يمكن تصديقها ففي
نهاية الأمر هو أسطورة الجان، لن يكون مئة جان قادرين على

ردعه ولو حاولوا.

لم يكن الجان أذكى من أزيو الذي هيا نفسه لأي طارئ، حيث خلط بعض الفضة في نسيج ثيابه، ذلك لأن الفضة قادرة على إيذاء الجان وقتلهم إن لزم الأمر، لم يكتف بهذا لقد أمر حدادا أن يصنع له أسلحة حديدية ممزوجة بالفضة، بالرغم من أن أزيو ساحر إلا أنه لم يكتف بتعلم السحر فقط خلال نشأته، حيث تدرب على استخدام السلاح من أحد حراس معبد السحر، علم أنه لا يمكنه التغلب على البن بالاعتماد على قوة الجان فقط، درس أزيو كل خطوة أمامه مستبقاً من حوله بخطوة على الأقل. وعندما هاجمه الجان وجدوا منه خصماً لا يستهان به، لقد استخدم سيفه بمهارة فيما ألقى تعويذة ليتحكم بعقول عشرة من أقوى الجان فجعلهم يحرقون بني جنسهم ويقتلونهم تحت أمره، بين سيفه الذي شق أجساد كما أعناق الجان بمهارة عالية، والتعويذة التي استخدمها تمكن أزيو من قتل خمسين من الجان خلال دقائق، بينما ظل نامار ثابتاً في مكانه دون حراك، كان الجان يتكتلون على البشري الذي وجد صعوبة في مجاراتهم جميعاً خاصة أنه فقد سبعة من الجان الذين تحكّم بهم، وقد استنزف الكثير من قوته فلا يستطيع

التحكم بالمزيد منهم، وفي غفلة منه تسلل جان من خلفه وكاد أن يصيب قلبه بمقتل لولا أن أزيو تدارك الموقف مبتعداً عنه في آخر لحظة، ليصاب في كتفه إصابة بليغة جعلته يفقد التوازن، كاد الساحر أن يفقد وعيه من شدة الألم الذي أصابه، إلا أنه حاول تجاهل الأمر مستمراً في القتال، هو لا يستطيع الموت هنا؛ مجدداً وعلى حين غرة أتى الجان ليقتله، علم الساحر أن نهايته قد آتت حينها أغمض عينيه علّه يرى صورة والدته قبل موته، ليشعر أزيو بحرارة نارٍ قريبة من وجهه لكنها لم تصبه، فتح عينيه بسرعة ليجد خيطاً حاداً ودقيقاً من الدخان الأسود يخترق جسد الجان الذي يهاجمه محيلاً إياه للهب الموت.

"أخبرتكَ أن الأغلال لا تقيديني."

أتى صوت من خلف الجان الذي تلاشى جسده المحترق مظهرًا خلفه نمار حراً من أغلاله.

"لماذا لم تساعد من قبل؟ كدت أن أقتل." صرخ أزيو سخطاً

"كن شاكرًا أن عظيمًا مثلي يعتقد أن وجودك ليس تافهًا بما

فيه الكفاية ليدعك تموت، يا فتى اعلم أني سأستغلك حتى

الممات من أجل الحصول على مرادي"

تبسم أزيو رغم الألم والإرهاق قائلاً: "أجل لنستغل بعضنا بعضاً للنهاية."

منذ ذلك اليوم وقبل عشرة أعوام، بدأت رحلة أزيو ونامار معاً، هما الشريكان المثاليان، لم يسألا بعضهما بعضاً عن أي شيء، لم يتحاورا، هما فقط يقومان بقتل البنّ الفاسد، ليعود بعدها نامار لمسكنه الجديد في إحدى زقورات بابل، بينما يمضي الساحر رحلته بمفرده، الآن لا يعلم أزيو إن كان سيندم على عدم طرح الأسئلة، فنامار بالتأكيد يُخفي أمراً ما قد يؤثر على حياة جلنار، إلا أنه لا يُلحُّ بالسؤال خشية إغضاب الجان، الذي قد يهجره عائداً لزقورة بابل، في حين أنهم يرافقون مزهرة معرضة للخطر من قبيل البنّ الفاسدين.

جلنار

خلال هذه الرحلة، وجدت جلنار أن عينيها تتبعان شافير أينما ذهب، وأن وعيها لكل حركة يقوم بها يزداد يوماً بعد يوم، فشلت في تجاهل الأمر، حاولت أن تنظر للاتجاه الآخر إلا أن عينيها تبحثان عنه كلما غاب عن نظرها، كل كيائها كما أفكارها تحلق عائداً لـ شافير، باتت نبضات قلبها تخفق بقوة كلما اقترب منها أو كلما لمسها وكأنه أول مرة يفعل هذا، لطالما أحببت جلنار رفيقها لكن هذا الحب كان ذا طعم مختلف وكان حبها له تغير لشيء مختلف إنه مخيف وجميل، ظنت أن للحب طعمًا واحداً فقط، وخلال وجود أريو معهما علمت أن الحب يختلف، لقد راق أريو لها، إلا أنه كان شعوراً باهتاً، مختلفاً، لم يجعل فؤادها ينبض أو معدتها تضطرب قلقاً، وجدت نفسها تتساءل: "هل يكن شافير هذه المشاعر ذواتها لي؟" أرادت سؤاله لكنها لم تجد الجرأة لتفعل، هذه أول مرة تكبح نفسها عنه، ذات يوم قررت أن تستقل الإبل ذاته الذي يقوده أريو، لقد كان مجرد فضول منها، لأن تعلم ماهية شعورها، ذلك اليوم خاضت في شجار مع شافير.

"جلنار هيا بنا، تعالي لأحملك على الإبل" تحدث معها شافير
بالنبرة ذاتها التي لا تكاد تتغير
"لا، اليوم سأستقل الناقة مع أريو."

"لماذا؟" بدا على رفيقها السخبط من كلماتها، الأمر الذي راق
لجلنار.

"أريد ذلك فقط."
"لا، تر حالكِ معي."

"جلنار ليست طفلة تأمرها كيفما شئت، إن رغبت المضي
معي فهذا قرارها" حشر أزيو نفسه بينهما، الأمر الذي جعل
غضب شافير يزداد لكنه لم يفعل الكثير صعد على ناقته بمفرده
قائلاً:

"افعلي ما شئت" لينطلق بالناقة قبلهما.

كما يفعل شافير قام أزيو بحمل جلنار على الناقة وصعد
خلفها ثم أمسكها كي لا تسقط أثناء نهوض الناقة من الأرض، لا
شيء من هذا حرك مشاعرها، لم تزد نبضات قلبها، لم تشعر
باضطراب في معدتها، لا شيء. ذلك اليوم كان مزاج رفيقها سيئاً
للغاية، بالرغم من أنه لم يفتح فمه بكلمة واحدة مع أي منهما،

كما أنه سبقهما بعشرين خطوة على الأقل أثناء الترحال، وحين
قرروا أن يوقفوا ترحالهم لهذه الليلة، أبعث شافير نفسه عن جلنار،
لطالما جلس هذان الاثنان متلاصقين، لكن ليس اليوم، حتى
عندما آن أوان النوم، لم يهتم بالنظر أين ستنام هي، لطالما تيقن أن
جلنار لا تنام قريبة من وكر ثعابين، كما أنه ينام على مقربة منها،
ليبعد أي خطر قد يأتي صوبها، إنما ليس هذه المرة لم ينظر إلى
حيث وجدت، حتى عندما استيقظت جلنار فزعة من الكابوس
المحترق ذاته الذي يراودها، لم يكن شافير ينظر إليها أو مستيقظاً
ليطمئنها، لم يسبق لها أن استيقظت من كابوس لم يكن هو
مستيقظاً فيه قبلها، ذلك اليوم فقط أيقنت جهلها بكل ما يصنعه
رفيقها لها، كل كبيرة وصغيرة، لقد جحدت فضله، علمت أن
عليها الاعتذار لـ شافير في الصباح، توجب عليها الاهتمام
بمشاعره ولو لمرة واحدة على الأكثر. حين حل الصباح، فتحت
جلنار عينيها وحامت بهما إلى حيث ينام شافير، لكنه لم يكن
هناك، نهضت من مرقدها مسرعة لتجد الدماء تغطي مرقده، دون
أثر له ومن هنالك أطلقت صرخة ذعر، كل مشاعرها تحركت
لرجاء واحد فقط: "أرجوك لا ترحل عني" أما دعوتها فكانت:

"أيها الإله مردوخ، أيتها الإلهة عشتار"^(١) ليكن شافير بخير."
نهض أزيو من نومه فزعاً، وحين رأى الدماء علم سبب بكانها
المضطرب.

"ما الذي حدث؟ أين رفيقك؟" سأل أزيو فزعاً.
"لا علم لي، هل قُتل؟ هل تأذى؟ أزيو استدع الجان ودعه
يبحث عن شافير، يا إله السماوات أنا لا أستطيع العيش بدونه."
كل مخاوف جلنار التي عاشتها والتي تعلم أنها ستعايشها،
جميعها كانت مثل حبة رمل في الصحراء مقارنة بالخوف والذعر
الذين يحتلانها هذه اللحظة، لا شيء يضاهي اللمم أمام خسارة
شافير، في تلك اللحظات تمزق فؤادها شظايا متناثرة، لتغرق
روحها في ظلام أكحل يحرقها لهشيم. لم تكن إلا لحظات وأقبل
ظل من بين السراب قادمٌ نحو مخيمهم، بقليل من الرجاء المتبقي
في وجدان جلنار وجدت القوة لتنهض من مكانها، مسرعة صوب
الظل، علمت في كينونة فؤادها أنه شافير حتى وهو بعيد بحيث لا
يمكن لأحد أن يتبين هذا، لكن جسد ذلك الشبح القادم من بعيد

(١) عشتار: إلهة الحب، الحرب الجمال في بابل

هي نجمة الصباح والمساء (كوكب الزهرة).

هو جسد محبوبها، ركضت جلنار كما لم تركض من قبل،
متجاهلة أزيو الذي حاول الإمساك بها ومنعها من الوصول للظل
لا يعلمان صاحبه، فقد يكون هذا الشخص هو من آذى شافير،
عدا أنها لم ترَ إلا ذلك الظل، لم تسمع إلا قلبها وروحها يصرخان
لها: "شافير هناك، أمسكي به قبل أن يحال سراياً"

ركضت جلنار للظل وكأنها تفر من الموت القادم لها وحين
اقتربت بما فيه الكفاية وجدته رفيقها، عادت لها تلك الذكرى،
شافير يحطم الباب سامحاً للضوء بالدخول لعالمها، تلك
السعادة كانت لحظية فثياب شافير غطتها الدماء. شعرت بفؤادها
يهوي مجدداً لكنها لم تتوقف عن الركض، وصلت حيث هو
لتمسك بذراعيه بقوة.

"هل أنت مصاب؟ أين تأذيت؟ من أذاك؟ يا إلهي! أخبرني
كيف أساعدك؟" كانت أسئلة جلنار تتطاير في كل مكان أرادت أن
تسأل كل الأسئلة وتحصل على كل الأجوبة في الآن ذاته، كاد
عقلها أن ينهار من عدم المعرفة.

"لماذا أنت صاحبة منذ الصباح؟ أين ذهبت وما بي لا يعينك؟"

إجابة شافير الباردة جعلتها تتجمد في مكانها، لترفع عينيها ناظرة

إليه، كانت عيناه باردتين مثل ليل الصحراء، بلا أي رغبة منها تركت جلنار ذراعيه، مترجمة للخلف بضع خطوات، فيما سار شافير متخطياً إياها وكأنه لا يراها، ظنت جلنار أن صوت شافير لا يتغير مع تغير مشاعره، وكم كانت مخطئة، لطالما ملأ صوته بكل الحب والدفء لها، هي فقط لم تعلم من قبل، لقد أخذت وجوده معها وحبها لها أمراً مضموناً لن يتغير مهما كانت أنانية. التفت جلنار على صوت أريو يصرخ على شافير:

"ما مشكلتك؟ لماذا تتصرف معها بهذه الطريقة؟ هي قلقة

عليك؟"

"لا تتدخل فيما لا يعنيك؟" أجاب شافير بنبرة باردة تفوق تلك

التي منحها لها. "أنا متأكد من أنني سأكون أنا لنجاة"

أريو: "ماذا؟ ما تشعر به جلنار يعنيني هي إنسانة مهمة في

حياتي."

"لا يهمني ما تشعر به نحو جلنار ولا تعيني علاقتكما، لكن

تصرفاتي تعود لي أنا." "أنا لست متأكد من أنني سأكون أنا لنجاة"

"أيها المتعجرف، الخاوي المشاعر..."

"حسناً هذا يكفي، أنتما الاثنان توقفوا حالاً." تحدثت جلنار

من الخلف نظر لها أزيو وأراد أن يعلق لكنه صمت، بينما تابع شافير سيره لمتاعهم دون الالتفات لها.

طلبت من أزيو أن يجلب لهم ماء، حيث إنهم قضوا ليلتهم في واحة وجود الماء فيها وفير، أطاعها الآخر من دون إصدار صوت، فيما سعت جلنار نحو شافير وأخذت مكانها على الرمال قبالة منه.

"أنت غاضب مني، أنا أعلم هذا حقاً، ما كان يجب علي أن أتصرف هكذا، أن أتجاهل مشاعرك وكأنها لا تعني شيئاً، لأنك دائماً معي، لأنك دائماً تهتم بي، اعتبرت وجودك وحبك هبة لا يمكن أن أفقدها يوماً، أعلم أنه يمكنني أن أكون أنانية عندما أكون معك، ولهذا أنا آسفة، فقط أرجوك، أخبرني إن تأذيت، دعني أساعدك، وأرجوك لا تختف هكذا مجدداً لا تتركني لخوف مثل هذا، شعرت وكأن كل ضوء في حياتي اختفى، حتى أنفاسي رحلت بعيدة عني، أنا لا أكون بدونك، أنا..." بدأت دموعها بالتساقط ولم تجد الكلمات لتخرجها مجدداً، كما أنها لم تجد الجرأة لتنظر لعيني شافير، كانت خائفة من أن ينظر إليها بذلك البرود ذاته.

شعرت بيد دافئة تلمس وجنتها، وصوت هامس: "توقفي عن البكاء، فوجهك يصبح قبيحاً" لطالما قال لها رفيقها هذه الكلمة عندما تبدأ بالبكاء لسبب تافه، عندها علمت أن شافير الخاص بها قد عاد، هو ليس غاضباً منها، ولتقطع الشك باليقين رفعت رأسها ببطء كي تقابل عينيه، وكم شعرت بالسعادة كما الدفء يغمرانها عندما رأت الحب في عينيه وصوته، أرادت أن ترتمي بأحضانه لكنه أوقفها قائلاً: "أنا مغطى بالدماء، لذلك لا تقربي".

"لمن تعود هذه الدماء؟" "لن تعود هذه الدماء؟"
"فتحت عيني قبيل بزوغ الفجر فوجدت كلباً ضالاً يحوم في المكان وهو يتزف دمًا من إصابة في جسده، لذلك أخذته لمكان بعيد مخلصاً إياه من ألمه، هذه دماؤه"

"ما دمت لم تصب هذا هو المهم"

اقتربت جلنار لتحتضن شافير مجدداً، والذي لن يمنعها هذه المرة وقبل أن تصل إليه إذا بماء ينسكب عليه، مما جعلها تتراجع للخلف متفاجئة، رفعت رأسها لتجد أريو يقف خلف رفيقها وقد أفرغ دلو الماء على رأسه. التفت الآخر بغضب لـ أريو راغباً قتله، ليتدارك الساحر الموقف بسرعة قائلاً: "ماذا؟ ظننتك تحتاج

لمساعدة كي تغسل هذه الدماء عنك، كما أن رائحتها كريهة، هلا
اغتسلت؟" ثم رحل مسرعاً دون أن يمنح شافير فرصة للإجابة،
حينها انفجرت جلنار ضاحكة من الموقف المضحك الذي
أصاب رفيقها.

ذلك الحدث منح جلنار إجابات صامتة عن تساؤلاتها حول
مشاعر شافير لها، كل تصرفاته التي لم تلاحظها من قبل باتت
نعمة لها، كل صباح خير ومساء خير باتت ثمينة، لعل رفيقها لم
يمنحها إجابة نقية يوماً ما، إلا أن نقاء وجدانه هو كل ما احتاج له،
فما الكلمات إلا أصوات تحملها الرياح لتتلاشى في فضاء الزمن.

الفصل الثاني

خفاء

وإنها ليست صرخاتٍ بُكاءٍ تُلحّن ليلي...

إنه ظلام لم يعرف الضوء يوماً...

إنها رسالة مُحطمة...

مهزومة...

جلنار

مع انتصاف شمس اليوم السادس عشر، لمح المرتحلون الثلاثة قرية في الأفق، أخيراً محطة للراحة، وسقف غير النجوم يأوون تحته، لقد أنهكهم الترحال لفترة طويلة في هذه الصحراء الخاوية إلا من قليل من النباتات الجافة، فضلاً عن العواصف الرملية التي قد تكون مميتة إذا لم يعرف المرء كيفية التعامل معها، من حسن حظ جلنار أن مرافقيها ماهران في هذا النوع من الأمور. لسوء حظهم لم يمتلك أي منهم مالاً كافياً للمكوث في نزل، لذلك قررت جلنار أن تقوم مع شافير بعرض في البازار، لطالما كان هذا كفيلاً بتوفير المال لهما، كما العادة توجه الاثنان صوب السوق المركزية، وبدأ شافير بضرب الريشة على أوتار العود، ليبدأ الأشخاص بالتجمهر حيث جلنار المترقصة بالأوشحة، كم أحببت العرض والرقص، لقد اعتمدت على الأوشحة في رقصها أكثر من جسدها حيث إن حركة الأوشحة قادرة على إحداث تناغم رائع مع العود مما يجعل الناظرين ينجذبون إليها أكثر من جلنار نفسها، في هذه الأثناء انطلق أزيو نحو إصطبل لوضع الإبل هنالك لليلة.

اليوم كان من الأيام النادرة التي لم يتعرّف فيها أحد على وشم
 جلنار، مما جعلها تحصل على مال كافٍ من أجل النزول لثلاثتهم،
 قرر كلٌّ من جلنار وشافير التوقف لشراء قليل من المؤن قبل
 التوجه للنزل، وأثناء انشغال شافير بالتحدث مع أحد الباعة
 سمعت جلنار صوتاً لفت انتباهها، نظرت لمصدر الصوت لتجد
 امرأة يتم اقتيادها رغماً عنها من قبل رجلين، دون أن تفكر مرتين
 ركضت إلى حيث المرأة ودفعت الرجلين بعيداً عنها: "ماذا تظنان
 نفسيكما فاعلين؟" صرخت جلنار على الرجلين اللذين أغضبهما
 تطفلها.

"هذا ليس من شأنك أيتها الفتاة، لكن أنت جميلة أيضاً،
 نستطيع الحصول على الكثير من المال مقابل بيع فتاة مثلك."
 صرح أحد الرجلين بابتسامة قدرة، فيما أمسك معصم جلنار
 جاذباً إياها نحوه، ارتعد جسدها خوفاً، ليتفرع متأصلاً في
 فؤادها، إلا أنها علمت أن شافير سيحميها، قبل أن تنتهي هذه
 الفكرة إذا بيد تمتد مبعدة الرجل عنها ليحول بينها وبين خاطفها،
 رفعت جلنار نظرها وابتلعت اسم شافير في فمها قبل أن تنطقه،
 فهذا لم يكن هو، بل رجلاً آخر.

صوت، إذ ب شافير يضع يده على رأسها جاعلاً إياها تواجه وجهه الغاضب، تبسمت جلنار أملاً منها أن لا يوبخها، لكن ابتسامتها لن تنقذها هذه المرة.

نظر إليها رفيقها بغضب قائلاً: "كم مرة علي تذكيرك بأن تفكري قبل ان تتصرفي؟"

"حسناً لقد كانت المرأة في خطر ما كنت لأتركهما يأخذانها." اصطنعت جلنار اللطف في صوتها، لكن شافير لن يتركها تفلت من فعلتها، ما أنقذها كان تدخل الرجل لمصلحتها.

"أنا ممتن لما قمت به من إنقاذ زوجتي، غير أن زوجك محق يجب عليك أن لا تقحمي بنفسك في مواقف كهذه، لو لم يكن أحدٌ منا قريباً لأخذاكما معاً." يبدو أن حديث الرجل جعل غضب شافير يخبو ولو قليلاً ليأتي صوت من خلف جلنار معارضاً حديث الرجل: "هما ليسا زوجين، إنهما رفيقان فحسب."

نظرت جلنار لمصدر الصوت لتجد أزيو يخطو إليهم بعد أن انتهى من مهمته، ليردف: "لكن هو محق لا تقحمي نفسك في أمر خطير." ما أن انتهى أزيو من كلمته حتى توقف متجمداً في مكانه

من مشهد الوشم الذي وقعت عليه عيناه.

أريو: "أنت مزهر؟"

"كم أنت ذكي لتلاحظ أمراً واضحاً كهذا من تلقاء نفسك."

سخر شافير من أزيو الذي تمت مقاطعته قبل رد الإهانة.

"أجل أنا مزهر واسمي فارديون."

فارديون

في هذه الشوارع المزدهمة والمليئة بكل لون قد عرفه البشر،
وحيث يتزاحم شذا السلع من بهارات، أزهار، وعطور، وبين كل
التُّجَّار سار فارديون، ولـ ثوانٍ توقف ناظراً للسماء متأملاً لونها
الأزرق، أراد أن يحفظ كل شيء في ذاكرته، أن يشعر بكل مشاعر
العالم قبل أن ينتهي الأمر، لم يتبقَّ سوى القليل جداً، وفي تأمله
لون السماء، افتقد ملمس اليد التي لا يستطيع الحياة بدونها، لقد
انسلت زوجته من بين أصابعه كما عادت، هي كثيرة الضياع
وفضلاً عن ذلك لم تكن صحتها في أفضل حال، نظر يمناً ويسرة
محاولاً إيجادها، إلا أن تجمهر المارة سرق انتباهه، اقترب من
حيث يتجمهرون، فإذا بأنغام العود تتسلل سحراً من بين تشققات
المتجمهرين، وقف فارديون من بعيد ليراها هنالك تتراقص
بالأقمشة، فتاة شابة تنبض بالحياة ومن بين تلك الحياة ظهر
الوشم الذي سيسلبها الحياة ذاتها التي منحها إياها.

"أجل أنا مزهر واسمي فارديون" عرف عن نفسه للأشخاص
المائلين أمامه.

"مرحباً، أنا جلنار، هذا رفيقي شافير، وهنا صديقنا أزيو إنه ساحر."

فارديون: "هذه زوجتي سينا، شكراً جزيلاً لمساعدتها. أنتم لستم من هنا أليس كذلك؟"

جلنار: "لا، نحن مرتحلون، نتجه لـ بابل"
فارديون: "أرجو أن تقبلوا دعوتي، باستضافتكم في منزلي، فهذا هو أقل ما يمكنني فعله تعبيراً عن امتناني."

أزيو: "لا بأس بذلك، أنا أريد التحدث معك بأي حال"

شافير: "هل ستعرض عليه خدماتك أيها الساحر العظيم؟"

أزيو: "يبدو أنك تريد خوض قتال آخر."

وجه حديثه لـ شافير الذي أجابه بسخرية: "أتسمي طرحي لك أرضاً قتالاً؟"

"حسناً هذا يكفي كلاكما، نحن في منتصف الطريق وإن كنتم ستقتاتلان فسأرحل من هنا مع فارديون وسينا ويمكنكما أن تتجها للنزل بمفردكما."

نهرتهما جلنار ليتوقف الاثنان عن الشجار، ليتبعا فارديون
وسينا حيث منزلهما المتواضع بصمت.

في كل خطواتهم كان فارديون ممسكاً بيد زوجته، حتى ما أن
دخلوا المنزل استأذن من الضيوف ليضعها على فراشها لعل قليلاً
من النوم يريحها من آلامها المبرحة، كم أراد إزالة هذا الوصب
عنها، أن يمنحها كل الذكريات الجميلة قبيل رحيله الوشيك.

اتجه فارديون بعد نوم سينا حيث ضيوفه الذين كانوا في انتظاره
في بهو المنزل، ليقدم لهم ما جادت به يداه من الضيافة ثم جلس
معهم، على مجلسهم الأرضي.

أريو: "منذ متى وأنت مزهر؟"

فارديون: "باتت أيامي معدودة إن كان هذا ما تسأل عنه." ومع
هذه الكلمات، اشتعل فؤاده شجناً على الواقع المرير، إلا أن
هَجَرَ من أحب هو ما أحزنه أكثر من واقع موته.

أريو: "أنا ساحر أصطاد البين، ومعني جان حارب البين من قبل
وهو قادر على قتلهم." ليخرج من جلبابه بلورة سوداء بدت
مشؤومة لـ فارديون.

فارديون: "أتنوي قتل البنّ القادم ليحصد فؤاده؟" ثم نظر
لجلنار مردفاً: "أهذا ما تبتغيه أنت أيضاً؟ ألهذا ترتحلين مع
ساحر صياد؟"

جلنار: "لا، أنا لا أرغب البنّ ميتاً، أنا أبحث عن طريقة لمنح
كلينا الحياة، فلا أريد أن تنتهي حياتي، أو يعاني وجدانه الدافع
داخلي، في يوم ما كان قلبه مليئاً بالمشاعر، أما الآن فهو يحن
لشيء ما من ماضٍ بعيد."

فارديون: "على عكسك هذا الفؤاد لم يشعر يوماً بأي شيء"
أريو: "هذا ما أظن أردده: هم لا يشعرون، لعل الحنين الذي
تشعرين به هو من نسج خيالك"

فارديون: "أسبق لك قتل بنّ؟"
أريو: "لقد قتلت الجذور الفاسدة منها."

فارديون: "تلك التي لا تستطيع استعادة فؤادها، أليس
كذلك؟"

جلنار: "كيف علمت بهذا؟"
فارديون: "أنا أيضاً بحثت فيما مضى عن طريقة للبقاء حياً."

أريو: "ما زال بإمكانك البقاء حيًّا إذا هربت بعيداً حيث لا
يجدك البنّ، ليتحول لجذر فاسد في جنون متعطش للأفئدة، وفي
حين ظهوره، أنا ونامار سنقتله من أجلك، لا تيأس بعد."
شعر فارديون بحزن عميق داخل فؤاده، لسبب يعلمه جيداً،
لكن ما كان ليفصح عنه، هذه أمنيته وهبته الأخيرة لزوجته الحبيبة.
من دون أن ينبس بحرف نهض فارديون من مكانه، ثم توجه
صوب باب الحجرة حيث ترقد سينا.

فارديون: "أرجو أن تعذروني، فأنا أرغب بالوجود مع زوجتي
الآن، يمكنكم أخذ أي حجرة ترغبون بها." فتح فارديون باب
الحجرة وخطا داخلها قائلاً قبل أن يغلق الباب خلفه:
"ليس اليأس هو ما يؤلم فؤادي، بل الأمل المفقود من أقدارنا
التي جمعتنا، وستفرقنا قهراً عنا."

جلس بالقرب من زوجته النائمة والتي يبدو على محياها
الألم، استلقى بالقرب منها، ليضمها لذراعيه مُقبلاً رأسها.
"شكراً لظهورك الساحر في حياتي، شكراً لأنك كنت قمر ليالي
الظلماء، شمس نهاري الدافئة، ابتسامتي، كما أصل بقائي، أنا
أسف لأنني سأتركك وحيدة، ليتني أزيل ألمك في وقت أقرب، أو

أن أحمله عنك، كم اشتقت لابتسامتك التي لم أرها منذ أشهر، لا بأس سيتهي كل هذا قريباً، لكلينا نحن الاثنين." تحدث فارديون بهمس خفي في أذني زوجته، لم يرد تركها بمفردها في هذا الكون الفسيح، لم يرد لها أن تتألم، لكن ما باليد حيلة هذا قدره المحتوم منذ أخذ قلب البن.

ولد فارديون بقلب ضعيف للغاية، قضى طفولته كلها على الفراش منتظراً الموت ليخطفه في أي لحظة، لطالما شاهد من نافذة المنزل الأطفال يركضون هنا وهناك، يضحكون في عبث جميل، يلتقون بسعادة و يفرقون بوعد للقاء غداً، فيما ظل هو حبيس الموت لهذا القلب الذي قد يتوقف عن العمل مع أي نبض ينبضه، هذا ما حدث بالفعل ذات ليلة حين غدا فارديون في الثامنة عشرة، شعر بغضب شديد يجتاحه من هذا القدر القاسي الذي تحتم عليه أن يخضع له منذ الصغر، والأسوأ من هذا صراخ والدته الدائم له، عن كونه مجرد فم يستهلك الطعام الثمين من دون فائدة، لتقطع عنه الطعام بضعة أيام على أمل موته، إلا أن قلبه الضعيف أبيّ عنيد، كم مرة صرخت له أن يموت، كم مرة تمنيت موته أمامه، كم مرة... فقد فارديون العد فحسب، ومن منبع هذا

السخط المتأجج نهض مبتعداً عن قريته، مشى في الليل أملاً أن يتوقف قلبه مانحاً إياه بعض السلام والخلاص بعيداً عن هذه الحياة القاسية، كل ما أراده هو الانتهاء من كل شيء، استجاب قلبه له مع آخر خطواته التي خلفها على الرمال متوقفاً عن العمل. فجأة شعر بألم لا يوصف في صدره، بقلبه يعتصر في جوفه، فيخر أرضاً، لتبدأ الثواني الأخيرة من حياته، ما زالت تلك الذكرى حية في روحه، كل شعور خالجه، كل ذكرى مرت في عقله، وكل إحساس سرى في جسده.

أول ما شعر به بعد السقوط أرضاً هو نفاد الهواء من صدره، شعر بالهواء يرحل عن رثته ثم باقي جسده، لتتخبط قدماه على الرمال رغماً عنه، كمن ترغبان بالفرار من الاختناق، يالهما من حمقاوين فالاختناق نابع من الداخل، ولا مكان للفرار منه، ليشعر بوزرٍ يعتصر صدره الأجوف، فتح فارديون فاه محاولاً إدخال الهواء، لا شيء يدخل. ثم بدأت أطرافه تبرد شيئاً فشيئاً لم يكن السبب هو برودة الصحراء آنذاك، بل لأن الدماء في أطرافه رحلت بعيدة عنها، حاول فارديون إدخال الهواء لرثته مجدداً، بلا طائل هو يختنق، أما العالم فبدأ يحال لسواد، من بين وعيه الذي فقده

واستعاده عدة مرات، تراءت له ذكريات منسية، ذكرياته في رحم والدته حيث كان العالم كله ساكناً، أول لحظات له في هذه الحياة، المرة الأولى التي غدره فيها قلبه، رأى صورة والده الذي لم يعرفه يوماً، كل الذكريات القديمة تسارعت إليه، ووجد فارديون نفسه يتساءل: "أهذه هي النهاية؟ لم أعلم أن الموت مؤلّم هكذا، لا أريد أن أموت، أريد أن أحيأ، أنا مذعور لا أريد الموت وحيداً."

الآن يحال نظره لظلام وفي آخر وميض ضوء لمحه بصره، ومع آخر نفس صرخ فارديون بروحه: "أرجوكم لا أريد الموت، لينقذني أحداً ما، أرجوكم لا يهم من، فقط أنقذوني."

من بين الظلام الذي غلف وجود فارديون نبتت أوراق فضية أضاءت الظلام بقليل من الضوء الذي بدا مثل القمر، تحركت الأوراق متفرعة في كل مكان لينبت منها برعم بنفسجي صغير، ثم أزهرت مُظهرة فتاة بيضاء جميلة للغاية، بجسد وشم بأزهار الهالوك البنفسجية وسيقانها السوداء، وشعر منسدل حيك بحبال ورقية سوداء غلبت الليل في ظلامها، عينان بنفسجيتان باردتان، نقبتان، عكستا ضوء الأوراق المحيطة بهما، مدت تلك المخلوقة

يدها التي برزت منها أزهار بنفسجية صغيرة، ووضعتها على صدر فارديون حيث يقبع فؤاده، ولسبب ما كل خوفه وألمه تبدل لسلام وطمأنينة لم يشعر بهما من قبل، فتحت المخلوقة فمها قائلة: "أتطمع بالحياة؟" بدا صوتها مثل لحن موسيقي حزين، قديم، ملاء الشوق والحنين.

"أجل، أريد أن أحيأ."

"إلى أي مدى يبلغ يأسك لتحيا؟"

"سوف أفعل أي شيء لأحظى بفرصة أخرى في الحياة."

"هل أنت مستعد للتضحية بحياتك من أجل هذه الأمانة؟"

"سأقدم حياتي، لثانية إضافية."

"كم أنتم جشعون أيها البشر، ستقدم حياتك كلها من أجل ثانية واحدة فقط، سأمنحك قلبي، وأنت ستشاطرني مشاعرك، ستجعلني أتذوق طعم الحياة، لعل خواء روحي كما فؤادي يرتويان."

غرزت الفتاة مخالباها الخشبية الطويلة داخل صدرها محدثة شقاً ينزف دماء سوداء، ثم أخرجت منه قلباً ينبض صخباً في يدها، بيدها الأخرى شقت عن صدر فارديون من المتصف

ليطلق صرخة ألمٍ عالية أصمت أذنيه، في ثانية واحدة أدخلت الفتاة قلبها في جسده، وما أن نزعت يدها من داخل فارديون حتى التأم جرحه تماماً مظهراً وشماً على هيئة زهرة الهالوك، نظر للفتاة فوجد أن الجرح الذي أحدثته لنفسها قد التأم أيضاً، أما دماؤها فقد تغيرت للون الاحمر، اقتربت الفتاة نحو أذن فارديون لتساقط معها خصلات من الحبال على جانبي فارديون ليبدو مثل من يغطيه ستارٌ حميم لطيف، لتهمس: "بهذا تم العهد سأعود إليك بعد عشرين ربيعاً لأتحصل على فؤادي، أيها الفتى اهتم بهذا القلب وامنحه كل المشاعر الجميلة، فهو لا يعلم شيئاً عدا الخواء."

بما تبقى من وعي في فارديون سألتها: "ما اسمك؟"
بالرغم من خلو وجهها من المشاعر، إلا أن شيئاً من فؤاده الجديد أخبره أنها حزينة كما متعجبة من هذا السؤال.

"أنا لا أحمل شيئاً كهذا."

ابتسم فارديون قائلاً: "سأمنحك اسماً هو... للقمر" ثم فقد فارديون وعيه.

عندما عاد لقرية حاملًا معه قلبًا جديدًا، قامت والدته وسكان
 القرية بطرده بعيداً حيث لا يصيبهم إثم، إلا أن ذلك لم يحزنه،
 هذه فرصة ليبدأ حياة جديدة بعيداً عن كل مسببات الألم، عليه أن
 يعمل على إسعاد هذا الفؤاد، بعد ترحال طويل استقر فارديون في
 قرية كبيرة وتعلم النجارة، وفي عمر الثامنة والعشرين ومن بين
 أيامه الرتيبة كما الوحيدة التقى بزوجته سينا، تلك الفتاة الرقيقة
 التي تناسب منه في كل فرصة ممكنة، هي مثل ريش الطير يحلق
 مع الريح لو لم يمسك بها بإحكام، هي كانت كل المشاعر التي
 يحتاجها في الحياة، والآن هي تدبل أمامه.

أريو

أقبل الليل عليهم بعد يوم شاق مُنْهَك، ليتوجه الجميع
لحجراتهم بغرض الراحة، بالرغم من الصراع العميق الذي خاضه
أزْيُو مع نفسه إلا أنه قرر الاستسلام وترك جلنار وشافير أخذ
حجرة منفصلة لهما حيث إن عليه التحاور مع نامار، لم يرد أن
يكونا بمفردهما من دونه، لأن ذلك سيحول بينه وبين تعكير صفو
علاقتهما، وهذا ما فعله خلال الستة عشر يوماً التي قضوها في
الترحال، لقد وضع نفسه بينهما كلما استطاع، مثل ذلك اليوم
الذي تشاجرت فيه جلنار مع شافير لتمطي الناقة معه، كانت
سعادته غامرة يومها، حقيقة أنها كانت قريبة جداً منه، جعلت
فؤاده لا يستقر، رائحة عطرها المتطاير مع رياح الصحراء ما زالت
خالدة في ذاكرته.

أما الآن فهنالك أمور أكثر أهمية، خلال الأيام القادمة سيتمكن
أن يقتل بنًا صحيحًا، هذه تجربة ستتيح له معرفة ما عليه توقعه
عند النزال مع بن جلنار، فلا مكان للمصادفات أو الأخطاء عندما
يحين الوقت، لذلك سيفعل المستحيل لقتل هذا البن القابع هنا،

هذا إن كان قريبا مثل بنّ جلنار، لكن عليه أن يتحقق من نامار حول إذا كان بنّ فارديون يحوم حوله، فهو الوحيد القادر على تحديد هذا.

"نامار اخرج ودعنا نتحاور."

"لا تأمرني أيها البشري." تحدث نامار من خلال البلورة التي لم يغادرها.

"هنالك بنّ قريب من هنا." حاول أزيو إغراءه ليخرج

"لا يوجد بنّ قريب، يا فتى."

"كيف لك أن تعلم؟ أنت لم تغادر مخبأك حتى؟"

"لأن عظيمًا مثلي لا يخطئ."

"ما مشكلتك مؤخرًا؟ أنت لا تتحدث أبداً، ويبدو كأنك تحاول إخفاء ذاتك، هذا لا يناسب مخلوقًا متعجرفًا مثلك، أنت خائف من شيء ما، إذا كان صمتك سيؤدي جلنار ويفسد علينا إنقاذها، فمن الأفضل أن تتحدث الآن." بدأ صبر أزيو ينفذ من صمت نامار المقلق، يبدو أنه تمكن من جرح كبريائه لأن كلامه الأخير جعل الجان ينبعث خارجًا بغضب.

"يا فتى لا شيء في هذا العالم يخيفني بعد الآن، فلقد واجهت

مخاوفي منذ ألفت مضت، على عكسك أنا لا أملك ما أخسره،
كذلك كنت أنت يوماً ما، إلا أنك ترغب في قتل البن من أجل
إنقاذ الفتاة الآن، وليس من أجل قتلهم وصيدهم، وهذا سيؤدي
بك للهلاك."

أريو: "أن تُقاتل لحماية شيء عزيز أفضل من أن تضرب بدون
هدف."

"مخطئ، أنت تضرب أفضل ضرباتك عندما لا تملك شيئاً،
لأنك حينها تضرب بقلب فارغ من المخاوف، هذا الذعر من أن
تخسر عزيزاً ما، المخاوف ليست إلا سلاسل تلتف حول قلوبنا
مانعة إيانا من الحراك، لكن عندما تفقد ذلك العزيز، تفقد معه
الخوف، حينها يصبح قلبك حرّاً من أغلاله، مهاجماً أفضل
هجماته"

هذه ثاني مرة منذ عرف أزيو نامار يجد حُزناً دفيناً في صوته
وعينه الدمويتين، غير أنه ما كان ليسأل، هو ليس مهتماً بماضيه
أو ألمه، الجميع يحملون في قلوبهم جروحاً لا تندمل، وحزناً لا
ينضب، إلا أنه يعلم أن كلماته صحيحة، لطالما مضى في رحلته
من دون خوف، لم يملك ما يخسره، الآن ومنذ عرفت روحه

جلنار يجد أزيو كل كيانه يكاد يشل من الذعر، السبب الوحيد الذي يمنعه من ذلك هو أنه لا يريد تكرار الماضي الأليم ذاته. "هل بنّ جلنار قريب؟" سأل محاولاً تغيير الموضوع. "ما زالت رائحة الفتاة قوية، هو يتبعنا من مسافة لا تسمح لنا برؤيته ولا هو كذلك، لكنه يتبع نبض قلبه." "وهذه الرائحة ليست موجودة على فارديون، أنت لا تشتمها عليه؟"

"أنا... ثم ساد الصمت لثوانٍ، نظر أزيو للجان الذي توقف عن الحديث فجأة وكأنه قد أدرك شيئاً قد غاب عن عقله. "ماذا؟ أنت ماذا؟" سأل أزيو وقد نفذ صبره

نظر نامار لـ أزيو بعينين ملتتا تساؤلات ثم قال بصوت يشبه الهمس: "أنا أكاد لا أجد رائحة على ذلك البشري، هو لا يملك رائحة مزهر."

أصابته الدهشة أزيو من كلمات نامار، فهو لم يسمع من قبل عن مزهر لا يملك رائحة، بل حتى البنّ الفاسدون يملكون رائحة مميزة كما صرح الجان من قبل، فرائحة الموت دائماً تصاحبهم، بينما البنّ الصحيح وكذلك المزهرون يملكون رائحة تكاد تشبه

عبير حقل الأزهار، ولكنها مسكرة أو ساحرة.

أريو: "كيف يعقل هذا؟ مزهر بلا رائحة! هل يمكن أن يكون فارديون كاذبًا، هو ليس مُزهرًا؟" وجد الأسئلة تعصف به من كل مكان، ماذا لو كان كاذبًا؟ ولأي سبب قد يكذب؟ فجأة ظهرت صورة جلنار في عقله، هل يعقل أن فارديون يسعى خلفها ويريد انتزاع فؤادها؟ نهض أزيو مسرعًا من مكانه متجهًا صوب الباب وفيما لامست قبضته الباب حال نامار دون ذلك.

"ابتعد، قد يكون هذا الرجل خلف قلب جلنار." صرخ أزيو

"لا تفقد صبرك، هو ليس خلف الفتاة."

"كيف لك أن تعرف؟! لقد قلت بنفسك إنه ليس مزهرًا."

"أنا لم أقل إنه ليس مزهرًا، الرجل مزهر بالتأكيد، ولكنه لا

يملك رائحة عليه فحسب."

"وكيف يمكن لمزهر ألا يملك رائحة البنّ عليه؟"

"هذا لأنه عقد صفقة مع جيل مختلف من البنّ، لهذا لا تظهر

عليه رائحة."

"ماذا تقصد بـ جيل مختلف؟"

كان خوف أزيو من المجهول يرمي به في عواصف من الشك والقلق لا متناهية، بالرغم من هذا لم يستطع أن يتخطى نامار ودخان الأسود الذي التفت حول جسده في غفلة منه مانعاً إياه من إصدار أي حركة.

"لم أعلم أنك غبي يا فتى، أي جزء من جيل مختلف لا تفهم؟"
"لا تعبت معي نامار، أفلتني الآن وابدأ بالحديث، ما الذي لا أعرفه؟"

تحول خوف أزيو لحنقٍ شديدٍ موجه لـ نامار الذي لا يفقه جدية الموقف ومدى الخطر الذي قد يجول حول جلنار، حتى وإن كان الجان أنانيًا، متعجرفًا، وبلا ضمير، على الأقل عليه ألا يسخر من أزيو في موقف مهم، وهذا ما أظهره عندما ولأول مرة منذ بدء شراكتهما وقف جاداً أمام نامار، وهو الأمر الذي رآه الجان لذلك غير نبرة صوته قائلاً بهدوء: "سوف أحررك، لكنك لن تتوجه للفتاة، فهي لديها من يحميها، فالبنّ ما كان ليترك قلبه مُعرضاً للأذى."

"كيف تكون واثقاً من أمر كهذا؟ وفي حال أن البنّ قريب منها لدرجة تجعله قادراً على منع أي أذى قد يطل قلبه، لماذا لا نقتله

الآن؟ لماذا علينا الانتظار حتى يقترب العقد من الانتهاء؟ لماذا لا نراه حتى؟" لم يعد أزيو يتحمل جهله في هذه الأمور والتي يصبر نامار على الصمت عليها.

"كما قلت لك، أنا لا أعلم لماذا لا نستطيع رؤيته بالرغم من وجوده بالقرب منا"

"حسنًا أجبني ما هو النوع الآخر من البن؟"

"هذا أمر ليس عليك معرفته يا فتى، فهو لن يغير من الأمر شيئًا، فقط استمر في فعل ما اعتدنا عليه، وعندما يحين الوقت سنقتل ذلك البن."

تجاهل نامار لأوامر أزيو كما رفضه الإفصاح عن أي شيء أغضبه وجعله يشعر باحتقار الجان له، وعدم ثقته، كما لو أنه ليس جديرًا ليكون شريكه، بالرغم من أن أيًا منهما لا يملك ذرة احترام للآخر لكن أراد أزيو أن يصدق أنهما على الأقل يقفان على جبهة واحدة في هذه المعركة، لكن كما يبدو أن لكل واحد منهما نظرة مختلفة للأمر، لقد علم أن كلاً منهما يستغل الآخر، هذا أمر أوضحه منذ اللحظة الأولى، لكنه يشعر أن نامار يتخلى عنه، يهجره، ليس وكأن نامار يحتل مكانة في قلبه، ولكن هذا الشعور

الذي تملك أريو، أغضبه، ألمه، وأخافه.
 "تامار احتفظ بصمتك هذا إن أردت، ولكن أقسم لك بكل
 الآلهة وأقدسها لو أن ما تخفيه سيؤذي جلنار، فسأحرص على
 إنهاء حياتك بنفسي، وببيدي هاتين، ولا أحد من الثقيلين سيبكي
 موتك."

نظر نامار له أزيو مُتَبَسِّمًا وبصوت ثابت أجاب: "أنت لا تؤمن
 بالآلهة، إلا أني سألزمك بقسمك هذا يا فتى"

جلنار

استلقت جلنار أرضاً وتدثرت بغطاء وهبه لهم مضيفهم، لم يكن الهواء بارداً هنا كما في الصحراء، بالرغم من أنها أحبت النظر لسماء الليل المضيئة قبيل النوم، لكن لا شيء يضاهي النوم تحت سقف من صنع البشر. أحالت نظرها لـ شافير الذي ترك مسافة مناسبة عنها، ليس بعيداً بحيث لا تشعر بوجوده، وليس قريباً بحيث يجعل نبضات قلبها تتسارع.

"ما الذي يشغل تفكيرك، ويمنعك من النوم؟" فاجأها شافير بالسؤال، لقد كان مستلقياً على الأرض ومغمضاً عينيه فظنت أنه خلد للنوم.

"كنت أتساءل إذا كان فارديون يحمل أي ندم في قلبه لكونه مزهراً؟"

"لماذا قد يندم على قرار اتخذه وهو يعلم جيداً عاقبته؟"

جلنار: "لأنه سيترك خلفه شخصاً يحبه، إن لم يرغب فارديون بقتل البن وتركه يأخذ قلبه، ألن يجعل ذلك زوجته سينا وحيدة في

هذا العالم؟ بالتأكيد هو لن يرغب في تركها وحيدة."

"هل تندمين أنت؟"

"لست نادمة على هذا القلب أو هذه الحياة أنا نادمة على
احتمالية تركك خلفي في حال لم نجد طريقة لبقاء كلينا على قيد
الحياة."

"لو لم نجد طريقة لبقاتك أنت وصاحب هذا القلب معاً،
فسنقتل صاحب القلب، بهذا لن يُقيدك الندم."

ما زال هذا الحديث يصيب جلنار بألم في وجدانها، هي تعلم
موقف شافير جيداً، إلا أنها لم ترد أن تؤذي صاحب الفؤاد أو
تخون ثقته، هذا الوجدان الجميل، ذلك المخلوق الحزين، وتلك
الذكريات، جميعها تشعبت داخلها فباتت جزءاً من كيائها
ووجودها، هي لا تريد خسارة أي شيء.

جلنار: "وماذا عن صاحب القلب؟ ألا يستحق قليلاً من
السعادة، ألا يحق له أن يحلم أو يمتلك مشاعر؟ أنا أشعر بالأسى
عليه"

أدار شافير جسده ليواجه جلنار ثم قال لها بصوت ثابت،
وعينين باردتين: "هم ليسوا بحاجة لشيء كهذا، السعادة،

الأحلام، المشاعر، وحتى حزنك عليهم، هم لا يستحقون أيًا من هذا، فهم أنانيون لا يهتمون إلا بأنفسهم وحسب، فلا تبدي مشاعرك عليهم."

في تلك الليلة تكرر حلم جلنار الذي لم تكذ تراه منذ بدأت رحلتها في الصحراء، عدا أن المسافة بينها وبين ذلك المخلوق ذي العينين الزمرديتين تصغر، إنما ليس قريبًا بما فيه الكفاية لتسمع ما ينطق به فوه، ما زال صوته بعيداً عن مسامعها، هي تريد الوصول إليه، قلبها يخبرها أن لديه الإجابة لقدرها، بل قدرهما هي تعلم في صميم فؤادها أن ذلك المخلوق هو صاحب هذا القلب، هو البين الذي يلتصق بها، بدأت جلنار بالركض بين النيران والأدخنة المتصاعدة، غير آبهة بالجثث الملقاة في كل مكان، الآن ليس الوقت المناسب للذعر عليها الوصول إليه قبل أن يرحل بعيداً، عليها أن تنقذ حياتهما معاً، المسافة بينهما تقصُر، باتت رؤية ملامح وجهه أسهل الآن بضع خطوات فحسب، ومع آخر خطوة تلاشت الأرض من تحت جلنار لتسقط في هوة مظلمة، مدت يدها لعلها تمسك شيئاً يمنعها من السقوط، ومن حيث لا تعلم تفرعت أوراق فضية مضيئة، التفت حولها موقفة سقوطها،

فجأة رأت جلنار لوناً أخضر يعكس وجودها، إنهما عينا ذلك
المخلوق، وجه البن كان قريباً منها، ومع هذا لم تر وجهه أو
تعايره، كل ما رآته هو عيناه وفمه الذي قال بصوت خائف:
"جلنار انهضي!"

فتحت جلنار عينها على شافير ممسكاً بها، ووجهه ملاصق
لها:

"هل أنت بخير؟"

"أجل لقد كان حلمًا فحسب."

"لقد كنت تتخبطين بعنف في نومك."

"كدت أراه، شافير"

"ترين من؟"

"البنّ صاحب القلب، لكن بالرغم من أنه كان قريباً مني لم
أتمكن من رؤيته."

"لا بد أن رؤيته أخافتك، لذلك كنت فزعة في نومك."

"لا، هو لم يخفني، بالرغم من أني لم أراه جيداً لكنه كان جميلاً
للغاية، لقد كان أجمل من الوصف، كائن كهذا لا يمكن أن يكون

وحشكاً، بدا وجوده حولي مألوفاً، والطريقة التي نظر بها إلي كانت مليئة بالحب كما الشوق، أقسم أي رأيت أحدهم ينظر إلي هكذا من قبل لكن لا أعرف من. وجوده حولي غطى الكون والوجود، للحظة بدا كأننا الوحيدان في هذا العالم، سكن الكون للحظة من الزمن، شعرت بسكينة مألوفة..."

قبل أن تتم جلنار حديثها، إذا بذراعي شافير تلتفان حولها بحضن لطيف وقوي، شعرت برعشة تسري في كامل جسدها، من خجلها حاولت أن تفلت من هذا الحضن، إلا أن شافير أحكم ذارعيه حولها وبدا لها أن جسده يرتعش بلطف، لتسأله قلقة: "شافير، ما الأمر؟ هل أنت بخير؟"

"لا تذهبي حيث لا أكون، لا أريد أن أمضي في حياة لا تكونين أنت فيها، لماذا القدر شيء قاسٍ كهذا؟ لماذا أقدارنا موحشة؟" "لماذا تتحدث هكذا؟ أنت تخيفني."

هذه أول مرة يصرح فيها شافير بسخطه من القدر، لتتشكل كلمات عذبة حزينة، تؤلم فؤادها، لم تعلم جلنار أن جسده قادر على الانتفاض بلطف عزيز كهذا.

"فقط دعيني أبق هكذا لبعض الوقت."

هذا كل ما نطق به، لتجد ذاتها تحيطه بذارعها بينما ربتت يدها
اليمنى على ظهره الدافئ.

نهضت جلنار على نهار يوم جديد، هي لا تعلم متى عاودها
النوم لكن لا بد وأنها كانت بين ذراعي شافير، فهي لا تذكر تركها
له، اتجهت للخارج عليها تجد رفيقها الذي لم يكن في الحجرة
ذاتها. عندما خطت للخارج وجدت فارديون يطرق باب حجرته
"سينا افتحي الباب، أن موعد علاجك، عليك تناوله."

"ارحل من هنا فارديون لا أريد شيئاً." بدا صوت سينا عذبا،
حزيناً، متألماً.

حاولت جلنار أن تعود لحجرتها دون لفت نظر فارديون فهي
لم ترد أن يشعر مضيئها بالخرج، إلا أن صوت أريو يخرج من
حجرتة جعل فارديون يلتفت ناظراً لهما، ليحييهما بصوت هادئ
صبور:

"صباح الخير لكما، أتمنى أن تكونا قد حظيتما بنوم هانئ."

أريو: "أجل شكر ألك على ضيافتك."

جلنار: "نحن ممتنون لسماحك لنا بالمكوث في منزلك،
بالمناسبة هل رأيت شافير؟"

فارديون: "لقد توجه للخارج قبل قليل، سأكون في نجارتى خلف المنزل إن احتجتم إلي".

بعد أن رحل مضيفهم توجهت جلنار للخارج لتجد شافير، وتبعها أريو: "صباح الخير، كيف كانت ليلتك؟"

"لا بأس بها، أنا قلقة على شافير، أين ذهب؟"

"لماذا تقلقين على رجل مثله؟ لعله ذهب لمكان ما."

بدا الانزعاج على أريو، لكن جلنار لم تبال حقًا، فكل ما يهمها الآن هو أن تجد رفيقها.

"لم يكن على سجيته البارحة، شيء ما به بدا غريبًا."

"ألم يكن غريبًا من قبل؟"

"أزيو أنا لا أمزح، أنا حقًا قلقة، شيء ما ليس على ما يرام"

رأت جلنار أن كلماتها قد ألمت أزيو الذي حاول التقرب منها، إلا أنها بدأت بالسير مبتعدة عنه دونما اعتذار، توجهت حيث النجارة، لعل شافير أخبر فارديون أين سيذهب. كانت النجارة خلف المنزل مباشرة في مبنى منفصل، صنعت من الطين الباهت، ومن السقف ارتفعت مدخنة صغيرة، ليتطاير الدخان الأسود منها، دخلت جلنار المنجرة لتجد فارديون ينحت شيئًا ما من قطعة خشبية كانت في يده.

عذراً! هل أخبرك شافير أين سيمضي؟"

"لا لكنه حمل في يده العود، لربما ذهب ليصلحه."

ارتاحت جلنار من كلمات فارديون، فعلى الأقل هي تعلم مكان شافير الآن، لعل غيابه لن يطول، اتخذت مكاناً على أحد المقاعد الخشبية الموجودة في المنجرة، لتفتح حواراً مع مضيفهم، فهو المزهر الوحيد الذي تعرفه، لعلهما يتشاركان بعض الأمور.

جلنار: "هل تراءى لك بعض الأحلام؟"

"الجميع يحلمون."

"أنا لا أقصد هذا النوع من الأحلام، بل أحلاماً مثل ذكريات،

أنا أرى في أحلامي ذكريات البنّ."

حديثها لم يفاجئ فارديون بدا وكأنه هو الآخر يحظى بأحلام.

"أجل أنا أرى بعض الذكريات هنا وهناك."

"حقاً! إذاً هل تراها تلك الشجرة؟ هل تشعر ببعض مشاعر

البنّ أيضاً؟ أحياناً يتملكني شعور عميق بالألم والحزن في هذه

الأحلام وأعتقد أنها تعود للبنّ؟"

حديثها الأخير جعل فارديون يوقف العمل الذي بين يديه، لينظر إليها بتعجب قائلاً بعينين مُلتتا حيرة: "عن أي شجرة تتحدثين؟ وأي مشاعر؟ منذ رأيت الأحلام أول مرة، لم أر أي شجرة، ولم أشعر بأي مشاعر، غير الظلام، الخواء، والخدر نحو كل شيء، هذا كل ما أشعر به في هذه الذكريات."

فتحت جلنار فمها للتحدث لكن قاطعها صوت قادم من بعيد

"فارديون صباح الخير، هلا أتيت قليلاً؟"

"اعذريني فهذا شخص يطلب عملاً." نهض فارديون متجهاً

حيث الرجل.

فيما خطت جلنار خارج المنجرة وعقلها يمتلئ بالتساؤلات: "كيف له ألا يرى الشجرة؟ ولم لا يشعر بشيء؟ هل من الممكن أن أكون مخطئة بشأن امتلاك البنّ مشاعر؟ إلا أنني أشعر بمشاعر ليست لي، حين لشيء لا أملكه، فلماذا لا يشعر فارديون بالمشاعر ذواتها؟ أيمن أن كل بنّ يحمل شيئاً مختلفاً عن غيره؟" أثناء غرقها في أفكارها هب نسيم عَطِرٌ قادم من مكان قريب، جالت جلنار تقودها الرائحة، وهنالك وجدت سينا تجلس في حقل من الأزهار البنفسجية والبيضاء، أخذت جلنار مقعداً

بالقرب منها ثم حادثتها: "سيينا ألا يجب أن تكوني في حجرتك لرتاحي؟"

"فارديون أخبرني أن هذه الأزهار تعكس ضوء القمر في الليل، فتضيء المكان حتى في أكثر الليالي ظلمة. سأحضر بعضها له"

"منذ متى وأنتما متزوجان؟"

"منذ عشر سنوات، لكنني أعرفه قبل ذلك بكثير"

"كم أنتما محظوظان لبقائكما كل هذا الوقت معا."

فجأة شعرت جلنار بتغيُّر في الأجواء المحيطة بها، أصبح الهواء كثيفاً، ليقشعر جسدها من هذا الشعور المشؤوم الذي غلف وجودها، ثم نطقت سيينا قائلة: "أتعلمين عن سبب تقديم البنِّ قلوبهم للبشر؟"

لقد كان صوتها مختلفاً، بدا كصرير الرياح التي يتردد صداها في الأرجاء، ارتعدت جلنار ذعراً من هذا الصوت، تمت لو تهرب بعيداً، إلا أنها لم تجد القوة لتفعل، فاستجمعت شجاعته قائلة:

"لأنهم يريدون أن يشعروا فهذا هو العقد بين المزهرة والجذر."

سيينا: "لعل هذا صحيح في الأجيال السابقة، أما بالنسبة للجيل الضال فهو فضول، يسمعون عن شيء يدعى مشاعر إلا أنهم

حرموا منها لقد حُرِّمَتْ عليهم، لذلك يعترهم الفضول ليعلموا ما يتحدث عنه سائر البنّ، لكن عندما لا يَمْنَحُ البشري قلب البنّ الكثير من المشاعر فإن البنّ سيستعيد قلبه قبل انقضاء الوقت." "أنت تعلمين الكثير عن هذا الأمر." قالت جلنار بصوت مرتعش خائف، ثم التفت لتجد كائنةً جميلةً مختلفةً أمامها، بجسد وشم بأزهار الهالوك كما أوراقها السوداء، ليتناثر قليل منها مزهراً على جسدها، أما رأسها فقد أنبت حبلاً ورقية سوداء مثل الشعر، أما عيناها فقد كانت بنفسجيتين باهتتين، همست جلنار بذعر: "سينا؟"

وفي طرفة عين كانت سينا تمسك بذراع جلنار بقوة مهولة كادت تسحق عظامها، قائلة: "ما كان يجب عليّ أن أمنحه قلبي، الآن وقتي يوشك على الانتهاء، عليّ أن أسترد فؤادي، هلا منحني قلبك عوضاً عن هذا؟"



(١)

"أنت بنّ؟"

"لا أريد أن أفسد، عليّ أن أستعيد قلبي، بسرعة قبل أن يراني

فارديون، فيهرب."

أريو

بعد أن ابتعدت جلنار عنه غاضبة من حديثه، سار أزيو ذهاباً وإياباً في المكان ذاته، شاعراً بالسخط من نفسه التي رغبت الفتاة، من نامار الذي يخفي عليه شيئاً، شافير الذي يشغل كل وجدان جلنار، وكل العالم والوجود الذي يحرم عليه أنقى أمنياتة، فيما سار محاولاً إزالة غضبه، إذا بـ نامار ينبثق أمامه بغتة، بهيئة حذرة قلقة: "يا فتى، استل سيفك، فالبنّ هنا."

ما أن انتهى نامار من كلمته حتى حلق بسرعة تخطت قدرة أزيو على رؤيته، ليبدأ هو الآخر بالركض خلف دخان الجان، الذي هتف له من بعد: "أشعل سيفك، فهو ليس جذراً فاسداً بعد."

صحيح هذا ما علمه إياه نامار، من الأفضل قتال بنّ صحيح بالنار، استل أزيو السيف بيده اليمنى، بينما سكب على نصله زيتاً يحتفظ به في حزامه، وبطرف عينه لمح النجارة يتصاعد منها دخان أسود، ليغير اتجاهه نحو المنجرة، ما أن لمح النار حتى أدخل سيفه فيها ليشتعل بلهب أحمر متأجج، ليكمل بعد ذلك ركضه حيث نامار، عندما خطأ أزيو خارج المنجرة أتاه صوت صرخة

عالية، أصمت أذنه، مجمدة قلبه وروحه، إنه صوت جلنار القادم من خلف أشجار النخيل الكثيفة، وجد أن قدميه تأبيان الحراك، خوفاً مما قد يرى إن وصل لمنبع الصوت، ماذا لو أن مكروهاً قد أصاب جلنار؟ هل قُتلت؟ لعله فشل في إنقاذ من يجب إنقاذها مجدداً، لربما هو في وهم وغرور يوسوسان له أنه بات أقوى وما هو كذلك، فيما وقف أزيو متجمداً في هلعه الأبدي، همس صوت في روحه: "امضِ للأمام، لا تتوقف، لتنقذها."

ثم شعر بيد دافئة تدفعه للأمام، ومن هذه الدفعة أطلق أزيو العنان لقدميه مسابقاً الريح، لكنه لم يغفل عن استراق نظرة أخيرة ليرى صاحب الصوت الهامس، ليجد ظل مخلوق يقف هناك، شخص لم يميزه أزيو من بعد، الآن ليس الوقت المناسب، لقد أضاع وقتاً ثميناً في الخوف.

بضع خطوات أخرى ووجد الساحر جلنار تركض متجهة صوبه، تتبعتها البين التي توشك على الفساد، أمسك أزيو سيفه الذي بات معدنه أحمر بكلتا يديه ثم زاد في سرعته بينما ركض متجهاً صوب جلنار وأرجح سيفه للخلف فيما صرخ بأعلى صوته: "جلنار، إلى الأرض." مما جعلها تهوي بجسدها أرضاً

متجنبة سيفه المشتعل، وضع أزيو كامل قوته في ذراعيه ودفعهما بقوة نحو عنق البنّ لعله يجتزها، لكنها كانت رشيقة للغاية واستطاعت أن تتفادي السيف عبر القفز فوق أريو، لتهبط على يدها فيما استخدمت قدمها لتسد ركلة ساحقة صوب معدة أزيو الذي شعر بأحشائه تتمزق باسقاّ دماء من فمه، ليحلق جسده مندفعاً بعيداً عن البن من فرط الركلة التي تلقاها، وكونه المحارب الذي هو عليه، نظر خلفه ليعلم أين سيصطدم، ليجده نفسه متجهاً صوب أوتاد خشبية غليظة ومدببة نُبِتَتْ في الأرض، علم أزيو أنها ستكون مقتله، فهو غير قادر على إيقاف جسده، ما كان الساحر ليعلم أن البنّ الذي لم يفسد بعد بهذه القوة، أغمض عينيه استعداداً للموت، وعندما لم تنته حياته أو يصطدم بشيء، فتح عينيه، ليجد أن حبالاً دخانية التفت حول جسده أطلقها نامار مانعاً الموت عنه، حينها قال أريو: "استخدم دخانك لمنعها من الوصول لجلنار."

"لا تأمرني يا فتى، أنا على وشك فعل هذا من دون أن تخبرني أنت."

حل نامار الدخان من حول أزيو الذي بادر بالركض حيث
 جلنار ما أن لمست قدماه الأرض، فيما حرك الجان الدخان بكل
 رشاقة وخفة متسارعة بين أشجار النخيل و صوب سينا التي
 كادت مخالبتها أن تصيب جلنار، في تلك اللحظة صرخت ملع
 رثيها لتطير الدماء في الأرجاء، شعر أزيو أن قلبه توقف عن
 النبض لجزء من اللحظة، في حين أن قدميه زادت من سرعتهما
 نحو جلنار، ليجد أن الشخص الذي أصيب من مخالب سينا هو
 شافير الذي حمى الفتاة بكامل جسده، مخلب البن ترك أثراً
 واضحاً على ظهره، قبل أن ترمي البن بضربة أخرى نحو شافير
 إذا بالحبال الدخانية تحيط بجسدها وتحكم قبضتها على سينا،
 لتقذف بها بعيداً في الهواء، فيغير أزيو مسار ركضه فعوضاً عن
 الذهاب إلى حيث جلنار تبع موقع سينا، عليه إبقاؤها بعيدة عن
 المزهرة، خطوات ووصل الساحر حيث وجد نامار والبن في قتال
 عنيف، غطى دخان نامار الأرجاء متبعثراً تارة، و متشكلاً كحبال
 تارة أخرى، لتتشابك مع حبال ورقية سوداء والتي تفرعت
 كالجذور في الأرجاء، أحال أزيو بنظره لجميع الاتجاهات عله
 يفقه ما يحدث حوله، هنالك وجد نامار يطلق حبالاً دخانية في
 محاولة لإمساك سينا التي كانت بدورها تخرج من يديها حبالاً

من الورق تقطع بها الدخان الذي يقيدها، وفي محاولة من نامار للحد من حركتها، حوّل بعض الدخان إلى رماح مطلقاً إياها صوب خصمه، لتصاب ببعض الجروح التي جعلت نائرها يثور، لتبدأ بالصراخ بأعلى صوتها: "أين هو؟ أعدده لي"

بدأ أزيو بالركض مجدداً صوب البن ليصيبها بسيفه قبل أن تتحرر من قبضة نامار، عندما اقترب منها قفز بكامل قوته نحوها موجهاً سيفه المشتعل حتى بات أحمر نحو عنقها، إلا أنها كانت أسرع منه حيث حررت نفسها من قبضة نامار ثم أرجحت ذراعها بقوة نحو أزيو لتصيبه في ضلوعه، في تلك اللحظة شعر أزيو بضلوعه تتحطم والهواء يغادر رثته، بما تبقى لديه من وعي رأى وجهها مألوفاً قادمًا صوبه، وصوت نامار يهتف من بعيد: "يا فتى تمالك" ثم أحيى كل شيء لظلام.

جلنار

أحاطت جلنار بذراعيها شافير النازف من إصابته، شعرت
بكامل جسدها يرتعش من الذعر، لم تعلم أن البنّ يمكن أن
يكونوا مخيفين هكذا، لم تعلم أن التعطش لفؤادهم يحولهم
مخلوقات مسعورة، مستعدة لفعل أي شيء للحصول على فؤاد.
"جلنار هل تأذيت؟" صوت شافير أخرجها من الذعر الذي
تشعر به.

"ألا يمكنك أن تقلق على نفسك أولاً؟ أنت المصاب هنا."
وجدت الدموع طريقها في عينيها التي ذرفتها ألمًا على
رفيقها. رفع شافير عينيه ناظرًا إليها بعينين صافيتين، ليمسح الدمع
من عينيها برقة، كما لو كانت هذه الدمعة أغلى ما في الوجود، ثم
أبعد نفسه عنها ناهضًا على قدميه، أمسكت جلنار بذراعه قائلة:
"أين تذهب؟ أنت مصاب."

"اختبئي في مكان ما، أنا سأبعد سينا عنك."

"كيف ستفعل ذلك وأنت مصاب؟ كما أن أزيو و نأمار

يقاتلانا". "سألتها شاميرا وأنا قد خلدنا، أليس كذلك؟"

"لا، الساحر فقد وعيه." "أنت مجرد بشري واحد لم يستطع الساحر أو الجان إيقافها

فكيف ستفعل أنت؟"

"نقي بي."

بلطف شديد أبعث شافير يد جلنار الممسكة به ليبدأ تحركه
حيث سينا، فيما ظلت هي على الأرض تراقب ابتعاد روحها عنها
تتبع شافير، حاولت جلنار النهوض والذهاب خلفه، غير أن
قدميها لم تحملاها، كل جسدها مشلول من الذعر، وفي خوفها
بدا كأن العالم كله خالٍ من الحياة، كأن الزمن توقف بلا صوت
يُسمع غير نبضات قلبها، نظرت جلنار ليديها اللتين ما زالتا
ترتعشان فوجدتهما مغطاتين بالدماء، إنها دماء شافير، ثم حولت
نظرها للأرض لتجد قطرات الدماء تتبع دربه، فجأة تحطم سكون
العالم وصمته، مرتعداً من صوت صرخة عالية، لتجد جلنار
نفسها تركض لمصدر الصوت، هي لا تعرف كيف أو متى نهضت
لتبدأ بالركض، عليها أن تجد شافير وتحميه، عندما اقتربت من

مصدر الصوت سمعت أصواتاً أخرى تتحدث .
سينا: "جسدي يذبل، أنا أفسد، أحتاج لقلب الفتاة." "لها قلب
شافير: "قلبها ليس لك، فقلبك في مكان آخر."
سينا: "قد أنت نهايتي، أنا أختنق."
شعرت جلنار بالم سينا يصيب وجدانها، وحين وقعت عيناها
عليها وجدت أن هيئتها قد تغيرت، الأوراق البنفسجية الجميلة
التي غطت جسدها تحولت للون الأسود والذي سال على
جسدها كقطرات من المطر الأسود، عيناها تحولتا للون الأحمر
القرمزي، أما أطرافها فقد تضخمت متفرعة مثل جذور الشجر،
عندما لمحت سينا جلنار حاولت النهوض لقلبها لكن تم إيقافها
من قبل دخان نامار، لتبدأ بالصراخ مجدداً: "لو علمت أن الأمر
سيكون هكذا لما وهبت قلبي أبداً."
"لا يمكن لقلب غير قلبك إنقاذك."
كان هذا صوت أزيو الذي استعاد وعيه، ليخطو إليهم
بخطوات مترنحة فيما وضع يده على ضلوعه، ثم أمسك سيفه
الذي فقد لهيبه، اعتدل أزيو ليقف منتصباً، ثم بدأ بالركض حيث
سينا ليقتلها، في تلك اللحظة صرخت عليه جلنار: "لا تفعل، لا

تؤذها" مما جعل أزيو يبطن في حركته لكنه لم يتوقف، عندما ضرب أزيو بسيفه، عم الصمت لفاجعة ما حدث.
وضعت جلنار يدها على فمها كي لا تصرخ من هول ما حدث، سيف أزيو ضرب فارديون الذي حمى زوجته بجسده متجاهلاً ألم السيف الذي أصابه، في تلك اللحظة نزع أزيو يده من السيف الذي تعلق بجسد فارديون، ليتراجع أزيو للخلف في صدمة، لكن المزهر لم يتفوه بكلمة واحدة، لم يتأوه حتى من الألم الذي أصاب جسده، فقط اكتفى بالجلوس على الأرض مقابلاً سينا ثم حمل وجهها المغطى بالدموع السوداء بين يديه قائلاً: "قلبك هنا يا سينا."

وبهمس متلاشٍ قالت: "ف... فاريد... فارديون."
"لطالما علمت من تكونين، منذ اللحظة التي رأيتك فيها أول مرة، عندما سألتك ما اسمك، وأجبتني (سينا) علمت أنك البنّ التي وهبتي قلبها، أنا من أعطاك هذا الاسم أتذكرين؟ أول لقاء لنا أخبرتني ألا اسم لك، لذلك أطلقت عليك هذا الاسم لأنك أضأت ظلام حياتي كالقمر."

وردت العبرانية
بدأت الدموع تسيل من عيني سينا الذابلة، كذلك فارديون
الذي استمر بالحديث: "أعلم أنك كنت تبعدين نفسك عني، كي
لا تؤذي، بالرغم من أني قضيت معظم حياتي مُتجاهلاً من
الآخرين لكوني مزهراً، إلا أني لم أشعر بالوحدة يوماً، لأنني
حظيت بفؤادك، أنت رقيقة، عطوف، جميلة، ابتسامتك التي لم
أرها منذ وقت طويل ملأت أيامي سعادة، كم أشتاق إليها!"

الآن ألصق فارديون كلاً من جبهته وجبهة سينا معاً، مردفاً:
"قدر المزهرة الذي منحني إياه، إنه قدرٌ جميل، ساحر، بلا ندم،
لهذا لا أحتاج هذه الحياة بعد الآن، سأعيدها لك، أنا أحبك يا
قمري"

تناثرت دماء فارديون في الأرض بينما اخترقت مخالبا سينا
صدره مخرجة قلبها وقلبه، في تلك اللحظة فقدت جنار وعيها
من هول ما رأت.

سينا

أولى ذكريات سينا كانت العدم، ومن العدم أزهى الحنين لما لا تعرفه، لوقت طويل، أطول مما تذكر، غلف العدم على وجودها وطغى الحنين على فؤادها. هي تذكر قصص البنّ عن الحياة التي عاشوها تحت ظل غطى الأرض، ذلك الذي لشجرة كبيرة فضية الأوراق كما ذهبية، من تلك الشجرة وجدوا ومنها أزهروا، فاستمدوا مشاعرهم وأحاسيسهم منها، كل ما شعروا به كان من الأرض وكل ما صنعوه كان للأرض، حكى الأولون قصصهم بلا مشاعر، بينما التهم الحنين في أعينهم ما تبقى من وجودهم.

سينا كانت من آخر جيل للبنّ أو من يدعونهم الجيل الضال، آخر من وجد قبل أن يظأ آدم الأرض، كل ما تم تلقينها إياه هو أن البنّ أول من على الأرض وطغى، أنهم يزهرن من شجرة الحياة، أخبروها قصصاً عن عالم لم يعد موجوداً، عن شيء يدعى مشاعر، أحاسيس، أمر لم تفقهه يوماً. في حياتها المديدة شهدت سينا تكاثر بني آدم، سمعت قصصاً عن بنّ وهبوا قلوبهم للبشر،

فتذوقوا ما أسماه الأولون مشاعر، قيل إنه شيء جميل، متنوع،
شيء لم يكن العدم، لكنه لم يُبدِ الوله، وفي سكرتهم من المشاعر،
تعلم البن أن البشر مخادعون، أنهم لا يوفون العهد، هرب البشر
بعيداً بقلوبهم تاركين البن ليفسدوا، فأصبحوا كل ما خافه البشر
وتحدثوا عنه، متجاهلين حقيقة ذنبهم، مع مرور القرون باتت
ممارسة العقد مع البشر مجرد فعالية لتمضية الوقت الأبدى بعيداً
عن العدم.

لم تفكر سينا يوماً أن تقدم قلبها لبشري، حتى أتى ذلك اليوم
الذي انتصف فيه البدر السماء، وفي وحدتها التي لا تعلمها سمعت
رجاءً للحياة، صوتاً ناشد من ينقذه لمنحه القليل من الوقت،
وجدت قدميها تقودانها حيث ذلك الصوت العذب، هنالك كان
ذلك الصبي اليافع، ذو عينيّن ذابلتين لكنهما مليّتان بضوء لم
تعلمه من قبل، حينها ولأول مرة رغبت سينا بشيء، أرادت أن
تكون جزءاً من وجود هذا الفتى، أن ترى الضوء في عينيه يشع
لمدة أطول. بعد أن اكتمل العهد سألتها الفتى سؤالاً جعل كل
وجودها يرتعش: "ما اسمك؟" سؤال كهذا جعلها تذرف الدمع،
هي التي لم تعرف يوماً غير العدم، ذرفت الدموع لما لم تملكه

يوماً، حق بسيط كاسم لم تحمله يوماً، لماذا لم تُمنح اسماً تُنادى به؟ لماذا لم يحبها أحد ليمنحها الاسم الذي تستحق؟ بل هي لا تملك مخلوقاً واحداً يقربها ليناديهما أو يحتاجها هي وحيدة تماماً في هذا الكون الفسيح، حينها منحها الفتى أول وأثمن هدية حصلت عليها منحها اسماً لتنادى به "سينا".

علمت سينا أنه يمكنها تغيير هيئتها لتشبه البشر الآن وقلبها في جسد بشري، لذلك تبعت الفتى المسمى فارديون لتراقب قلبها وتشاطره المشاعر، كم كانت سعادتها غامرة عندما ذقت طعم المشاعر لا عجب أن البن يسكرون منها، شعرت بما شعر به هو، بالوحدة، بالسعادة، الحزن، الخوف، الحنين، الأمل، وغيرها الكثير، ولم تمنع أيّاً منها، بل رجعت دوامها. أمر وحيد أو أمنية وحيدة دعت بها، هو أن ينادي أحد اسمها "سينا" أرادت أن تسمعه ولو لمرة واحدة، ولأجل أن تتحقق هذه الأمنية اقتربت من فارديون في السوق ذات يوم، عندما التقت أعينهما شعرت بقلبها في جوفه ينبض بقوة كادت تحطم ضلوعهما، وعندما اقترب منها سائلاً إياها عن اسمها لتتطرق شفاهها صوتاً عذباً: "سينا" علمت حينها السعادة التي يولدها قلبها، سعادة تكون ملكها، أيامها مع

فارديون كانت كالحلم الذي لم ترد أن تفيق منه، كونها زوجته
منحها بهجة وحبًا لا ينتهيان، نبعت مشاعرها من داخلها وليس
من القلب الذي يحمله هو، كان ذلك شعورها هي، وهي فقط،
أفاقت سينا على الواقع ذات يوم عندما استيقظت لتجد أن غريزة
البنّ داخلها بدأت بالاستيقاظ باحثة عن قلبها، نهضت ومخالبها
تكاد تغرز في صدر زوجها.

لعنت البنّ اليوم الذي منحت فيه قلبها لـ فارديون، لم تعلم
يوماً أن القدر قاسٍ هكذا، لم تعلم مقدار الألم الذي ستشعر به،
في لحظة كانت سينا تمسك بأزهار الهالوك البنفسجية في يديها،
وفي طرفة عين كان زوجها بين يديها ينزف دماً من الثقب الذي
وجد في صدره، لا تعلم كيف وصلت إلى هنا أو ما حدث، هي
تذكر الوصب الذي اكتسح جسدها محيلاً الكون لظلام، كل ما
رأته هو قلب ينبض أمامها لا بد أنه قلب البنّ داخل جلنار، لأنها
ظلت تركض خلفه، كل غريزة بقاء داخلها استيقظت مع ذلك
القلب الذي كان ينبض أمامها، كان البنّ داخل سينا يصارع للبقاء
غير آبه بأي شيء غير إخراس هذا الوصب الذي فتك بكل
وجودها، شعرت بجسدها، روحها، وعقلها، تذبل: "علي

الحصول على القلب، علي إيقاف الألم، يجب أن لا أفسد، أريد أن أكون معه، أريد أن أمضي أيامي بالقرب منه، لكن من هو؟ من الذي أريده؟ لماذا أريده؟ لا أذكر شيئاً، لا أعلم شيئاً، عمّن أبحث؟ إلى من أشتاق؟"

من بين هذا الظلام الذي تخبطت سينا داخله، نبض ضوء صغير، حميم كما مألوف اقترب هذا الضوء منها، ليتسلل الذعر داخل ما تبقى من وعيها: "لا تلمسيه، لا تؤذي، اهربي بعيداً عنه، هو كل ما نريد، هو كل ما نحب لا تسليبه منا، أرجوك أفيقي، أرجوك تذكري، أرجوك لا تأخذي قلبه لا تسليبي حياته." لكن كل رجاء، كل منطق بقي لديها تلاشى تحت وطأة غرائز البقاء، وصوت صرخة ألم واحدة حطم كل ما تبقى من سينا جاعلةً هذا الضوء يتلاشى، لتفتح عينيها على فارديون بين ذراعيها وآخر كلماته ترن في وجدانها الدافئ: "أنا أحبك يا قمري."

احتضنت سينا فارديون بكامل جسدها وذرفت الدموع هامسة في أذنه: "أنا أيضاً أحبك فارديون، شكراً لمنحك كل هذا الحب لفؤادي، أنا آسفة لأني وُجِدْتُ كـ بِنِّ، أنا آسفة لأني لم أحملك، وداعاً فارديون، يا من أخذت فؤادي معك للممات."

لكن همساتها تناثرت مع الرياح فأذن فارديون صمّت عن كل أصوات العالم ودمأوه سالت أرضاً من غير مكان يحتضنها.

"عن أي حب تتحدثين؟ أي حب يجعلك تقتلين من تحبين؟ أنتم حقاً وحوش." وجه أزيو كلماته القاتلة لها، فيما وضع نصل سيفه على عنقها — يجزها، لكنها لم تُحرك ساكناً، وتحدثت بصوت مُلئ غضباً:

"من منا الوحوش يا هذا؟ ما الذي تعرفه عنا؟ ما الذي تعرفه عن البن؟ كل ما تعرفه هي قصص تداولها الجان، قصص ملئت كذباً وزوراً، نحن لسنا الوحوش هنا بل -هي- كما الجان، هم من أبادونا، هم من قتلونا، ثم أحرقوا أصل وجودنا، وأحرقوا معها أرواحنا، لهذا نحن لا نشعر، لهذا أفئدتنا جوفاء، كل هذا بسببك نامار من آل عنقال، أنت من دمرنا، فأحرقنا، كنت سبب هلاكنا، أنت الوحش وليس نحن، ثم تحدثون وجودنا، قصصنا، وصبنا، وذبكم زوراً."

نامار: "ما الذي تعرفه بن من الجيل الضال عن الماضي، عن القصص والواقع، أستم أنتم من بدأ الحرب؟ وهتكّ الدماء، أنتم من حدث القصص زوراً."

"أتنكر أنك من أحرقها؟ أتنكر أنك من جعلنا نفقد الإحساس؟ بسببك أنت، نحن الجيل الضال أزهرنا من الظلام لنموت فيه، بلا أي هدف أو مشاعر، مجرد أجساد لإشباع جشعهم في السيطرة، لا مُعذب لنا إلا الوله الذي أفنى وجودنا، حين الأجيال الأولى لما سبق وكان، لهفتنا لما لا نعرف أو نرى، هذا الشعور الذي لن يرتوي يوماً وكل هذا بسببك نامار، أنت من سلبتنا هذا"

في تلك القصص حكى البنّ عن الجان المحارب نامار، ذلك الذي أحرق الكثيرين منهم ثم أباد المزيد مع غروب سَعر، أغار عليهم بمفرده، محرقاً الأرض على مد البصر، حتى وصل لمصدر حياتهم فأحرقها من جذورها لآخر ورقة فيها، ومعها انطفأت شعلة حياة البنّ.

أريو: "ما الذي تحدث عنه نامار؟" أبعاد النصل عن عنق سينا في ذعر لما سمع.

سينا: "ألم تسأل نفسك يوماً لماذا هيئته مختلفة عن الجان؟ لماذا وافق على مسيرتك، أنت البشري الذليل؟"

وجهت حديثها إلى أزيو الذي نظر إليها بتعجب وقلق، لترد: "هيئته هذه هي عقابٌ على ذنبه بنا، أما سبب مسيرته لك

فسأصمت عنه، بالرغم من أني أتشوق لرؤية وجهك عندما تدرك الحقيقة، لكنني سأدعك من دون يقين أيها الفتى، وفي نهاية رحلتك هذه ستعرف الحقيقة التي ستغير وجودك، وتحطم روحك."

وضع أزيو نصله على عنقها مجدداً وتحدث من بين أسنانه:

"ما الذي تخفينه؟ أفصحي عما لديك حالياً."

نظرت سينا لـ أزيو بعينين واثقتين وبلا خوف فيهما وأحكمت ذراعيها حول فارديون الميت قائلة: "افعلها، أنا أفضل الموت على حياة لا يكون فارديون فيها."

أريو: "أتظنين أنك قادرة على خداعي بهذه الكلمات؟ أنتم لا تملكون أي مشاعر."

سينا: "وذلك حتى نستعيد أفئدتنا التي منحناها البشر، لا يفيد الندم الآن، فلن أستطيع محو الماضي، هذا عقاب تلاعبنا بالقدر، لأن قلوبنا الميتة عرفت متعة حب ما هو حي."

تساقطت دموعها على وجنة زوجها، ماحية معها الدماء المتناثرة عليها، كأنها تمحو ذنبها ولو جزءاً بسيطاً منه.

ثم نظرت نحو شافير الذي كان يحتضن جلنار الفاقدة وعيها بين ذراعيه قائلة: "دوركما سيحين قريباً، فما أنت فاعل حينها؟"

أريو

أخذ أزيو من ظل إحدى الأشجار مقعداً له بعيداً عن شافير
وجلنار التي لم تستعد وعيها بعد، امتلأ قلبه كرهاً وغيظاً من
نامار الذي يخفي الكثير أولاً، ثم من نفسه لأنه ترك سينا تفلت من
قبضته، أراد أزيو أن يقص رأسها عن جسدها وقد حرك نصل
سيفه لتحقيق المطلوب، حال دون ذلك هبوب رياح عاصفة من
حيث لا يعلم لتتلاشى سينا حاملة معها جثة فارديون، مخلفة
وراءها بتلات أزهار الهالوك المتناثرة مع الرياح.

أريو: "نامار تعال هنا."

نامار: "لا يوجد ما أقوله لك."

"بل يوجد، ابدأ بالحديث الآن، أو سأنهي عقدنا وأدعك تعود

لأغلاك."

"وكيف ستنقذ الفتاة من البنّ عندما يحين وقتها؟ أنت لا شيء

من دوني"

أريو: "عن أي حماية تتحدث؟ نحن لم نَحْمِ أحداً، هذا فارديون قُتل أمام ناظرنا، في حين أننا كلينا لم نفعل شيئاً لإنقاذه وإيقاف البِنِّ، أي نوع من المحاربين أنت؟ بل هل أنت محارب حتى؟ أ يوجد أي حقيقة في كلماتك؟ تظل تصرخ هنا وهناك على أنك أفضل الجان وأشجعهم، تظل تصرخ بانتصاراتك، ما هي انتصاراتك حقاً؟ هل ما قالته البِنِّ عن أنك سبب كل شيء صحيح؟ وهل يوجد سبب لجعلك تتبطني غير قتل البِنِّ؟" فقد أريو صبره غضباً من جهله، ليصب بسخطه على نامار الذي استحق هذا الغضب.

نامار: "ذلك البشري هو من اختار الموت والتضحية بنفسه، لا يمكنك منع مخلوق من الموت إن أراد ذلك، كما أني لست بحاجة تصديقك كلماتي وخسارتي يا فتى، لست وحدك من خسر كل شيء للبِنِّ، عَقَدْنَا قائم على استغلال بعضنا بعضاً، فدعنا نفعل ذلك حتى النهاية، لا تنتظر أن تعرف الحقيقة، فلقد ضاعت بين آلاف الكذبات فأمسى إيجادها مستحيلاً حتى عليّ أنا، لم أعد أذكر ما هي الحقيقة."

أريو: "أشعر أنك وحدك من يستغلني، وحدك من يعلم كل

شيء، ولا شيء، فكيف لا أستطيع إنقاذ روح واحدة وأنت معي؟
أي فرصة أملكها لأنقذ جنار من هذا القدر، هل قدرتي أن أخسر
مجدداً؟"

تمتم أزيو بالكلمات هنا وهناك بطريقة لا تبدو منطقية، ذلك
لأن أفكاره متضاربة، كل شيء مشوش، كل ما ظن نفسه يعلمه،
كل ما ظن أنه يقاتل من أجله، كل شيء بلا معنى أو طائل، وذلك
الصوت الذي همس له، الظل الذي دفعه للمعركة، يكاد يقسم أن
ذلك سابريل، لعل الألم الذي يشعر به من تحطم ضلوعه،
وارتباكه هو ما جعله يرسم صورة لشخص يجلب له الأمان، فمن
المستحيل أن سابريل هنا، لقد افرقت طرقهما منذ وقت طويل
جداً، ابتعد سابريل دون النظر للخلف.

نامار: "يا فتى لا أحد منا يستطيع تغيير القدر تذكر ذلك، نحن
نفعل ما علينا فعله للخروج من أسوأ الظروف بأقل ضرر ممكن،
هذا ما حاولت فعله طيلة ألبيات حياتي التي لا تكاد تنتهي."
أريو: "والآن ماذا؟"

نامار: "الآن لا شيء، لقد استنفدت الكثير من طاقتي في قتال
البن، لذلك سأخلد للراحة، عليك أن تفعل أنت أيضاً، نصيحتي

لك في حين أردتها، جد طريقة لعلاج أضلعك المحطمة، فلا
وقت كثيراً أمامنا وعلينا الوصول لبابل.

أنهى الجان حديثه، ثم اختفى عائداً لمخبئه، شيء ما في صوته
بدا غريباً على أريو، يبدو مضطرباً، عدا أن نامار لا يملك مشاعر
كهذه، هذا إن امتلك مشاعر في بادئ الأمر، إلا أن شيئاً مما قالته
البنّ تسبب بتغيير في نامار، لم يرد أريو أن يفكر بالأمر فلا طائل
من هذا، فهو لم يجبه بأي حال من الأحوال.

أغمض عينيه فيما قرر أن يأخذ بنصيحة نامار حتى وإن لم
يرغب بذلك، عليه علاج إصابته، رفع يده اليمنى ليضعها على
ضلوعه لكنه شعر بألم حاد يسري في كامل جسده، كل حركة يقوم
بها تؤلمه، أراد أريو أن يتوقف، أن يدع اليأس يغلف وجوده، فهو
متعب للغاية، لم يكن الألم الجسدي وحده من أحاط به، بل إن
روحه كذلك أعياها التعب والترحال في هذا الطريق الذي ولأول
مرة جعله يتساءل: "ما الفائدة من كل هذا؟ لا شيء مهم حقاً فلن
أنجح يوماً في مساعي الأحق، هل حقاً ظننت أنك ستجد البنّ
الذي قتل والدتك وتنتهي حياته؟ يا له من حلم بطولي وطفولي؟
أين ستجد البنّ في هذه الأرض الشاسعة التي لا تكاد تنتهي؟ بل

هل ستعرف هيئته لو رأيته؟ هل ظننت أن إنقاذ جنار و قتل البن
الخاص بها سيقربك خطوة نحو حلمك؟ كم أنت يائس لتغذى
على حلم فتاة بالحياة، لتحيي حلمك أنت بالانتقام."

تحت هذه السماء الزرقاء وجدت أشعة الشمس طريقها عبر
الغيوم لتساقط خيوطاً على الأرض الخضراء التي تراقصت
حشائشها مع نسيم الهواء العليل والعطر، كم هو هادئ هذا
المكان، جميل، حميم، وتلك الأغنية التي حلقت في الأجواء
حاملة معها كلمات لا تُسمع إلا أن أزيو فقه كل لحن تراقص مع
الرياح:

الضوء الموجود فينا...

يحكي قصص أرواح تنتظر النهوض...

قصصاً قديمة...

عن أمنيات باتت نجومًا...

هلا انتظرتني؟! ...

قلبي أخبرني أن أختار واحداً...

إن دعيتي فسأجيب...

الرياح الرقيقة تحلق بي بعيداً...

لأنام تحت ظل وجودي...

من أجل أحلامها...

لا يجب أن أكون...

لـ أزيو بدت أغنية جميلة، غير أنها غريبة، كرسائل مبطنة لم يع
الغرض منها، حاول إيجاد مصدر الأغنية، غير أن الصوت قادم
من الوجود كله، ثم هنالك وجدها تقف شامخة، طويلة،
وساحرة، تلك الشجرة التي لمعت أوراقها تحت خيوط الشمس،
جاعلة الوجود يضيء بقصاصات من ضوء متناثر في الأرجاء، لم
يرَ أزيو جمالاً مثل هذا الجمال، لم يشعر بالانتماء كما يشعر الآن،
شعر بأن كل وجوده ملكها، أنها الأمان الوحيد في الكون، أن نفسه
ضئيلة تحت وطء وجودها الجليل، والأزلي، كانت هنا قبله،
ولعلها ستظل للأبد بعده، فما وجوده إلا كنسمة هواء علية مرت
بهذا المكان، أما هي... فهي الوجود كله، توقف الغناء ثم تحدث
الصوت ذاته قائلاً:

"أنا الأرض، والأرض أنا، أقسم لي، لتحياء، ولتمت من

أجلي."

تلاشى الصوت بعد ذلك لتشتعل الشجرة لهيباً أسود يذيب
أوراقها التي سالت أرضاً، فيما وقف أزيو مدعوراً مما رأى، كيف
يعقل هذا؟ من يحرق هذا الوجود الرائع كما المهيب؟

فتح عينيه فزعا مما رأى، وعندما حرك ذراعه ليضعها حيث
الألم، وجدته قد زال، لم تعد ضلوعه محطمة، وحيث رقد نبتت
مصدر أمله الدائم، تلك التي صاحبتة في لحظاته المظلمة، من
الأرض نبتت زهرة نيلوفر زرقاء^(١)، هذه التي لا تنبت إلا في الماء
العذب، إلا أنها دائماً ما تجد طريقها حول أريو.



(١)

جلنار

استلقت جلنار على الأرض لوقت طويل غير قادرة على فعل شيء سوى النظر للسماء التي بدت حزينة، بالقرب منها يجلس شافير يمسك يديها بلطف.

جلنار: "كنت أتصرف كالأطفال، أليس كذلك؟ أتوهم أنه يمكنني أن أحظى بكل شيء في هذا العالم، أن النهاية ستكون سعيدة لي ولصاحب القلب، بينما الواقع مُختلف، ما الذي سيجعل قدرتي مختلفاً عن قدر فارديون؟ هو أحب زوجته، وهي فعلت أيضاً، بالرغم من هذا لم تستطع أن توقف غرائزها وقتلتها، أنا...." شعرت جلنار بأن صوتها يخترق في وجدانها، كل ما آمنت به، كل خطوة خطتها على الرمال في هذه الرحلة باتت بلا معنى الآن، هي غير قادرة على تغيير أي شيء، فنهايتها قد كُتبت منذ أن حملت هذا الفؤاد داخلها، من بين دموعها المتساقطة، ظهر شافير، الذي أجلسها ونظر إليها بيقين غير مقطوع قائلاً بحزم: "أريدك أن تعديني بوعد لا تخلين به أبداً، مهما كانت الظروف، أيّاً تكن الأقدار التي يحملها لنا الغد، عندما يظهر صاحب هذا

القلب، أينما أكنّ اصرخي بأعلى صوتك منادية اسمي كما
اعتدت أن تفعلني دائماً، حتى وإن لم أظهر أمامك مباشرة
استعري في مناشدة اسمي، أعدك بأنّي سأتي إليك، مهما كنت بعيداً
أو ضائعاً سأتابع صوتك، لذلك لا تستسلمي لذلك المخلوق،
لأنّي لن أدعه يلمسك، حتى لو كلفني هذا حياتي."

احتضن شافير جلنار بقوة ولطف شديدتين، فيما تركت جلنار
نفسها للخوف، الحزن، والدموع، هي لا تعلم أيهما تصدق،
فرانز البنّ التي تسحقهم، جاعلة إياهم يبحثون عمّا يخفف هذا
العذاب حتى إن عنى هذا قتل من يحبون، أم عليها الإيمان
بكلمات شافير الذي لم يُخَلَّ يوماً بوعدده، الذي لم يفشل يوماً في
حمايتها، حتى أنه أصيب بجراح بالغة نتيجة حمايته لها، ومع هذه
الفكرة أبعدت جلنار نفسها عنه بسرعة لترى جراحه، أنّى لها أن
تسى أمراً مهماً كهذا؟

جلنار: "ماذا عن جراحك، دعني ألق نظرة عليها."

شافير: "لا تقلقي لقد قمت بمعالجتها."

بالطبع هو لا يهتم بنفسه، كما العادة فهو لا يريها جراحه أبداً،
هذه لم تكن أول مرة يصاب فيها شافير أثناء حمايتها، لكن لا يهم

عدد المرات التي يصاب بها، لا يهم فداحتها، هو دائماً يطبب
جروحه بنفسه، إلا أن جلنار ما كانت لتدع الأمر يمر هذه المرة.

جلنار: "كيف أمكنك علاج جرحٍ بظهرك بنفسك؟ أنت
بالتأكيد لم تتمكن من فعل ذلك، دعني ألق نظرة."

مدت جلنار يدها لتحل الرباط الملتف حول جسد شافير
والذي استخدمه لتضميد جراحه، وقبل أن تصل يدها للرباط
أمسك رفيقها بكلا معصميه مانعاً إياها من الوصول له ثم أردف
قائلاً:

"لا تفعلي"

تصرفه جعل جلنار حانقة لتصرخ في وجهه: "ما مشكلتك؟
لماذا لا تريدني أن أساعدك؟ هل أنا عديمة الفائدة إلى هذه
الدرجة؟"

نظر شافير إليها بنظرة غريبة عليها، إلا أنها ملئت يقيناً، قوة،
كما شغفاً، قائلاً: "لا تدعي ثباتي يخدعك، ربما أنا معك طيلة
حياتك، لكن هذا لم يكن أمراً يسيراً علي، فقبل كل شيء أنا رجل
مع فتاة جميلة مثلك، فلا تدعي صمتي يخدعك."

أنهى شافير جملته ثم نهض من مكانه دون أن يترك أي فرصة
 لجلنار كي تفقه ما حدث، شعرت بالدماء داخل جسدها تغلي من
 قول شافير الأخير، لقد كانت أول مرة تسمع كلاماً كهذا منه، في
 الحقيقة، ومنذ بدأت رحلتهم نحو بابل، كل موازينها انقلبت، لم
 يعد شيء على حاله، مشاعرها نحو رفيقها، كل ما ظنت أنها
 تعرفه، كان خطأ، لم تحلم جلنار يوماً أن شافير يشعر نحوها
 هكذا، وإن فعل فقد قام بعمل جيد كي لا يظهر أي شيء لها، لم
 تعلم كيف تتصرف مع كلماته الأخيرة، كل ما تعلمه هو السعادة
 التي اجتاحتها، يجب عليها أن لا تشعر هكذا وخاصة أنهم اجتازوا
 موقفاً عصبياً، لكنها لا تستطيع كبح جماح مشاعرها التي
 تطايرت في كل مكان، وملأت وجدانها بدفءٍ جميل، هذا الدفء
 يقين أنها حية، ولهذا ستثق بكلماته وتصرخ منادية اسمه عندما
 يظهر البنّ مطالباً بفؤاده، فشافير سيحميها دائماً وأبداً.

نامار

في هذه الليلة الظلماء، حين اختبأ القمر عن أعين الساهرين،
بعيداً عن كل عين تبصره أو لا تبصره، انتظر نامار وحيداً في هدوء،
حيث كل ما صاحبه هو صوت رياح الليل التي داعبت الرمال.

"لا بد أني فقدت عقلي لآتي هنا، كيف سمحت لمخلوق مثله
أن يتلاعب بي مجدداً؟ يحول بيني وبين فريستي، بل كان يجب
علي إنهاء حياته هناك في تلك اللحظة، لماذا لم أفعل؟ هل لأنه
غريمي منذ الأزل؟ أم لأنه يحمل في جعبته ما يمكنه أن يريح
فؤادي الذي لم تنطفى شعلة نيرانه منذ آلاف السنوات؟ وتلك
البن، ما الذي تعرفه عن الفتى؟ كلماتها تؤكد شكوكي، هو ليس
فتى عادياً منذ رأيت طريقة قتاله في زقورة أور علمت أنه ليس
بشراً عادياً، هنالك أمرٌ ما يتعلق به، أكاد أضع يدي عليه، لكنني لا
أجده، أو ربما لا أريد أن أصدقه، هذه الفكرة تنافي الواقع، تنافي
كل ما أعرفه، لكن ما الذي أعرفه حقاً عن أي شيء؟" كانت
أفكار نامار تلقي به من مكان للآخر من غير هدى أو إجابات تريح
فؤاده.

في زمان بعيد، زمان لم يظأ فيه آدم الأرض بعد، وُجدت الجن والبنّ معاً في حرب دائمة. قص أسلاف نامار عليه قَصَصَ بني جنسه، هم مخلوقات وجدت من النار، ثم هبطت من السماء، لتشارك أول قاطنيها من البنّ المسكن، لطالما سأل نامار أسلافه أو من بقي منهم بطبيعة الحال، عن سبب هبوطهم من السماء؟ لماذا لم يظلوا فيها؟ لكنه دائماً ما قوبل بالآلاف الأجوبة، كل فرد من الجن كانت له قصته في هذا الأمر، ولأن وجود الجن على الأرض قد تخطى آلاف السنوات، كل الأولين اندثروا فلم يملك أحد مبرراً حقيقياً، وبهذا توقف نامار عن السؤال متقبلاً الواقع أن هذه أرضهم وموطنهم الذي عليهم حمايته من البنّ.

في قصص أسلافه أخبروه أن البنّ والجان عاشوا بسلام لآلاف السنوات، حافظ كل منهم على موطنه وحدوده، هذا حتى حطم البنّ هذا السلام بحربهم على الجن وإبادتهم لهم بالفضة الموجودة في أجسادهم التي نبتت من شجرتهم الأم المشؤومة، هي أصل وجودهم، لولاها لما وُجد البنّ، أخبره الأسلاف أن واجبه قتل البنّ وإبادتهم، أن حماية بني الجن تقع على عاتقه، لأنه من عشيرة عنقال العريقة، أكبر وأقوى عشائر الجن، وأول

من ساهم في إشعال نار الحرب ضد البنّ، وهذا ما فعله نامار طيلة حياته، كل ما تعلمه وهو فتّي، كل حرب خاضها، كل نار أشعلها كانت في سبيل كبرياء واسم عشيرته الجلييلة، لطالما حمل واجبه بفخر لا نظير له.

خلال حياته الطويلة لم يَسْمَح نامار يوماً للمشاعر أن تتحكم في تصرفاته، حتى عندما شَهِدَ موت الكثير من الجان حوله، منهم عائلته ورفاقه، لم يهز ذلك من وجوده، فهو فخر الجان وعائلته، هو حامل ألقاب لا حصر لها. أول ألقابه كان صوت المحاربين، من تقاليد جيوش الجان عشية أي معركة، أن يحتشدوا في حلقات متتابعة من الأصغر حتى الأكبر، ثم يباشروا بالصراخ بأصوات حرب مخيفة يعلو صداها في كل الجبال والوديان محلقة لأذان أعدائهم ملقية فيهم الرعب، لطالما كان صوت صرخاته هو الأعلى مما جعل الخوف يدب في قلوب الجان قبل البنّ، بهذا أصبح صوت المحاربين. ثاني ألقابه كان فيضان الدم، حصل عليه في إحدى المعارك عندما نصب البنّ كميناً له ولجيشه، كانت خطتهم ذكية وسهلة للغاية، حيث إنهم أخذوا فضة من أوراق شجرتهم الجلييلة وقاموا بتفتيتها حتى باتت مثل حبات الرمل ثم

ألقوها على جيشه الذين خارت قواهم وفقد العديد منهم وعيهم،
فضلاً عن ذلك لم يتمكنوا من استخلاص النار من أجسادهم
لقتل البنّ بها، لكن نامار لم يكن أي محارب، ما كان ليسقط
ضحية البنّ، لعل قتلهم بالنار مستحيل إلا أن جزّ أعناقهم يفي
بالغرض أيضاً، استخرج نامار مخالبه التي لم يحب استخدامها،
ثم بدأ بإصابة عنق كل بنّ رآته عيناه، لتملأ دماؤهم الأرض، فتبع
الجيش طريقة القائد في القتال، تمكنوا أن يقتلوا ما يزيد على ألف
بنّ ذلك اليوم، بالرغم من خسارتهم في المعركة إلا أنه حصل على
لقب فيضان الدم. ثالث ألقابه وأحبها لقلبه، هو همس الموت
لُقب به نظراً لسرعته العالية التي تشق الرياح وتسبقها، لينتج عن
ذلك صدى يُحلق في الأرجاء منذراً بوجود الموت قريباً منهم،
فيكون الهمس الذي يتبع نامار هو آخر ما يصل إلى مسامع البنّ
قبل أن يفقدوا حياتهم.

بالرغم من ديباجته القاسية إلا أن أربعة مخلوقات فقط حركوا
مشاعر نامار، أولهم زوجته، ثم ابنه، وذلك المخلوق الذي لا
يرغب ذكر اسمه، وأخيراً غريمه من البنّ الذي ينتظره الآن،
سيون، أول وآخر بنّ يحفظ نامار اسمه هو الوحيد الذي يعترف به

كفريم له، هذا يظهر عظمة شأنه. في نشأته، سمع نامار الكثير من القصص عن قائد البن، من وحد صفوفهم وجعلهم المقاتلين الذين هم عليه اليوم، بن الماء سيون.

في ذلك اليوم المميز لعشيرة عنقال كما نامار، يوم الاحتفال بترسيمه قائداً لعشيرة عنقال السوداء العظيمة، اجتمعت كل العشيرة حول بركانهم يقذفون من لهيبهم فيه حتى ثار ثائره متطاولاً للسماء منذراً كل بعيد وقريب أن العشيرة تُنصبُ زعيماً جديداً، أن جبروت آل عنقال لا يتضاءل، بل يعظم بطشهم بتولي لهيب يافع القيادة، ومن لم يعلم من كان هذا القائد؟ كل مخلوق بعقل يفكر علم أن نامار هو من سيتولى زعامة عشيرته. ليومين سابقين ظل نامار داخل بركانهم بلا حراك، فيما حرصت العشيرة على ثوران البركان دون توقف، غير مهتمين إن تأذت الأرض أم لا، ولم قد يفعلون؟ فهم جان من اللهب وجدوا، كما أنهم أيقنوا أن لا بن قادمًا صوبهم بقتال أو منعهم فهم ليسوا حمقى بما فيه الكفاية ليقاتلوا أقوى العشائر في عقر دارهم، ثم إن المخلوقات في فترة هدنة فلا معارك أو حروب تقام. تلحف جبل بركانهم باللون الأسود ولم يكن هذا بفعل الحمم فحسب، بل لأن كل العشيرة

وقفت عليه يهتفون إلى عنان السماء بشعائر تتويج الزعيم
الجديد، منتظرين انبثاقه، أخيراً أقبل كبار العشيرة وعلى فوهة
البركان وقفوا ليقوم الزعيم الحالي ووالد نامار بإلقاء فخر آل
عنقال كما سلاحهم في البركان، حيث لكل عشيرة من عشائر
الجان سلاح خاص بهم هو فخرهم كما إرثهم الذي يورث للقائد
الفتي. في هذا البركان ظل نامار ينتظر موعد إلقاء السلاح له، عليه
أن يحمل هذا السلاح وينبثق من بين الحمم كدلالة على ولادته
قائداً لهم، هذا الفخر أمر انتظره طيلة حياته الطويلة، هذا ما تم
تلقينه منذ طفولته، كل ما عمل عليه كان من أجل هذا المنصب،
لكن لِمَ فؤاده مثقل بهذا الأمر؟ لِمَ يشعر به كعبء له؟ لربما لم
يكن هذا العبء الذي أثقل عليه مرتبطاً به، لعله خوفٌ من أن
يطال هذا الوزر ما تحمله زوجته الآن من نسل له، إلا أن أوان
الندم قد ولى فلقد أُلقي السلاح، ليمسك به نامار قوياً في يده،
فارداً جناحيه العظيمين ليضرب بهما الحمم مندفعاً للأعلى ثم
منبثقاً من البركان ومعه تطاولت الحمم لأعالي السماء، ليهتف
كل فرد من عشيرة عنقال فخرأ لقائدهم الذي غطى جناحاه
السماء.

فيما استمر الجان في الاحتفال انطلق نامار متجولاً بعيداً عن كل شيء، عن الموت الذي أحاط بحياته، عن المسؤوليات والفخر اللذين أثقلا كاهله، وحيث أراد أن يكون أي شيء إلا نفسه، هنالك وجدته، مخلوق آخر يصبو إلى الرجاء ذاته، كلاهما مخلوقان وحيدان يبحثان عن السلوى في كل هذا الموت.

"ما الذي يفعله جان مثلك هنا؟ أنت بعيد عن منطقتك."

تحدث البين الذي لم يعرف نامار هويته بعد، إلا أنه بدا وحيداً بين هذه الحشائش الطويلة التي لمست بطولها كتفي نامار، بالرغم من أن البين مخلوقات عُرِفَت بجمالها الأخاذ ليكن هذا من إنائهم أو ذكورهم، حتى أن هذا البين حمل هيئة قومه بلون جسده المخضر، شعره الفضي الطويل الذي انتصف ظهره، عينيه الذهبيتين اللتين عكستا ضوء الشمس وكأنهما الشمس ذاتها، كما وشم الأزهار الزرقاء ببثلاتها البارزة من جسده وأوراقها الفضية، إلا أن الهواء حوله كان مختلفاً، بدا وكأنه العالم كله، بل أن العالم مسخر له، لأول مرة في حياته يشعر نامار بوجوده مُهدداً من قبل مخلوق آخر، حتى عندما لم يُبدِ البين أي عدائية نحوه، غير أن وجوده كان طاغياً، بما تبقى للجان من فخر تمكن من إخراج هذه الكلمات:

"عظيم مثلي له الحرية بالتحرك كيفما شاء." "سيدنا محمد
صدحت ضحكات البنّ في الأرجاء، مما جعل نامار يشعر
بالإهانة والخزي، ليصرخ للبنّ: "أتجرؤ على السخرية من عظيم
مثلي؟ من تحسب نفسك يا هذا؟ أنت مجرد بنّ تعيس"
لم يُحرك البنّ ساكنًا، لم تظهر عليه أي مظاهر للإساءة أو
الإهانة، بل اكتفى بالوقوف حيث هو، قائلاً بصوت هادي: "هل
أنت مثلي؟ أتبحث عن الهدوء بعيداً عن كل شيء؟ محاولاً أن
تجد سبباً لكل هذا الموت، الألم، العويل الذي أصم آذاننا؟"
كلماته أصابت الجان في الصميم، كيف له أن يعلم ما يفكر به
بدقة تكاد لا تشوبها شائبة؟ لولا أنه بنّ لأخطأه نامار بالجان
العرافين الذين يصعدون للسماء، مطلعين على أقدار الغد.
"إن كنت كذلك، فلن أعكر صفو راحتك، يمكنك أن تتخذ
من الأرض فراشاً مثلي، وانظر للسماء، فلا أحد تحتها غيرنا
نحن الاثنين." "ربنا لا نعلم ما نريد، راجعنا من جنة شفق"
كم أراد نامار أن يفعل، لو أنه لم يملك الكثير من الفخر
والكبرياء لفعل، إلا أنه ما كان ليعقد صداقة مع بنّ.
نامار: "هذا لن يحدث أيها البنّ أنا جان، وشرف أسلافي

يقتضي ألا أترك بنًا إلا قتلته." "يا صوته المحاربين؟ يمكنك أن تتجاهل كل شيء ودعنا نحصل على بعض السلام، فأنا لا أنوي قتل أحد اليوم." "لو أمكنني هذا فقط" فكر نامار في روجه التي حملت الشجن داخلها.

نامار: "إذا أنت تعلم من أكون، وتعلم أني لن أدعك ترحل، وإكرامًا من عظيم مثلي سأدعك تنظر للسماء التي تحبها للحظات قبل أن أنهي حياتك."

"أنت نامار من آل عنقال، من لم يسمع باسمك واسم عشيرتك! أنتم من قتل العديد منا، وإنه لمن اللطف منك تركي أنظر للسماء قبل قتلي."

وقف نامار قليلاً من الوقت ثم قرر الانتهاء من الأمر قائلاً:

"وقتك انتهى، سأجعل موتك سريعاً، لا تقلق."

"هذا لطف منك." أجابه البن متبسماً.

لم يعلم نامار إذا كان يهزأ به أم أنه مخلص في كلماته، ولم يهتم كثيراً فالأمر سينتهي الآن. تشكلت خيوط نار من كف نامار

متحركة بشكل دائري لتصنع كرة من نارٍ سوداء كبيرة ثم أطلقها صوب البنّ، وقبل أن تصل إليه النار إذا بتيار من الماء يسبح من بين الحشائش مسرعاً صوب النار مخمداً إياها، فيحال الماء لبخار غطى الأرجاء مانعاً نامار من الرؤية، وليزيح هذا البخار أطلق خيوطاً من النار الرقيقة التي تفرعت كبرقٍ في الأجواء مزينة هذا الستار، ليتجلى البنّ مجدداً بابتسامة لم يعلم نامار كيف يفسرها، ثم نطق قائلاً: "أظننت أني سأدعك تأخذ حياتي من دون قتال؟"

نامار: "إذا أنت تريد القتال؟ ظننتك لا ترغب القتال اليوم"
"لا، قلت إني لا أرغب القتل اليوم، ولكن أنت من يقهرني للقتال."

نامار: "لمن الغرور أن تحسب نفسك قادراً على قتلي"
"لا تقلق نهايتك لن تكون اليوم، ولن تكون على يدي بأي حال."

شعر الجان بالحنق يستعر داخله، لم يقابل في حياته بنّا مثل هذا، واثق بنفسه، لا يرتعد خوفاً من لقاءه، مغرور لهذه الدرجة، فالغرور صفة الجان وليس البنّ، بأي حال أي رغبة لـ نامار بعدم

القتال اليوم تلاشت، كل رغبة له بالسلاام والهرب تحولت لغضب وحماس لقتل البن المائل أمامه، مستخدماً سرعته العالية انطلق صوب البن، مصوباً مخالبه نحو عنقه، عندما لمست مخالبه البن وقبيل أن يغرزها في عنقه، وجد نامار أن حركته قد سُلت، نظر حوله ليجد خيوطاً من الماء قد التفت حول جسده مانعة إياه من الحراك، أما البن فقد وقف حيث هو ينظر إليه نظرة استخفاف ومنتعة بما يحدث، شعر الجان بالسخط يتأجج داخله وبرغبة شديدة لسحق وجه غريمه. أشعل نامار كامل جسده بالنار كي يححر نفسه من الماء، ليعم البخار المكان مجدداً، علم أن أفضل طريقة هي بإطلاق ومضات من اللهب طيلة القتال وذلك لإزالة أي بخار ينتج مع تقابل الماء بالنار، وهذا ما فعله، قبل أن ينقشع الستار الذي حجب نظره وجد نامار ظل خصمه خلف البخار فأطلق خيوطاً من النار المسننة صوب غريمه إلا أن الظل تلاشى مع البخار الذي انقشع بفعل اللهب، ولم يكن البن خلفه، علم نامار أن ما رآه هو سراب تشكل بفعل الحرارة فعكس صورة البن، فجأة شعر الجان بشيء حاد يصيبه في ظهره، التفت بسرعة مطلقاً رماحاً من النار نحو مصدر الهجوم، ليجد البن ممسكاً في يديه سوطين رفيعين من الماء وبدأ بتحريكهما بسرعة مصيباً كل

الرياح التي تلاشت نيرانها، صوت فرقة السوطين كان عاليًا
لللغاية وحادًا حتى إنه حطم حاجز الصمت، سرعتهما مزقت
الهواء في طريقهما محدثة أعاصير قوية وكاسرة في الآن ذاته، قرر
نامار استغلال الرياح وأطلق كرات من النار التي التحمت مع
الرياح محدثة زوبعة نارية هائلة أحرقت الأرض كما النباتات،
وقف الجان لحظات يراقب غريمه الذي ولأول مرة منذ رآه وضع
وجهًا جادًا، ليوجس في نفسه خيفة، ثم نظر البين لنامار في غضبٍ
قائلًا:

"كنت أنوي إضاعة بعض الوقت بالعبث معك في معركة ودية،
لكنك تجاوزت الحدود أيها الجان، إحراق الأرض، جريمة لن
أتهاون فيها."

"معركة ودية؟" تساءل نامار داخله، كيف يمكن لهذه أن تكون
معركة ودية، هو يقاتل بكل ما أوتي من قوة، وهذا البين يقول:
"معركة ودية!" قبل أن يتمكن نامار من فقه ما يحدث إذا بموجة
من المياه الغاضبة أتت نحوه غامرة إياه داخلها ثم تحركت المياه
بشكل دائري لتصنع من نفسها كرة حبست داخلها الجان، ظن
نامار أن هذا مجرد عبث، فهو جان قادر على الوجود في الماء

والتنفس فيها بحرية، إلا أن الواقع كان غير ذلك، فلبن أفكار أخرى، بدأت كرة الماء بعد ذلك بالتقلص مسببة ضغطاً هائلاً على جسد نامار الذي وجد أن أحشائه تعتصر بسرعة تفوق قدرته على التصرف، وبما تبقى لديه من بديهة، أشعل كامل جسده بالنار محاولاً تبخير المياه، وعندما لم تعمل النيران بالسرعة الكافية، زاد نامار من حرارتها وكثافتها، وحين شعر بأن قليلاً من الضغط قد انزاح أطلق النار من حوله بقوة وسرعة شديتين لتبدو مثل البرق الذي يقسم السماء، أخيراً تبخرت كل المياه مطلقاً سراح نامار الذي سقط أرضاً محاولاً التقاط أنفاسه، رفع ناظره مجدداً باحثاً عن خصمه، فوجده يقف محركاً بيديه المياه في الأرجاء محاولاً إطفاء زوبعة النار التي تحركت بسرعة محرقة كل شيء، أما وجهه فقد حمل تعابير الألم والحزن، كما كان هنالك نظرة ذعر وإن كانت بسيطة للغاية لكنها وجدت، بدا وكأن البن يحاول حماية أغلى ما يملك، رأى نامار أنها فرصة لا تعوض كي يصيب غريمه بمقتل، غطى الجان ذراعه بلهيب منه أسود ليتحرك هذا اللهب صوب يده متشكلاً على هيئة سلاح عشيرته

وهو منجل أسود اللون صنع من حجارة السبج البركانية^(١)، ثم فرد نامار جناحيه الأسودين محلّقاً صوب ظهر خصمه الذي كان منشغلاً بإطفاء النار، علم نامار أن ما يقوم به عمل جبان فلا تُقتل الخصوم غدرًا من الظهر، لكنه لم يبالي، قبل أن يلمس المنجل البينّ إذا بجدار رقيق من الماء يقف حاجزاً بين المنجل والبنّ الذي لم يحرك ساكنًا واستمر بتحريك المياه بكل إخلاص، مما أغضب نامار "هو حقًا يستهزئ بي، سأجعله يدفع ثمن هذا"

ليوجه نار سخطة كله نحو المنجل لتزداد حرارة اللهب، فيبدأ الماء بالغليان مصيبًا البينّ بحروق شديدة في ظهره، حتى هذا لم يجعل البينّ يتوانى عن القيام بعمله، كل ما تغيّر هو تعبير الألم الصامت في وجهه، لم يتراجع نامار ليزداد تصميمًا من خلال إشعال المزيد من نيرانه حتى كاد الماء أن يتبخّر، في تلك اللحظة قام البينّ بخفض كلتا ذراعيه نحو الأرض، أغلق قبضتيه، ثم رفع يده بسرعة وعنّف لتوازي الأرض، وفي منظر مهيب إذا بالماء يتطاير من الحشائش محلّقًا كقطرات مطر حامت فوق الأرض



(١)

عوضاً أن تسقط من السماء، توقف الزمن في تلك اللحظة، أما
نامار فقد تراجع للخلف مضطرباً، فهو لم يرَ أمراً كهذا في كل
معاركه، قبل أن يبتعد نامار كثيراً، إذ بالبن يرفع يده بسرعة للسماء
مطلقاً صرخة و صب عالية رفعت معها قطرات الماء للسماء، ثم
هوى البن بذراعيه للأرض ليسقط الماء صوب الأرض بسرعة
وقوة، أصابت كل جسد الجان وكأنها أسهم، مما جعله يختر
أرضاً متألمًا.

فتح نامار عينيه والألم يملأ جسده، حاول النهوض من
الأرض ولمفاجأته وجد أن يديه وقدميه مقيدة بحبال من الفضة
التي أحرقتة عندما تحرك.

"ما كنت لأفعل ذلك لو كنت مكانك." أتى صوت من خلفه،
التفت لمصدر الصوت ليجد خصمه يجلس بهدوء في مكانه.

نامار: "ما الذي تفعله؟"

"ماذا تقصد؟ أنا أجلس هنا كما ترى"

نظر نامار إليه فوجد أن هدوءه وعدم مبالاته قد عاوداه، يكاد
يقسم أنه ما كان ليصدق أن مخلوقاً مثله قادر على القتال بهذه
الطريقة، لولا أنه اختبر هذا بنفسه، بالرغم من كل معاركه، هذه

المعركة وهذا الخصم إنهما مختلفان تماماً. كيف لم تلتقي
طرفهما من قبل؟

نامار: "ما الذي فعله تجلس هنالك دون قتلي؟"
ضحك البين تلك الضحكة المستهترة ذاتها مجيباً: "أخبرتكَ
أني لا أملك رغبة في قتل أحد اليوم. أنت خصم قوي، لقد قاتلت
الكثير من أسلافك من قبل، لكن لا أحد منهم مثلك، أنت سريع،
تملك بديهة قتالية جيدة، مغرور، والقتال معك ممتع، لا عجب
أنك نُصِّبَتَ قائداً على عشيرتك، يبدو أن هذه ستكون متعتي
الجديدة، أقصد النزال معك، ما دمنا لا نقتل أحداً، وفي حال لا
تفتعل عملاً أرعن مثل اليوم، إشعال النار بهذه الطريقة يؤذي
الأرض، انظر إلى ما جعلتني أفعله."

ثم أو ما برأسه مشيراً نحو الحشائش في الأرض، نظر نامار
حيث أشار البين ليجد أن الكثير من الحشائش قد جفت وذبلت
للأرض ليتحول لونها للبيني بعد أن كانت خضراء جميلة، شعر
نامار بالذعر من المشهد المائل أمامه، كيف يمكن لبين أن يمتلك
كل هذه القوى؟ هل استخففنا بقوتهم الحقيقية؟ كل هذا الدمار،
كيف يعقل؟ لكن لو أنهم بهذه القوى حقاً، فكيف أمكننا قتلهم؟

لماذا لم تتم إبادتنا حتى الآن؟ من بين كل هذه الأسئلة وجد نامار سؤالاً واحداً يخرج من فمه: "أأنت من صنع هذا؟"

"وهل من أحد غيري هنا؟"

نامار: "توقف عن الاستخفاف بي وأجبني!"

"أنا لا أستخف بك، وإجابة على سؤالك فأجل هذا من صناعي، احتجت أن أستخرج أكبر كمية ممكنة من الماء لقتل نارك."

نامار: "هل كل البنّ بمثل قوتك؟"

نظر إليه البنّ وابتسم ثم أردف: "صدق أو لا تصدق نحن لا نريد الحرب"

نامار: "أنتم من بدأها، لقد حطمتم السلام"

تلك النظرة الهادئة تلاشت من عيني البنّ ليجيب: "لا يجب عليك تصديق كل ما يُقال لك، تعلم أن تجد الحقيقة بنفسك."

ثم نهض البنّ من مكانه متجهاً نحو نامار الذي ظن أن أوانه قد آن، ليجد أن البنّ قام بتحريره قائلاً: "عد لعشيرتك ودعهم يعالجوا جراحك"

نامار: "أفضل الموت على أن أعود حاملاً أوزار هزيمة من

بين"

"أنت لم تعلم قيمة الحياة بعد، أليس كذلك؟ كل ما تعلمته في

صغرك هو الحرب، كل ما تم تدريبك عليه هو القتل."

كلماته أصابت نامار بالواقع الذي لم يلحظه من قبل فوجد أن

الكلمات تخونه.

"أيها المقاتل العظيم نامار، طرفنا ستلتقي مجدداً فحيث إنني

دائماً ما أهرب بعيداً عن كل شيء واتي إلى هنا، أعلمُ أني سألقاك

هنا مجدداً، واعترافاً مني بكونك خصماً جديراً بالذكر، سأترك

آثار الحروق التي تسببت بها في ظهري كذكرى لهذا اليوم، وسأؤ

شرفٍ أحمله لقتالي مع نامار من آل عنقال، العظيم." قال البنّ

هذه الكلمات ثم بدأ بالسير مبتعداً عنه.

لطالما امتلك البنّ سرعة شفاء هائلة وحرق كهذا لا يصعب

إزالته، علم نامار أنه وجد نده، لا بل هو أقوى منه وأفضل، ومن

غير سيطرة منه وجد نفسه يصرخ قائلاً: "ما اسمك؟"

التفت البنّ نحو نامار، مبتسماً ابتسامة نصر وسعادة قائلاً:

ورثة العبرانيين
"سيون النيلوفر الأزرق"
علم حينها الجان أنه التقى قائد البنّ وأسطورتهم الحية، لأول
مرة يعترف نامار بخصم جدير باحترامه.
منذ ذلك اليوم بات هذان الاثنان غريمين بعضهما لبعض، كان
قتالهما كثيراً لكن لم يكن يوماً داخل أرض المعركة، فإن حدث
ووجدوا في المعركة ذاتها تولى كل منهما عن الآخر، وكأنه ميثاق
صامت عقده الاثنان بعدم الاشتباك في قتال حقيقي، وفي غروب
ناري، احترقت روابطهما، عندما أحرق نامار الشجرة، كلاهما
أصبح بلا سبب للعيش، بلا قلب ينبض، في تلك الليلة فقد نامار
هيئة الجان، ليحترق جسده ناراً أبدية، متغيراً لدخان.



(١)

سيون

"كم تبدو قبيحًا بهذه الهيئة، بالرغم من أنها تليق بك، أهذا ما تفعله آلاف السنوات في الحبس؟"

أدار نامار وجهه لمصدر الصوت ليجد سيون يقف أمامه.
"وأنت ما زلت تملك مظهر البنّ الذي لا أفتأ أجده قبيحًا، حتى بعد فراق دام آلاف السنوات، غير أني أجد البشر بقبحكم ذاته."

سيون: "أرجوك، تتحدث وكأن الجان أفضل المخلوقات هنا، أنت دليل حي على شناعتكم."

نامار: "لن أجادلك هنا، أخبرني المعلومات التي لديك، فلا أرغب بالوجود معك بقدر عدم رغبتني بالغفران"

سيون: "أهذا اعتراف منك بذنبك؟" تحدث بالنبرة الساخرة ذاتها، التي يعلم أن رفيقه لا يحبها ولم يعتدها يوماً، كما أنه سأله عن الذنب الذي لن يعترف به، حتى لو عنى ذلك موته.

نامار: "أقسم لك يا هذا أني..."

سيون: "ماذا تقتلني؟ كم من مرة سمعتك تقول هذا لكنك لم تستطع يوماً."

صرخ نامار الذي ضاق صدره قائلاً: "حباً للسماء سيون، لا تختبر صبري، لقد كبحت جماح غضبي ما يزيد على ثلاثين ألف عام في الحبس، ولست أمانع إطلاقه عليك الآن، أخبرني ما الذي تعرفه عمّن قتل ابني، وجعل زوجتي تزهرق روحها"

صمت سيون لحظات يحاول إصمات غضبه هو الآخر وعندما فشل توقف عن كبح لجام سخطه.

سيون: "أحقاً تسأل عن الأمر الآن؟ بعد ما اقترفته بحق ذي البنّ، لماذا لم تطرح هذا السؤال قبل أن تقترف فعلتك وتحرق كل شيء؟ الآن بعد مئات الآلاف من الأعوام؟ الآن وقد أحرقت كل شيء؟ حولت حياتنا لجحيم لا ينتهي، أعتقد أنك الوحيد من خسر ذلك اليوم؟ أنك وحدك من تألم؟ لقد دمرت وقضيت على فصيلة مخلوقات كاملة، حكمت علينا بالموت ونحن أحياء..."

قبل أن ينتهي سيون من موجة الغضب إذا بخيط دخان ينطلق صوبه، فيما تحرك سيون بسرعة متفادياً إياه، ليعيد نامار توجيهه من خلف سيون محاولاً إصابته من الخلف، إلا أنه أطلق سوطيه

من الماء واللذين كانا اختياره المفضل، وضرب بهما الدخان قاطعاً إياه.

سيون: "إذا هي معركة تبغيها."

فيما تحرك البن ليقاتل خصمه إذا بـ نامار يتصرف بطريقة لم يعهد لها سيون أبداً طيلة فترة تعارفهما أو حتى صداقتهما التي امتدت لألفيات.

نامار: "تبّا لك سيون لا تحرق روعي أكثر مما تحترق، سَمّني ما تشاء، قل عني ما تريد، أنا لا أحفل، فقط أخبرني بما يخمد هذه النار التي أحالت روعي لرماد لا ينطفئ."

في تلك اللحظة توقف سيون في مكانه وأخفى سوطيه، ناظراً لذلك المخلوق الكامن أمامه، هو يتألم بطريقة لم يعلم أنه قادر عليها، لطالما علم أن نامار أحب عشيرته وابنه حباً جمّاً، حتى وإن لم يظهر هذا يوماً، إلا أن موتها أهلك روحه، وجعله يدخل في بطشة قتل، سخط، وإحراق، خرجت عن سيطرته، بل إن نامار تطلع لاسمه ذلك اليوم لقد كان الغضب كامناً، متشكلاً بهيئة جان.

أشفق البنّ على من كان يوماً ما صديقه، هذا الألم الذي يشعر

به، هو ذاته الذي شعر به سيون قبلاً، هو أيضاً فقد أكثر من أحب،
وسيفقد عزيزاً آخر ما لم يتصرف بحكمة، هو يعي الألم، الرجاء
الصامت، والبحث بيأس عن قطرة ماء تروي خواء الوجدان.

سيون: "أنت تعلم أني لم أقتل ابنك، أليس كذلك؟"

نامار: "أتسأل عن هذا حقاً؟"

لم يجب سيون إلا أنه نظر لـ نامار يخبره أنه لن يتحدث ما لم
يحصل على إجابة.

نامار: "إذا أجبتك، أسيوقف هذا التساؤلات الكثيرة التي لا

تنتهي؟"

مجدداً لم يجب سيون.

نامار: "لم أصدق يوماً أنك قتلت دارسون. أيكفيك هذا؟ كل

ما أعلمه أن أحد البنّ فعل."

سيون: "لم يقم أحدٌ من البنّ بقتل ابنك، ما كنت لأسمح

بحدوث هذا."

نامار: "إذاً من فعل؟ هل قتله بشري على سبيل المثال؟ إذا لم

يكن البنّ هم المسؤولين فمن المسؤول عن خسارتي عائلتي؟ من

المسؤول عن إحراق فؤاد زوجتي زمارتا حتى إنها فضلت إزهاق

روحها على أن تحيا في كون لا يوجد فيه ابنا؟"

لأول مرة منذ ألفيات يجد نامار الشجاعة لنطق اسم ابنه دارسون وعشيرته المحبوبة زمارتا، لهو شعور مؤلم بحق، إلا أنه امتزج بالشوق والحنين للذين كادا يفقدانه عقله لثوانٍ.

علم سيون أن نامار يسخر من اقتراحه بأن البنّ لم يقتلوا ابنه، فلم يوجد البشر آنذاك، ونظراً لمكانة نامار واسم عشيرته فلا أحد من العجان سيجرؤ على المساس بدارسون، هذا ما اعتمده القتلة بأي حال من الأحوال.

سيون: "سبق وأن أخبرتك أن تبحث عن الحقيقة بنفسك، لكنك كنت دائماً ما تُساق بكلام من حولك، تأخذ فقط ما يعطى لك من معلومات..."

نامار: "سيون أقسم باسم فخري أني سأبيد ذلك الفتى الذي أتيت لحمايته، إذا لم تبدأ بالحديث."

في تلك اللحظة تجمدت الدماء داخل سيون وتأجج حنقه، كيف أمكنه أن يكون مهملاً هكذا؟ سوف يعرض آخر شخص عزيز عليه للخطر بهذه الطريقة، عليه أن يكون حذراً.

سيون: "لا تجرؤ على تهديدي نامار، لو لمست شعرة واحدة

من أزيو فلن أتهاون بقتلك، لكن اعلم أن من خطط لقتل ابنك هم عشائر الجان الأربع عشرة، هم من قتل ابنك وتحذثوا عنا زوراً." نامار: "هل تعتقد أني سأصدق هذا؟ لماذا قد يفعلون أمراً طائشاً؟ هم لن يتجرؤوا على خيانتني، بل هم يخشونني حد الموت فلن يجروؤوا."

سيون: "لهذا السبب تماماً قتلوا ابنك، لأنهم يعلمون مدى قوتك وكونك عاملاً مهمّاً في حروبهم، أنت كنت ستوقف الحرب، أليس كذلك؟"

رأى سيون الصدمة في عيني نامار وكأنه لأول مرة يعي أمراً كهذا.

نامار: "أنت تهذي يا هذا لا يمكن؟" بدت هيئته كمن بُهت. سيون: "سبق وأخبرتكَ في أحد لقاءاتنا أنك ستغير وجه التاريخ معي، أنك لست مثل بني النار، بطريقتك الخاصة كنت تريد إنهاء الحرب، لقد توقفت عن خوض المعارك ضد البنّ، ثم منعت عشيرتك من القتال لقرون، بحجة التقليل من الخسارة، وأخيراً بدأت بالإشارة إلى إيجاد حدود مشتركة بين الجان والبنّ. هل ظننت أن عشائر الجان سيوافقون على هذا؟ هم من بدأ هذه

الحرب المشؤومة التي امتدت لألفيات لا تحصى، وأنت نامار بن عنقال كنت مرشحاً لحمل لقب المقاتل الأسطوري، شرف قلة من الجان حملوه منذ هبوطهم الأرض، أتعتقد أن العشائر ستدعك تُحل السلام؟ لهذا قتلوا دارسون وحملوا وزر هذا العمل على ابنٍ لدفعك للقتال مجدداً، لأخذ مجدهم."

توقف سيون عن الحديث وراقب فيما تغير دخان نامار عدة مرات، أولاً توقف كل الدخان عن الحركة تماماً وكأنه يدرك شيئاً ما، بعد لحظات هبط الدخان وسبح فوق الأرض وكأنه محطم حزين، مرة أخيرة بدأ الدخان بالارتفاع من الأرض ثم ارتفع أكثر، فجأة إذ بكل الدخان يندفع للسماء ويتفرق بكل الاتجاهات بدا كأنه يبحث عن مخلوق ليقتله، نظر سيون لنامار الذي خلافاً للماضي لم يمتلك وجهاً يظهر مشاعره، إلا أن أمراً لم يتغير هو أن عينيه لطالما عبرتا عما لم يعبر عنه فمه أو وجهه.

بدا أن نامار سيُحيي فاجعة تلك الليلة مجدداً، وعضاً عن إحراق شجرة، هو سيحيل حياة كل جان حي لجحيم أسود، ليس كأن سيون يهتم لأمر الجان أو أي منهم، إلا أن أمر صديقه يهمه وإن كره الاعتراف بهذا لنفسه حتى، فهو مجرد روح أعيائها القتال،

والجروح في عالم يجهله حقًا، لطالما بدا نامار مثل الطفل في عيني سيون وإن كان جزء من هذا حقيقيًا، فبالرغم من أن نامار يبلغ من العمر آلاف الأعوام، عدا أن سيون عاش أضعاف هذا العمر على الأقل، هو من ثاني جيل بنّ أزهروا من الأرض، إن لم يكن آخر الموجودين من جيل الصفوة.

سيون: "توقف قبل أن تقترف أمراً تندم عليه لاحقاً."

نامار: "سأحرقهم عن بكرة أبيهم، سأحيل حياتهم لجحيم لم يروه من قبل، سأجعلهم يخافون الخروج من جحورهم، لن يهنا لي بال حتى أحرق آخر واحد من ذرياتهم."

بدأ نامار بالتحليق بسرعة لقتل أي جان قد يراه، حينها تحرك سيون بسرعة لمنعه، أطلق موجة من الماء بسرعة نحو نامار لاحتوائه، إلا أن الماء عبر خلال الدخان دون إصابته، حقيقة أن جسد نامار تلحف بدخان كثيف جعلت إصابته صعبة، لذلك على سيون استخدام الرياح كي يشر الدخان من على خصمه، مجدداً أطلق البنّ سوّطيّ الماء وبدأ بتحريكهما بسرعة عالية ليشق الهواء محرّكاً إياه في اتجاه نامار، ليصيبه إصابة أخلت بتوازنه، حينها التفت الجان نحو سيون وانطلق صوبه بغضب قائلاً: "سأقتلك إن

وقفت في طريقي سيون."

ثم أطلق زوبعة من الدخان أحاطت سيون وبدأت بسحب الهواء من داخلها مصيبة إياه بالاختناق، حينها علم أن عليه اللجوء لآخر وسيلة لديه والتي لم يرغب في فعلها الآن فصرخ قائلاً: "دارسون لديه ذرية."

ما أن قال هذه العبارة، حتى انحسر الدخان بعيداً عن سيون ليجد نامار أمامه قائلاً: "ما الذي قلته للتو؟"

سيون: "ابنك لديه ذرية، قبل أن يُقتل تزواج مع إحداهن، أنثى أحبها وأحبته، سبب آخر لجعل الجان يقتلونه."

نامار: "لماذا قد يقتل الجان ابني لأنه تزواج مع أنثى أحبها؟"

سيون: "لأنها من البن"

نامار

وقع هذا النبأ كالصاعقة على نامار مما جعل كل غضبه يتلاشى فيخر أرضاً مبعثراً دخانه على الأرض. كيف يمكن لأمر كهذا أن يحدث؟ كيف لم ير الدلالات؟ هو يعلم أنه لم يكن الأب أو القرين المثالي، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك، بالرغم من أن نامار سبح في هيام زوجته، كما أحب ابنه أكثر مما تستطيع الكلمات أن تصف إلا أنه لطالما كان بخيلاً في مشاعره، ربما لأنه هو الآخر لم يتلقَ أي مشاعر من أبويه، كل ما تعلمه في نشأته هو كيف يصبح بلا رحمة، لقد جَلَدَ والده المشاعر كلها من جسده، في كل مرة أظهر نامار مقداراً بسيطاً من المشاعر قوبل بعقاب شديد من أحد والديه، ليتم ضربه، حرمانه من الطعام، أحياناً كان يُحبس لسنوات عقاباً له، حتى بات لا يشعر بأي شيء إلا الغضب نحو الكون كله، كل هذا من أجل صقله ليكون أفضل سلاح، فالمقاتل الجيد لا يحمل داخله أي مشاعر قد تعيق تقدمه.

والد نامار كان من عشيرة عنقال، ووالدته من عشيرة ضراب، هاتان العشيرتان تعدان من أكبر وأقوى العشائر، وفي تقاليد الجان فإن العشائر القوية يقترنون معاً، لذلك كان اقتران والديه مجرد

تقاليد لإنتاج أقوى ذرية من الجنود والذين سيرفعون راية الجان
وعشائرهم. حتى نامار اقترن بعشيرة عريقة وفق التقاليد، إلا أن
رفيقته كانت مختلفة عن أي شيء عرفه، لم تفكر يوماً بالتقاليد،
بالمجد، أو بالحرب، هي كانت نسمة هواء علية عصفت بوجدان
نامار، حركت فيه مشاعر لم يعلم بوجودها

كانت جميلة للغاية، بجسدها الذي تلون بلون السماء وشعرها
المجنون الذي تلون بأعماق المحيط، وعينيها اللتين سطعت
فيهما نجوم الليل، آه! كم كانت الوجود كله، كم كانت رقيقة، لقد
كانت أغنية روحه، رأى نامار في عينيها حب الوجود كله، ولمستها
كانت قادرة على إزالة أعباء أي حرب يخوضها، غير أنه لم يعرف
إلا الحرب في حياته، حتى عندما أحبها لحد الجنون لم يجد في
أحرفه كلمة حب، لم يستطع إظهارها لها، لم يعلم كيف يطلق
مشاعره، لطالما قالت له زمارتا: "في عينيك مشاعر الكون كله،
تحت هذا الدرع الغليظ أعلم مشاعرك الحقيقية نامار، أستطيع
رؤية ذاتي في عينيك، أعلم أن مشاعرك نحوي أكبر من كل
الكلمات، لكن أتمنى لو أسمعها من ثغرك ولو لمرة واحدة."
كم تمنى لو أنه أخبرها ولو لمرة واحدة أنه أحبها، لربما ما

أزهقت روحها، حتى وهي تحتضر أمامه لم يستطع توديعها بكلمة الحب، كم كره ذاته لذلك، وكرهها أكثر عندما ودعت سينا فارديون الميت بكلمات الحب، في حين هو لم يمنحها لزمارتا حتى في احتضارها.

ثم هنالك دارسون، ابنه الذي وجد فيه نامار سعادته الصامتة، هو كان فخره، رجاءه، سيفه الذي يضرب من أجله، هو الحرب التي سيقمها. إلا أن نامار لم يكن لدارسون إلا قائداً حربيًا، قام بتعليم ابنه كل ما يلزم للحرب، صقله جاعلاً منه الجندي ومحارب العدو المثالي، فخر عشيرة عنقال، من سيحمل شعلة الحرب بعده، لعله لم يصنع به ما صنعت عائلته، عدا أنه لطالما رأى الخوف والتردد في عيني ابنه، حتى عندما ألفتته رؤية هذا لم يغير من طريقة تعامله، خلال الألفيتين اللتين عاشهما ابنه لم يتبادلا حواراً لم تُذكر فيه الحرب، لم يعلم نامار يوماً ما يحب ابنه مما يكره، كل مرة فتح فيها فمه مع ابنه كانت لانتقاد شيء خاطئ فيه، ليكن هجماته، حركاته، أو حتى سكونه، دائماً ما وجد خطأ ما في دارسون، حتى رجاءات زمارتاله كي يتقرب من ابنه لم تأت بفائدة، إلى أن أتى ذلك اليوم الذي تلقى فيه نامار ما تبقى من ابنه الميت.

في يوم حار مليء بالغيوم السوداء وجد نامار ثلاثة جنود من
الجان يقتربون صوبه، شيء ما في خلدته ألمه، عند اللقاء نطقوا
بجملة واحدة: "دارسون رحل من هذا العالم."

تلوا نبأهم ثم بسطوا أيديهم مقدمين ما تبقى من جناحي
دارسون، وقرنيه الكبيرين، المعقوفين، الأسودين مثل سواد ليلة
ظلماء غاب عنها القمر، علم نامار أنهما لابنه منذ لمحهما، من
خلال معرفته بابنه والتي تكاد تكون معدومة، أحب دارسون
هذين القرنين اللذين ورثهما عن والده وإن لم يكونا بمثل
عظمتهما، شعر نامار بوجوده ينطفئ، تلك النار التي صنعت
وجوده خبت وأحيلت لدخان أسود، من خلفه سمع صوت
زمارتا تتحجب من دون أن تجد سلوى من قرينها، الذي وقف مثل
الجبل صامتاً لا يهتز لريح، كل ما فعله هو أنه قال: "كيف؟
ومن؟"

ليأتيه الجواب: "سيون"

لم يسمع بعد ذلك ما قيل عن كيف قُتل أو لماذا، أخذ نامار
شظايا قرنيه ابنه وسار مبتعداً عن كل شيء حتى عن زمارتا التي
ظلت تصرخ ألم قلبها، لم ينظر إليها لأنه شعر بالخزي من ذاته،

لأن عينيه لا تستحقان رؤيتها، لم يذرف دموعه حزن واحدة، لأنه لا يستحق بكاء من قتل بإهماله، كما أن كل دموع العالم مع أمطاره الأزلية لا تكفي قطرة دم واحدة من دارسون. تابع نامار سيره مبتعداً عن الوجود كله، كل ما يذكره بعد ذلك هو يدها الملطختان بدم أخضر عطر، علم أنها دماء بن لكن لم يعلم لمن تعود ولم يهتم حقاً، في حالته التي تشبه السكر سار عائداً حيث زمارتا، ليجدها مستلقية هناك بين شقوق الجبال المظلمة إلا بقليل من الضوء الذي ألقى بخيوطه عليها مظهراً جمالها الذي كان يذبل، اقترب نامار منها بفؤاد خاو، ليجد أنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، من دون أي أثر لإصابة في جسدها علم أنها قتلت نفسها بابتلاع سم ما، لم يستطع نامار أن يشعر بشيء حتى وهي تحضر أمامه، لم يشعر بأي شيء، لم تتلون عيناه اللتان أحبتهما زمارتا بالألم، الحزن، أو حتى الذعر، لم يمسك بها بين ذراعيه ليخفف من ألمها، ليودعها، فقط اكتفى بالنظر إليها، ومن بين آخر لحظاتها لفظت شيئاً لا يذكره نامار، حتى بعد كل هذه الألفيات مهما حاول أن يتذكر آخر كلماتها لم يستطع، لذلك قرر أن يختارها هو:

"أنت السبب، أنا أكرهك!"

أجل هذا ما قرر نامار أن يكون آخر كلماتها، لعل هذا يخفف من ذنبه، لو أن آخر كلماتها كانت مُجِبة، لما أراد أن يسمعها هو لا يستحق حبًا مثل حب زمارتا، هو لا يستحق شيئًا، أخيراً وعندما تلاشى جسدها للنار التي هي عليها، ومعها اختفى كل منطق ووعي في نامار. انطلق مثل المسعور صوب موطن البن لا يعلم من واجهه، من قتل، لا يعلم أي شيء إلا أنه أراد الوصول لتلك الشجرة وحرقتها، أراد حرق سيون مثل ما أحرقه، عميقاً داخل ما تبقى من وعيه علم أن سيون ليس المُذنب، إلا أن نامار أراد لأحد ما أن يعاني مثله، ولا أحد أفضل من رفيقه الذي أحب الأرض والشجرة مثل حبه لعائلته التي سُلبت منه. عندما وصل لتلك الشجرة، آه كم كانت ساحرة، بجذورها التي امتدت فوق الأرض وتحتها وأوراقها التي عكست ضوء المغيب قصاصات على الأرض، إلا أن هذا الجمال لا بد له أن يحترق لعل هذا كاف لإطفاء نار الغضب التي أحرقته وجوده، وضع نامار يده عليها وأطلق ناراً لم يطلقها في كل معاركه، كانت لظى حتى أنها لونت سماء الغروب ليلاً قبل أوانه، لم يكبح نامار جماح سخطه ولا ناره وتركها تندلع حتى أحرقته هو الآخر محيلة هيئته لهيئة الدخان التي أصبح عليها، حينها توجّ نامار بلقبين آخرين:

أسطورة الجان الرابعة، وأنفاس الظلام، لقبان لم يهتم بهما أو
يرغب الحصول عليهما، فلا حياة له بعد فقدان كل شيء.

انتزع نامار ذاته من ذكريات الماضي المؤلمة بسؤال يستنكر ما
قاله سيون:

"لحظة واحدة، كيف يعقل أن لابني ذرية من بنّ في حين أنكم
لا تنجبون؟"

سيون

طرح نامار سؤالاً منطقيًا لكل من عرف البينّ، هو ذاته السؤال الذي طرحه سيون على نفسه لحظة علم بوجود ذرية مهجنة من البينّ والجان.

في بداية الوجود وجدت تلك الشجرة والتي أطلق عليها البينّ أورا وتعني الحياة، ثم أزهرت أزهاراً بألوان وأشكال مختلفة، لشمر هذه الأزهار بالبينّ الذين ينفصلون عن أورا بعد آلاف الأعوام. لم يكن البينّ في حاجة لتعلم أي شيء فقد فطرت معرفتهم فيهم من خلال أورا، قام أول جيل من البينّ بعملية التكاثر الأولى، حيث إنهم قاموا بزرع أفئدتهم في بقاع الأرض كما وجهتهم أورا، منهم من زرعتها في الماء، آخرون قرب البراكين، في البحار، الجبال، والوديان، لم توجد بقعة لم يزرع فيها البينّ قلوبهم، لتبدأ هذه القلوب بشق الأرض، لتنبت أشجاراً يكتمل نموها بعد آلاف أخرى، مزهرة بناً آخرين، أما من زُرعت أفئدتهم من الجيل الأول فقد تلاشوا للأرض بعد عشرين عاماً، وُجد البينّ على هذه الأرض بمفردهم لوقت طويل، بأشكال وأنواع مختلفة،

بالرغم من اختلافاتهم و تنوعهم لم يتقاتل البنّ يوماً، لم يخوضوا
 أي حروب، لقد أحبوا الأرض، واحترموها، لم يملكوا حدوداً،
 قوانين، ملوكاً، حكاماً، أو سلاطين، كانت لغتهم واحدة،
 وهدفهم واحداً، العيش بتناغم وحب وهذا ما فعلوه، اتخذوا من
 الجبال بيوتاً، من السهول والهضاب كما الأنهار، كانت الأرض
 كلها ملكاً لهم ليتشاركوها، أورا لم تنتج أي بنّ بعد الجيل الأول،
 فكل البنّ الذين أتوا بعد ذلك كانوا حصاداً من أفئدة البنّ
 السابقين، حيث إن كل قلب زرع أنتج سبعة أو ثمانية أجيال من
 البنّ، ثم توقفت الأشجار عن الإزهار، باتت كياناً تلقي بظلمها
 الممتد على الأرض، لم يجد البنّ سيباً أو دافعاً لزرع المزيد من
 الأفئدة أو أزهار البنّ، ذلك لأنهم ببساطة لا يموتون، هم يعيشون
 دورات من الربيع التي لا تنتهي أبداً. بالرغم من أن البنّ وجدوا
 بكلا الجنسين الذكور والإناث إلا أنهم لم يتزاوجوا أبداً، حتى
 بوجود الكثير من الغرائز، الحب، الانتماء، الشوق، الصداقة، كل
 شعور جميل، إلا أنهم لم يمتلكوا يوماً غريزة التزاوج فيما بينهم،
 لذلك حقيقة أن يتزاوج جان وأنثى بنّ متجين ذرية كانت
 مستحيلة.

سيون: "مثلك، لم أصدق هذا في بادئ الأمر، إلا أني بحثت عن الحقيقة لوقت طويل، ويبدو أن دارسون لم يكن الوحيد الذي تزوج مع بن أنثى ليكون له ذرية، هذا ما حدث أيضاً مع إناث الجان اللاتي تزوجن من ذكور البن، على ما يبدو أن قليلاً جداً من البن والجان امتلكوا رابطة قوية وغريبة لم نمتلكها نحن البن بعضنا مع بعض، حيث إن قلوبهم تألفت راغبة بالترابط معاً، منتجين بذلك ذرية هجينة فيما بينهم."

وجد سيون أن الدهشة تسيطر على هيئة نامار، هذا أمر مفهوم، حيث إنه هو الآخر أصيب بالدهشة لدى معرفته هذه الحقيقة التي كانت يوماً ما مستحيلة.

نامار: "كيف لي أن لا أسمع بأمر كهذا؟ بجان هجين؟ من المستحيل عدم تداول أمر كهذا."

سيون: "في البداية لم يعلم أحد عن وجود هذه الأزواج معاً فلقد عملوا المستحيل للبقاء مختفين، وحين أظهروا عن ذاتهم كنت أنت في صرعة قتل للجان ثم تم حبسك كما اقتضى ملك الجان"

نامار: "هل يعلم زعماء العشائر بوجود هؤلاء المهجنين؟ هل يعلم الملك؟"

سيون: "لقد علموا عن الأمر متأخراً بأي حال فما كانوا ليصنعوا مجزرة أخرى، وخاصة أن المهجنين يفوقونهم قوة، حيث إنهم يملكون أقوى خصال لدى سلفهم، عناصر الأرض الطبيعية من البنّ والنار من الجان، أي معركة مع هؤلاء ستجعل انقرض الجان أمراً حتمياً، لذلك عقد ملك الجان صفقة معهم."

نامار: "ما نوع الصفقة؟"

سيون: "هذا كل ما ستحصل عليه مني."

نامار: "لا، أنت ستخبرني بكل ما تعرفه الآن سيون!"

سيون: "لن يحدث هذا، لأنك سترحل عند معرفتك كل شيء،

وأزيتو ما زال في حاجة إليك، ما كنت لأسمح لك بهجره الآن"

نامار: "سأرحل وأجد الإجابات بنفسني لو أردت ذلك،

يمكنك أنت أن تبقى مع الفتى."

سيون: "لن ترحل، لأنك لو فعلت فلن تجد من يجيب عن

تساؤلاتك، أنسيت ما فعلته بالجان؟ لعل ملك الجان يقتلك إن

ظهرت الآن، لن تجد إلا الرفض، القتال، ولربما الموت، أنا

وحدى من يستطيع منحك ما تريد." "لماذا؟ من أنت؟"
نامار: "أنت ستخبرني كل شيء إذا وضعت حياة الفتى بين يدي"
عند سماع ذلك لم يحاول سيون كبح جماح سخطه، فهو لم يصمت أو يتحمل أن يتم تهديده بـ أريو، سمح سيون للوشم في جسده بأن يتحرك منفصلاً عنه محيطاً إياه بأزهار النيلوفر الزرقاء، كانت هذه أول مرة يستخدم هذا النوع من الهجوم أمام نامار أو حتى في إحدى معاركه، لأن ذلك يعني أنه لن يظهر أي رحمة للخصم أمامه، ظهر الارتباك في هيئة خصمه ولعله اختلط بقليل من الذعر.

نامار: "ما الذي يعنيه الفتى لك؟ لماذا تفعل كل هذا من أجله؟ لقد حميته من هجوم البنّ عليه بعد أن فقد وعيه، واختفيت قبل ظهور ذلك البشري الذي يصاحب الفتاة، فلماذا ظهرت الآن؟ ولماذا تختبئ؟"

سيون: "هذا لا يعنك نامار كل ما عليك فعله هو حمايته، وعندما تنتهي مهمتكما في إنقاذ الفتاة سأخبرك كل ما تريده"
نامار: "هل أنت البنّ الذي رآه الفتى تلك الليلة؟ هل أنت البنّ

الذي قتل والدته؟ أتفعل هذا بدافع الذنب؟"
اجتاح الغضب سيون مطلقاً أزهاره الزرقاء صوب نامار الذي
لم يتحرك بسرعة كافية ليتفادها، فأحاطت به وكبلته حتى وهو
بهذه الهيئة الدخانية، بالسرعة ذاتها انطلق سيون ليقف في مواجهة
غريمه.

سيون: "نامار أنا لم أقاتلك يوماً بجدية، حتى عندما سعيت
لقتلي بعد موت ابنك، حتى وأنا على مشارف الموت بسبيك، لم
أقاتلك بجدية، لكن إن أصررت على إغضابي فلن أمانع قتلك
هنا والآن، هل أنت مستعد لهذه المخاطرة؟ الموت من دون
الحصول على إجابات تطفى نار روحك؟"

رأى نامار أن خصمه غاضب، أراد أن يواجهه لكن هنالك
الكثير ليخسره إن فعل، علم أنه سيفقد ما يصبو إليه منذ وقت
طويل، لذلك التزم الصمت مبتلعاً غضبه، حينها أطلق سيون
سراحه قائلاً: "أنا لا أخلف وعدي، أنت تعلم هذا، افعل أنت
جزئك واحم أريو، حينها سأمنحك ما يرتجيه وجدانك."

اختفى سيون من الوجود لحظة انتهى من حديثه تاركاً نامار
خلفه، وكلاهما معذب من الغضب والحنين لما فقده.

أريو

وقف أزيو خارج منزل فارديون الذي فقد أصحابه، ناظراً
 للسماء حيث وجدها فُرِشت نجومًا لا تنتهي، أحب النظر لسماء
 الليل عندما لا يجد النوم طريقه إليه، عادة سرقها من سابريل أثناء
 ترحالهما، لا يذكر عدد المرات التي فتح فيها عينيه فزعاً من
 كابوس داهمه، ليجد سابريل مستلقياً أرضاً سابحاً بين النجوم،
 لطالما قص عليه قصصاً عن مغامراته، وكم وجدها أزيو غريبة،
 بل مستحيلة، أخبره عن أرض ملئت نباتات وأشجاراً ضخمة بل
 إن ورقة شجر واحدة تكفي ليستظل تحتها عشرون رجلاً دون
 زحام، حكى عن مخلوقات تعيش وتتنفس تحت الماء،
 مخلوقات لا يعرف الموت طريقاً لها. إحدى الذكريات التي لا
 تغادره هي لدى وصولهما لمدينة بورسييا^(١) ورأى أزيو ذلك
 الصرح الضخم، المتهاك، والمهجور، لقد كان برجاً ذا قاعدة

(١) بورسييا: مدينة سومرية قديمة وجدت جنوب بابل

وتوجد آثارها في العراق حالياً.

عريضة جداً، لترتفع هذه القاعدة مشكلة برجاً، من فوقه أبراج
أخرى حتى وصل عدد الأبراج إلى ثمانية، يتم الارتقاء إليها عبر
سلالم لولبية برزت من الهيكل الخارجي لتحيط بالأبراج كلها،
تلونت الأبراج باللون الأحمر متأثرة بلون الطين الذي صنعت
منه، وجدت النباتات مكانها على الأبراج، لتبدو مثل شجرة
واحدة ملئت بكل أشكال الحياة". يتذكر أزيو صعوده لأعلى هذا
البرج مع سابرييل، أخذاً أولى خطوات صعودهما مع بزوغ الفجر
وانتهيا عندما قاربت الشمس على المغيب، بالرغم من أن رحلة
الصعود كانت منهكة، إلا أن أزيو كان منشغلاً بالنظر لهذه الأبراج
المدهشة، بأعمدتها الكثيرة، ونوافذها العديدة التي سمحت
لأشعة الشمس بالتسلل لداخل البرج متداخلة بعضها مع بعض
مثل شبكة صيد تسلقت من الأرض صاعدة نحو السقف العالي.
ومع ارتقائهما ازدادت مداعبة الرياح الباردة واللطيفة له لتخفف
من مشقة الصعود، أخيراً لدى وصلهما لآخر برج وقف الاثنان



(1)

معاً، ناظرين لغروب الشمس نحو الأفق، ما زال أزيو يذكر ألوان السماء حينها، كم مرة غيرت لونها من الأزرق، للبنفسجي، ثم اشتعلت بلون النار، أخيراً بدأ الظلام يتسلل قاتلاً ما تبقى من الألوان، من حين لآخر استرق أزيو نظرة نحو سابريل الذي نظر للسماء بصمت وشوق مألوف، قائلاً: "ما زلت أذكر يوم بنينا هذا البرج، ما زال صوت الألحان التي غنيناها ذلك اليوم يُصدي في أذني ووجداني".

نظر سابريل نحو أزيو الذي وجد الحزن والندم في عينيه ثم أردف: "كم أتمنى لو أنك ترى ما كنا عليه يوماً بُني، لقد كنا عظماء، لكننا احترقنا".

تلك كانت المرة الأولى والأخيرة التي ناداه فيها سابريل بـ "بني" كم تمنى أن يسمعها منه مجدداً لكن سابريل لم يقلها أبداً، حتى عندما تخلى عنه. ما زال ألم تلك الخيانة يحرق وجود أريو، لا يعلم لماذا؟ إلا أنه شعر برابطة قوية نحو سابريل، فلماذا تخلى عنه؟ ما الخطأ الذي ارتكبه أريو؟ ألا يشتاق إليه سابريل؟ أولم يكن شيئاً مهماً له؟ لم يجد يوماً إجابة على هذا.

قطع صوت قادم من خلفه أحلام ذكرياته القديمة والعزيرة،

نظر إلى مصدر الصوت فوجد شافير.

أريو: "ما الذي أتى بك؟"

شافير: "هل أحتاج إذنك لأتحرك؟"

لم يعتد أزيو طريقته الساخرة في الحديث، بل إن الغضب يتآكل داخله كل مرة يفتح فيها شافير فمه للحديث، إلا أنه في حيرة من أمره، هو غير قادر على التصرف مع هذا الرجل الذي تعتبره جلنار الوجود كله، سبب آخر يجعله يمقته كم مرة تخيل طرحه أرضاً مسدداً له اللكمات، أحياناً أخرى يُخَيَّل إليه أن يطلب من نامار التحليق به لأعالي السماء ثم إطلاق سراحه ليسقط غائصاً في قبره ميتاً، تخيل أزيو عدة طرق وأبشعها للتخلص من هذا الوجود المزعج في حياته، الذي بسببه لم يحظ يوماً بحب جلنار أو حتى انتباهها، عاد شافير ليقطع الصمت قائلاً: "لقد أخبرتنا أنك قادر على قتل البنّ، بل تفاخرت بذلك، هذا السبب الوحيد الذي جعلني أسمح لك بالترحال معنا، غير أنك لم تقتل البنّ وتركت فارديون يُقتل. أخبرني الآن، أتعقد أنك قادر على حماية جلنار عندما يحين الوقت؟"

"حقاً كل مرة يفتح فيها فاه، أشعر بالنار تتآكل داخلي، لو

أمكنتني فقط أن... " فكر أزيو في عقله ثم أوقف الفكرة حتى لا تشكل لواقع يتحكم بأفعاله، عدا أن شافير لم يكن مُخطئاً في قلقه وخوفه، لقد مضت ثلاثة أيام منذ موت فارديون واختفاء البين، إلا أن أزيو لم يتوقف عن سؤال الأسئلة ذواتها وأكثر، لذلك التزم الصمت ليعاود شافير الحديث: "أعتقد أنك مجرد ساحر مخادع تبحث عن معنى لحياتك التعيسة لذلك تتغذى على أمل و حياة جلنار، لكن سأدعك تظل معنا لسبب واحد فقط، لعل البين يأخذ قلبك بدلاً من جلنار، على الأقل حياتها تملك معنى، على غرارنا نحن الاثنين" انتهى شافير من حديثه ورحل تاركاً أزيو وحيداً تحت هذه السماء التي شهدت قصصاً لا تنتهي.

"هو محق، هو محق، هو محق، أنا حقاً مخادع" ظل أزيو يردد ما داخل عقله، ليعود ذلك الوجود الأسود ملتهماً كيانه، لقد كان السخط، الانتقام، اليأس، الخوف، إنها كل المشاعر السيئة التي لم تعرف الضوء يوماً، بات الهواء داخل صدره ثقيلاً كما قلبه، لقد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، بدا وكأن السماء ستطبق عليه، أطلق أزيو العنان لقدميه وبدأ بالركض من غير هدئ، وعلى رمال الصحراء ترك خطاً له كشهادة على خزيه.

أخيراً استسلمت قدماء ليخر على ركبتيه، هو لا يعلم كم من الوقت ركض، أو كم ابتعد، لكنه في الصحراء الآن وحيد، بلا مأوى لروحه المحتضرة، التي فقدت الثقة بنفسها، قضيتها، حقدتها، وانتقامها، هو يشعر بالضيق بطريقة لم يشعر بها من قبل، لا يعلم إلى أين يتوجه الآن، تحت هذه السماء الواسعة وهذا الظلام الذي أحاطه، ظل يبحث عن يد عون تخرجه من هذا الخوف، لكنه لم يرَ أحداً لم يسمع أحداً، حينها أغلق عينيه مواجهاً الظلام مطلقاً صرخة يأس تناثر صداها في الخلاء، ومن بين رمال الصحراء الميتة نبتت زهرة نيلوفر زرقاء عكست ضوء القمر مبددة ظلام روح أريو. مجدداً تظهر هذه الزهرة أمامه في أوقات يأسه، لطالما أزهرت حيث لا يجب لها، لهذا قرر أزيو أن هذه الزهرة هي روح والدته التي لم تقو على مغادرة العالم خوفاً على ابنها، النيلوفر الزرقاء هي أزهار والدته المفضلة وحين سألها عن السبب كانت إجابتها:

"إنها أزهار حياتي".

جلنار

الآن وقد باتت بابل على مرأى من عينيها، شعرت جلنار
بالغبطة والتفاؤل مما يحمله لها الغد، غير أنها لا تستطيع إنكار
الخوف الذي يتأبها من خسارة معركتها وفقدان كل ما يهمها
لتكن حياتها أو حياة من حولها، وأهمهم شافير. خلال الرحلة
الأخيرة التي شقوها للوصول إلى بابل لاحظت جلنار الأجواء
المحيطة بمن حولها، شعرت بأن شافير يتعد عنها، هو لم يفارقها
أبداً، إلا أن فؤاده يبدو بعيداً عنها، في عينيه بدا كما لو أن العالم
فقد كل ألوانه، شيء لم تره في عينيه من قبل، ظنت جلنار أن
الأمور بينهما ستبدل بعد تصرّحه الأخير:

"أنا رجل مع فتاة جميلة مثلك، فلا تدعي صمتي يخدعك"

غير أن أمراً لم يتغير هو لم يصرح لها بحبه، حتى وهي تعلم
حقيقة مشاعره، في وجدانها يبدو أن هنالك أغلالاً لا تنتهي تكبل
شافير، تمنعه من الاقتراب، من البوح بحقيقة ما يكنه فؤاده،
"لربما عندما ينتهي كل شيء، لربما عندما يتيقن أن حياتنا لا تقف
على جرف هاوية جاهلين متى تنهار الأرض من تحتنا، حين

ينتهي كل شيء، سيأتي إلي طوعاً" هذا ما آمنت به جلنار في صميمها، هذه ثقته التي لا تنتهي بشافير.

ثم كان هنالك أزيو الصامت تماماً، الذي استغل كل لحظة لا يرتحلون فيها بالتدريب، هذا جل ما فعله عدا عن النوم وتناول الطعام، كان جلياً لها أن خسارته أمام سينا حطمته، كل ما يقوم به الآن هو حرص منه ألا يتكرر سوء الحظ مجدداً.

ترحالهم هذه المرة لم يكن في الصحراء حيث إن نهر الفرات كان مصاحباً لهم في الطريق لتتحسر الصحراء خلفهم مختبئة خلف جمال المزروعات التي ملأت الأراضي، كذلك الأصوات والألوان التي ملأت حواس جلنار جمالاً ورضاً، خرير النهر الجاري الذي حمل على أمواجه صوت ضحكات الأطفال السابحين أو أصوات الصيادين يعلنون وصولهم محملين بالخيرات حاملين بين أذرعهم أطفالهم الذين يستقبلونهم بالأحضان والقبلات، ألحان غناء المزارعين التي حملتها الرياح لتختلط مع زقزقة العصافير وطين النحل المتنقل بين الأزهار البرية الصغيرة، "لو أن قدرتي أن أقتل، فلا أمانع أن يكون قبوري في مكان كهذا." واست جلنار فؤادها.

بالرغم من كل الجمال الذي رافقهم مؤخراً إلا أنه لا شيء يقف قريباً مما تراه جلنار أمامها الآن، حتى عندما سمعت من أزيو قصصاً لا تنتهي عن جمال وروعة مدينة بابل، إلا أنه لا شيء يوفيها حقها.

بعيداً وعلى مشارف المدينة استطاعت جلنار رؤية أسوارها العالية والمهيبة تلتف حول المدينة التي لا تكاد ترى نهايتها، إلا أن الأسوار لم تستطع حجب الصرح الذي تطاول معانقاً السماء، كم هو مهيب، بديع، وشامخ بقمته التي تلونت باللون الأزرق وأبراجه التي حملت حدائقها معها للسماء.

جلنار: "أريو، ما هذا المبنى الضخم الذي يلامس السماء؟" رفعت جلنار إصبعها مشيرة نحوه، إلا أنه لم توجد حاجة لذلك فقد منحها أزيو الإجابة.

أريو: "هذه زقورة إينمينانكي"، قيل إن الإله مردوخ يرقد هنا، لذلك هو شاهق الطول، ليصل حيث يوجد الإله.

جلنار: "كيف استطاع البشر بناء صرح كهذا؟ كم من الوقت



أخذ منهم بناؤه؟" لم تصدق أن عظمة كهذه من صنع بشر.

أريو: "لا أعلم حقًا، لقد قيل إن الملك نمرود هو من أمر بينائه بعد الطوفان العظيم رغبة منه لجمع البشر، غير أن لا أحد يعلم كم من الوقت استغرق بناؤه، أو عدد البنائين، وقيل إنه استعان بالجان في بنائه."

جلنار: "هذا يجعل الأمر أكثر واقعية، فلا بشر قادر على بناء صرح كهذا."

شافير: "ربما كان رفاتًا لمن سكن الأرض من قبل، فقام البشر بنسب الفضل في بنائه لأنفسهم"

أريو: "ماذا تقصد بذلك؟"

شافير: "لا شيء يعينك."

جلنار: "يكفي أنتما الاثنان، ليمضي يوم دون قتال من فضلكما." تكاد تقسم أنها برفقة طفلين، وليسار رجلين ناضجين يكبرانها بعدة أعوام.

أخيراً عبرت المجموعة الأسوار الخارجية لبابل وما أن فعلوا حتى وجدت جلنار أنها تقف على جسر علق فوق ماء النهر الذي شق طريقه فاصلاً بين السورين الأول والثاني، ولمفاجأتها رأت

قواربٍ شرّاعية تبحر مع تدفق النهر وعندما اقتربت من الجسر خشيت جلنار أن ترتطم القوارب به متحطمة، غير أن القوارب اختفت بصمت، لتقفز جلنار هابطة عن الناقة يقودها فضولها لمعرفة أين ذهبت القوارب، ليأتيها صوت أزيو قادمًا من خلفها: "انظري إلى الطرف الآخر."

ركضت كالطفلة لترى ما يتحدث عنه الساحر، لتجد القوارب تخرج من الجسر، انحنت جلنار بكامل جسدها عليها تعلم السر، لترى أن الجسر احتوى أنفاقًا كبيرة تسمح للقوارب وماء النهر بالتدفق بحرية^(١). نظرت نحو رفيقيها بدهشة وبراءة لكل ما هو جديد، ثم بخطأ سريعة عادت نحو شافير الذي مديده نحوها رافعًا إياها على الناقة بكل سهولة، بضع خطوات أخرى وأقبلوا على السور الثالث والذي اختلف عن سابقيه بلون قممه الزرقاء التي شابهت قمة البرجين الجانبيين، وبكثير من التركيز رأت أن اللون الأزرق زُين بنقوش ذهبية، غير أن المسافة التي فصلت



(١)

جلنار عن النقوش منعتها من تبينها، وحين عبرت برجي السور
أصيبت بالذهول أمام البوابة التي علت وغطت السماء بلونها
الأزرق الداكن والنقوش النحاسية كما البيضاء التي أخذت
مكانها عليها، إلا أن صوت أزيو انتشلها من دهشتها قائلاً: "نحن
الآن في شارع المواكب انظري على يمينك جلنار، هذه أسوار
القصر الشمالي".

انصاعت جلنار لقول مرشدها والتفتت يمنة لترى الأسوار
صنعت من الطابوق الرملي اللون لتعلو قمم أبراجه باللون
الأزرق الداكن، أما أسفل الأسوار فقد كان عملاً جمالياً بلا
مثيل، بصفوف متناوبة من اللونين الرملي والأزرق الداكن التي
تزينت أحياناً برسوم أزهار برية بيضاء، غير أن ما جذب انتباه
جلنار هو نقش متكرر باللون الأبيض البارز من فوق الطابوق
الأزرق لأسد يزجر.

أريو: "الأسد هو رمز مدينة بابل، ويمثل الإلهة عشتار، وتلك
البوابة الزرقاء هنالك تحمل اسمها تبجيلاً لها، ولحمايتها الدائمة
لبابل".

صوبت جلنار عينيها حيث البوابة التي خطفت أنفاسها سابقاً، هي تقترب منها مع كل خطوة جاعلة إياها تشعر بضآلة حجمها مقارنة بهذا الصرح الجميل، بلونها الأزرق الداكن الذي حمل عليه نقوشاً متكررة لحيوانات لم تتبينها جلنار ليوضح لها أريو:

"إنها رسوم لتنانين وثيران غطيت بالنحاس، تعتبر هذه الرسوم حديثة مقارنة بسائر المدينة."^(١)

جلنار: "حقاً الكلمات لا تفي هذه المدينة حقها من الجمال، كيف أمكنك ترك العيش في مدينة جميلة كهذه أريو؟ لو أن لي الخيار لما تركتها أبداً"

أريو: "أنا أشكر القدر الذي أخرجني منها لألتقي بك جلنار." رسمت ابتسامة لطيفة على وجه أريو فيما قال هذا، اعتقدت جلنار أن قوله سيغضب شافير إلا أنه لم يقل شيئاً ولم يبد أي ردة فعل، الأمر الذي ألم فؤادها قليلاً، لتعزي نفسها قائلة: "عندما ينتهي كل شيء، ربما حينها."



(١)

بالرغم من أن هذا اليوم كان مليئاً بالدهشة إلا أن حقيقة منزل
 أزيو كان أشدها دهشة، بعد أن تخطوا بوابة عشتار متجهين
 للمدينة الداخلية التي ملئت سحراً بشوارعها الواسعة، المعابد
 التي لا تكاد تنتهي بأسمائها المتمثلة بالآلهة مثل معبد عشتار،
 معبد نينورتا^(١)، معبد نانار^(٢)، وغيرها الكثير من آلهة بابل، ليتجهوا
 بعد ذلك للطريق الذي دعاه أزيو عشتار لأمسو^(٣)، والذي قادهم
 بعد ذلك للجسر النهري بور شابو^(٤)، ومنه لمنزل أزيو (المتواضع)
 كما وصفه هو، غير أن كلمة متواضع لا تليق بالقصر الذي أسماه
 منزلاً. نظرت جلنار نظرة شك — أزيو الذي بدا عليه الفخر
 باستعراض قصره أمامها، امتلك القصر حديقة خارجية غناء، غير
 تلك الحدائق الصغيرة التي تعلقت بمبنى القصر ذاته، بني القصر
 بالطابوق الأبيض المزين بالطابوق الأزرق الداكن الذي تخللته

(١) نينورتا: رب الشعير.

(٢) نانار: يعرف بـ سين إله القمر.

(٣) عشتار لأمسو: عشتار حامية جيوشنا.

(٤) بور شابو: لن يعبره العدو.

رسوم حيوانات مثل الأسود، الأحصنة، وكذلك الأزهار.

جلنار: "أحقًا هذا منزلك؟"

أريو: "أجل، لماذا تتعجبين ألا يليق بي؟"

جلنار: "لم أكن لأصدق أن لديك منزلاً هكذا، أتحدّر من

أسرة نبيلة؟"

أطلق أزيو ضحكة بسيطة قائلاً: "أنا لست من بابل في الأصل،

كل ما ترينه هنا هو مجهودي الخاص، جنيت هذا من عملي

كساحر، أنا من أقلية السحرة المعترف بهم من قبل الملك والكهنة

حيث يسمح لنا بدخول المعابد الرئيسية والاطلاع على وثائق

السحر السرية."

هبط كلٌّ من جلنار وشافير من على الناقة، خاطبين خلف أزيو

الذي قادهما لبوابة القصر وقبل أن يصلوا إليها إذا بثلاثة من العبيد

امرأة ورجلين يقبلون إليهم، ثم انحنوا في إشارة احترام لسيدهم،

لتبادر المرأة بالقاء التحية: "م... م... مرحباً بعودتك س... س...

سالمًا سيدي أريو، أتمنى أن... ت... تكون رحلتك ناجحة."

رفعت العبدة عينيها لتلتقي بعيني جلنار ولو هلة بدت المرأة

متفاجئة ومنتزعجة من وجودها لكنها أعادت خفض عينيها إلى

الأرض قبل أن تتبين جلنار أي شيء.^{٥٤}
أريو: "أجل لقد كانت رحلتي موفقة، سيمكث معنا ضيفان،
أريد منكم معاملتهما جيداً، أبيلتا جهزي حجرتين منفصلتين
واحدة لجلنار وأخرى لرفيقها." وجه حديثه للمرأة التي أجابته
بالطاعة، لتبدأ تنفيذ ما يطلبه سيدها.

أريو: "أراهن أن الترحال لوقت طويل مرهق لذلك يمكنكما
الراحة في حجرتيكما حتى موعد العشاء."
قاد أريو ضيفيه نحو حجرتيهما واللتين كانتا بعيدتين بعضهما
عن بعض، أرادت جلنار الاعتراض، غير أنها وجدت من غير
اللائق التذمر من أمر بسيط كهذا، فالتزمت الصمت فيما أغلقت
الباب على حجرتها وارتمت فوق الفراش المريح لتغط في نوم
عميق.

أريو:

أبيلتا: "سد... سد.. سد... سيدي، كما طلبت وضعت ضد...
ضد.. ضيفتك في الحجرة الش... ش... شرقية والمطلة على الحديقة
الداخلية للقد... ق... قصر، أما رفيقها فقد تمت اس... سد... ستضافته
في الجزء الغربي للمنزل."

أريو: "جيد أحسنت الصنع، أعدي وليمة لضيفينا، كما أريدك
أن تلمي كل طلبات جلنار واحتياجاتها، لا أريدها أن تكرر طلبها
مرتين، تيقني أن حجرتها دائماً بأفضل حال، وأنها مليئة بأطيب
المأكولات والمشروبات."

أبيلتا: "كما تأ.. أ.. أمر سد... سيدي."
عندما خلت حجرته من العبيد، خطا أزيو نحو حديقة شرفته
التي تزينت بالأشجار والأزهار، ووجد مقعده على الأرض بين
الوسائد الملونة والمتناثرة حول الطاولة الأرضية حاملة فوقها
النبذ والفواكه، أغمض عينيه وأرجع رأسه للوراء، فيما بدأ بأخذ
أنفاس طويلة وهادئة، كأنما وجد راحته وسكونه في منزله الذي

يعلم جيداً أنه لا يستحقه، لهذا قضى وقتاً طويلاً هارباً منه، من ذنبه وكذباته. سوى أنه وجد السعادة والسلوى عندما أبدت جلنار إعجابها بالمنزل، هذا القصر المَبْنِي من الطابوق الخاص بمنازل النبلاء، الذي احتوى على طابقين، حيث حمل الطابق السفلي على أسقفه الخارجية شرفات أزهرت في ثناياها حدائق للحجرات التي أخذت مكانها في الطابق الأعلى، أما الطابق العلوي فقد احتوى في منتصفه مصب ماء جميلاً زاد من جماله الأشجار الصغيرة المتسلقة على الأعمدة، حول هذه الحديقة الهادئة والبسيطة وُجدت باقي حجرات المنزل الخالية من الأبواب، عدا الستائر الزرقاء التي تراقصت مع الهواء العابر من النوافذ، والحديقة التي حملت السماء الزرقاء سقفاً لها.

"لربما إن انتهى كل شيء، لربما تعلم جلنار أني قادر على توفير حياة كريمة لها، أفضل من ألف حياة يقدمها لها شافير، لربما تعجب بالمال الذي أستطيع توفيره، حينها ستأتي لجانبي تكون لي، عندئذ أقسم أني لن أغادر هذا المنزل أبداً، لن أرتحل إلى حيث لا تراها عيناى، سأوقف عقدي مع نامار وأكرس وجودي كله لها." أمنية خاوية يعلم أزيو أنها لن تتحقق، ومع هذا تمنأها

من صميم فواده.

حل الليل بهواء عليل ارتحل عابراً بين نوافذ المنزل مانحاً
إياها أنغاماً هادئة، تحقق أزيو أن وليمة العشاء كانت مناسبة
وكافية لتظهر مدى كرمه، حتى حين يعتقد أن شافير لا يستحقها
إلا أن هذا سيعجب جلنار التي لعلها لم تتناول طعاماً كهذا في
حياتها. هبطت ضيفته على السلالم تتبع أيلتا التي قادتها نحو
المجلس، نظر أزيو إليها وإلى شعرها المتطاير مع هواء الليل، ثم
نظر للأرض التي تدوس عليها متمنياً أن يغطيها ورداً وذهباً لها،
وسيفعل إن أتت إليه، إن اختارته، حينها نظرت جلنار إليه لتبتسم
الحياة في وجهها، ليدعو أزيو بدعوة واحدة في صميم وجدانه:
"أرجوك لا تحرقني وجودي، جلنار"

أريو: "أتمنى أن تكوني وجدت الراحة في الحجرة."
أخذت جلنار مكانها مقابلة منه يفصلهما الطاولة التي حملت
الطعام عليها.
جلنار: "أجل شكراً لك أزيو وعلى كرمك، لا أتذكر متى كانت
آخر مرة شعرت فيها بالراحة هكذا."
أريو: "كل ما أملكه ملكك لك جلنار." رأى أن كلماته الأخيرة

جعلتها تشعر بالإحراج لتحمر وجنتاها الورديتان، أراد إكمال تصريحه السابق، غير أنه تمت مقاطعته من قبل أحد العبيد لديه: "سيدي ضيفك الآخر يريد الخلود للراحة، ولا يرغب بتناول العشاء معكما."

"هل يمكن أن يصبح هذا اليوم أفضل؟" فكر أزيو بسعادة، أخيراً وبعد ترحال دام شهرين ستكون جلنار له بمفرده بعيداً عن مصدر إزعاجه الأكبر، غير أنها سرقت منه فرحته قبل أن يطالها.

نهضت جلنار من مجلسها قائلة: "سألقي نظرة عليه، فأنا لم أره يوماً يشتكي من إرهاق." وبهذا رحلت تاركة أزيو في خيبة أمله.

عدة دقائق مضت تعود فيها جلنار للجلوس مقابلاً من أزيو حاملة في محياها قلقاً يتأكلها: "شافير لن ينضم إلينا، يبدو عليه الإعياء، كما أن حرارته مرتفعة قليلاً، أنا قلقة عليه، لم أره يوماً مريضاً، أرغب بإحضار مداوٍ له إلا أنه رفض ذلك، أخبرني أن النوم سيعالج مشكلاته."

أريو: "إذا لندعه ينام." ما كان ليسمح لـ شافير أن يحتل مكاناً أكثر في أمسيتهما معاً لذلك غير الحوار: "غداً سأذهب لمعبد

إيتيمينانكي ذلك الذي أعجبك، وأتباحث مع كبار السحرة والكهنة في قضيتك، وسأطلب منهم السماح لي بالاطلاع على أقدس محفوظات السحر، حيث إن الساحر الأكبر هو من يُسَمَّحُ له بذلك."

جلنار: "هل سيمنحونك الإذن؟"

وجد أزيو من سؤالها فرصة مناسبة للتبجح مجدداً: "ولم لا؟ سبق وأخبرتكَ عن مكاتي الكبيرة كما أن لي حفواً عند العائلات النبيلة."

جلنار: "ماذا فعلت ليكون لك حَفْوٌ؟"

أريو: "هل سبق وسمعت باسم لمشتو أو بكلمة مسمشو؟"

جلنار: "لا"

أريو: "لمشتو، إنها عفريته من الجن، تؤذي الأطفال الصغار والنساء الحوامل من العوائل النبيلة فقط."

بدا على جلنار الذعر من قصة أزيو إلا أن الأمر أعجبه فعندما تعلم بما صنعه أو ما يدعي صنعه ستعجب به.

أريو: "مسمشو، هؤلاء هم السحرة غير الشرعيين، الذين لم يتعلموا في معابد السحر ولم يُمنح لهم الإذن بممارسته، لطالما

حاول هؤلاء السحرة طرد لمشتو من بابل لاستغلال الأسر التي ترصدتهم، غير أنهم لم يستطيعوا ذلك، حتى الكهنة وقفوا عاجزين أمامها.

جلنار: "وماذا حدث؟"

أريو: "حسنًا، في عمر الرابعة عشرة صرحت بأني سأطرد لمشتو من بابل إلا أن جميع الكهنة والسحرة اتخذوني سخرية، إلا أنني أثبت لهم عكس هذا، وطردت لمشتو خارج بابل".

رأى أزيو الاهتمام ولمحة من الاحترام في عيني جلنار مما منحه نشوة كبيرة.

جلنار: "كيف فعلت ما لم يفعله الكهنة؟"

أريو: "الأمر بسيط، قدمت لها القرابين، ووهبتها قاربًا تبخر به للعالم السفلي، وضعت لها القارب في مجرى نهر الفرات خارج المدينة وحملته بالذهب والمؤونة بهذه الطريقة وافقت لمشتو على ترك بابل والعوائل النبيلة من دون مساس، وكشكر لي قدمت لي العائلات الهدايا والمال".

رأى أزيو أن عيني جلنار كانتا تلمعان بدهشة وإعجاب تحت ضوء القمر، مما أشعل شرارة الطمع داخله أراد أن يصرح لها

بحبه أن يخبرها عن عذابه من مشاعره التي حملها لها منذ رأتها
عيناه، إلا أن شيئاً ما عقد لسانه، شيء ما داخله صرخ: "ليست
هي من ننتظر" هذه الصرخة أرعبت أزيو شلت قلبه عن النبض،
لم يعلم مصدر أو سبب هذه الصرخة إلا أنها كانت صادقة.

جلنار: "لماذا قامت لمشتو بإيذاء البشر؟"

شعر أزيو برعشة ذعر تسري في جسده مجدداً، غير أن سبب
هذا الذعر كان سؤال جلنار، لو علمت السبب لنظرت إليه بطريقة
تصيه بمقتل، لهربت بعيداً منه، ومن كل ما يدعي أنه يكونه.

أريو: "لا أعلم، أنا لم أسأل يوماً." رمى بكتفيه بحركة لا مبالية
ثم أردف: "لقد أطلنا السم، أعتقد أنه من الأفضل أن أخلد للنوم،
فغداً يوم طويل." أراد أن يهرب من جلنار، لأول مرة منذ وُجد
معها شعر أزيو أنه يدنسها بوجوده معها.

جلنار: "أجل بالتأكيد، أراك غداً، ومجدداً شكراً لاستضافتنا."
عاد الساحر لحجرته وأخذ مكانه فوق فراشه، أغمض عينيه في
محاولة لتذكر ذلك الصوت الذي صرخ داخله، لماذا قد يحدث
أمر كهذا؟

"تبدو مرتاحاً هنا."

فتح أزيو عينيه بسرعة ليجد نامار يحوم فوقه ووجهاهما
مقابلان، هذا المشهد جعله ينتفض من فراشه ليسقط أرضاً
فزعا ليصرخ في وجه نامار: "لماذا تحلق فوقني هكذا؟ لقد
أفزعتني!"

نامار: "النظر بوجهك ليست متعة لي بأي حال أيضاً"
أريو: "أنت حقاً مشؤوم مثل نرجال"، لوهلة ظننتك الموت
أتيًا ليقبض روعي."

نامار: "أنت لا تؤمن بالآلهة، ما تؤمن به هو المال، الخديعة،
الكذب، الغدر، والانتقام"

حديثه أصاب أزيو بواقع أفعاله التي تناساها، لعله لم يهتم إن
آذت أفعاله أحداً، ليس حتى عرف جلنار، ليشعر بالخزي من ذاته.
أريو: "على أي حال ما الذي تفعله هنا؟ لماذا لم تعد إلى معبد
إيساكيلا"، لقد كدت تقتل كل الجان في آخر زيارة لنا هنا لأنك

(١) نرجال: إله العالم السفلي



(٢)

أردت الحصول على المعبد كله لك."

ما زال يذكر المتاعب التي كاد يوقعه فيها نامار بسبب عناده وكبريائه، حيث إنه أراد أن يتخذ من معبد إيساكيلا مسكناً له خاصة أنه أحدث وأجمل من زقورة أور التي تأكلها الزمن، لقد طرد نامار كل الجان من هناك وكادت أن تقع حرب جديدة بين الجان، بل إن كل السحرة تكتلوا على أزيو مطالبين إياه بإرسال جانيه بعيداً عن المعابد، والتوقف عن قتل وإرهاب خدمهم من الجان، إلا أن نامار أبى وهدد بإحراق كل جان في بابل إن اقتضى الأمر، هو سيقطع رزق السحرة إن وقفوا في طريقه لهذا انصاعوا له من دون جدال أو قتال، مانحين كل الزقورة له ليقطنها.

نامار: "أتشبه والدك أم والدتك؟"

"حسناً، ما خطب هذا اليوم؟ أكاد أقسم أن جنون الأرض كلها اجتمع اليوم" فكر أزيو في نفسه فيما استهجن سؤال نامار هما لم يهتما بشؤون بعضهما بعضاً من قبل، فلماذا الآن؟ هل فقد عقله؟ أريو: "ما خطبك اليوم؟ لماذا تسأل سؤالاً كهذا؟ نحن لا نسأل بعضنا بعضاً أي شيء من قبل، عدا عن اسمك أنا لا أعلم أي شيء عنك، وكذلك الحال بالنسبة لك، ماذا! أتشعر بالفضول

فجأة؟ أم هل تشعر بالوحدة وترغب أحداً تتحدث معه؟"

نامار: "من منا فقد عقله؟ لماذا قد يشعر عظيم مثلي بالوحدة؟
أنا هنا لأخبرك بأمر آخر."

أريو: "هات ما عندك وارحل أنا منك."

نامار: "أنا أفقد رائحة البنّ الذي يلاحق الفتاة."

أريو: "ماذا يعني هذا؟ هل توقف عن اللحاق بنا؟"

نامار: "كيف لي أن أعلم؟"

أريو: "ماذا تقصد بأنك لا تعلم؟ إذا لم تعلم أنت فمن يفعل؟"

نامار: "أحد ما قد يعلم، إلا أنه ليس قريباً من هنا، كما أنني لا
أرغب بسؤاله."

أريو: "حقاً! أعتقد أن الوقت مناسب لكبيرائك؟ إن أضعنا
البنّ فهذا أمر جيد، حياة جلنار لن تكون في خطر."

نامار: "كيف لمخلوق تبعها أينما ذهبت أن يفقد أثرها الآن؟
لا أعتقد أن هذا هو الأمر، لعل تغييراً ما قد طرأ، أمر نجهله كلانا،
إن نظرت للواقع فكلانا لا يملك معرفة في قتل بنّ لديه عقد قائم
مع بشري، فلا أحد منا يعلم ما يحدث."

أريو: "أعتقد أنك تدّعي الجهل، كيف لك ألا تعي شيئاً كهذا؟
ألم تقل إنك قاتلت البنّ؟"

نامار: "بلى فعلت قبل ظهور البشر، وبعد ذلك كنت أحرق
قلوب البنّ في المزهرين البشر مما يقضى على البنّ، لهذا أنا لا
أعلم حقاً طبيعة ما يحدث بين البنّ والمزهر."

أريو: "كما لم تشتم رائحة البنّ من فارديون، ولا رائحة البنّ
التي كانت حقاً أمام أعيننا."

نامار: "ماذا أتلومني على هذا؟"

أريو: "أنت من أخبرني عن قدرته في صيد البنّ، إلا أنك لم ترّ
البنّ القابع أمامنا."

نامار: "لأنها كانت من الجيل الضال، أولئك الذين أزهروا بعد
أن أحرقتُ شجرتهم، لذلك هم لا يملكون أي رائحة مثل سابقهم
من البنّ، إلا أن بنّ الفتاة من الجيل الأسبق، لذلك هو يمتلك
رائحة الأزهار حتى بعد أن أحييت أورا الرماد."

"أورا" هذا الاسم جعل دفناً غريباً يسري داخل كيان أريو، بدا
كدفء والدته الذي لم يغادره يوماً.

أريو: "إذا قول تلك البنّ حقيقي أنت أحرقتهم؟" علم أريو

الجواب لهذا السؤال إلا أنه رغب بسماعه من نامار.

نامار: "أيهمك حقًا معرفة الجواب عن أمر كهذا؟ لقد مضى

ما مضى بات أمسًا منسيًا، فلا تبحث في أمور الماضي."

أريو: "كل ما يهمني هو إنقاذ جلنار، لا أريد الخسارة هذه

المرة."

نامار: "لعل هذه المرة تختلف عن سابقتها." "بالع" أريو

أريو: "شيء آخر تخفيه أليس كذلك؟" "أولاً لقد شئت أن

لم يقل نامار شيئًا إنما رحل وهو يتمتم شيئًا ما بالكاد

استوضحه أريو: "أستطيع أن أرى التشابه في تصرفاتكما"

تدلهما بلقاء

منه أريو به نال شيئًا مثلنا أو من السيفاء ليجان به شئت أنكم في لهوا

ومحرفون ناله فسموا أريو: أنا وجليك كما به مثلنا بهتت بعد شئت به أنا

مثلنا به مثلنا من سيمه كما ليجان به فالتقا نيا بأنا ليا نيا

لا أصدق أن هذا هو الأمر أريو أبتلعه أن أفتع خص به نيا كما خصه

لنا نيا أريو أبتلعه خص به نيا لفتع لفتع لفتع لفتع لفتع لفتع

مع مشرق نيا أحد نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا

نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا نيا

جلنار:

"مجدداً هذا الحلم." فكرت جلنار فيما رأت الشجرة قائلة بصوتها: "جميلة كالعادة"

"أجل، كانت جميلة إلا أني لم أحبها يوماً."

التفت جلنار لمصدر الصوت لترى البنّ قابعاً بالقرب منها، كم أصابتها الدهشة، هذه أول مرة يتحدث إليها، بل هي لم تكن يوماً بهذا القرب منه، لماذا الآن؟ وفي تعجبها نظر إليها البنّ لتلتقي أعينهما معاً حيث عكست عيناه الزمرديتان وجودها، بدت جميلة في عينيه وغريبة في عينيها، إلا أن نظرتة لها حملت الكثير من الدفء كذلك فعل محياه، بدا جميلاً للغاية، هادئاً، عطوفاً، ومليئاً بالحزن كما الندم.

"لعلها أول مرة ترينني بهذه الهيئة، أعتذر إن أفزعتك."

جلنار: "كيف لك أن تفزعني؟! أنت واحد من اثنين لا يمكن

لهما إفزاعي، كما أنك جميل، كحللم يتحقق."

"أردتك أن ترينني بهذه الهيئة مرة واحدة على الأكثر."

جلنار التي رأت الحزن في عينيه: "لعلنا نتقابل، لعل أحدنا لن يفنى، لكن إن لم ترحمنا أقدارنا، فأريدك أن تحصل على قلبك، إنه لك لقد حظيت بحياة جميلة بسببك وهذا يكفي."
 "هذا غير كافٍ لي"

جلنار: "لماذا لم تحبها؟ ألسنت تشناق إليها؟" حاولت أن تغير مجرى الحديث بالسؤال عن الشجرة لعل حزنه يبتعد عنه.

"لأنها كذبة جميلة فحسب، وشوقي ليس لها، بل للزمن الذي سلب مني، وسلبني كل ما أردت ان أكونه، شوقي للضحكات التي تناولتها من أقراني وإن كانت قليلة، وتلك الألحان التي غنتها الجبال، والألوان التي حملتها الرياح، كل ما قُص علي، وكل ما لم أره، إلا أن قلبي مليء الآن لقد حصلت على كل ما رغبت به يوماً وأكثر والشكر لك جلنار، لقد اكتفيت الآن، سأستقبل الموت بحب خالص، سأحبيه كالصديق الذي اشتقت إليه، الصديق الذي رافقني من بعيد، دون أن يقترب مني، سأحتضن لحظاتي الأخيرة بسعادة، وسأؤمّنك ذكرياتي، هي كل ما تبقى لي."
 جلنار: "لماذا الموت خلاصك؟ لماذا؟ في حين أنك ستسترجع فؤادك؟ حياتي لا تقارن بحياتك، خذ قلبك وكن كل ما

تريده، قُد الحياة التي تريدها فقط لا تحمل الحزن هكذا في
وجدانك.

بالرغم من الحزن العميق إلا أن الرضا والسعادة باننا على
وجهه فيما نظر إليها.

"هل يمكنني أن أطلب منك أمراً؟"

جلنار: "أي شيء."

"نادي اسمي مرة واحدة فقط، فقد اشتقت إلى سماعه من
شفتيك."

جلنار: "ما اسمك؟"

"شاوران، اسمي هو شاوران الجلنار القرمزي."

جلنار: "شاوران."

عصفت ريح قوية حملت بين ثناياها بتلات الجلنار ليمتلئ
حلمها بالرائحة العطرة، نظرت جلنار إلى شاوران لتجد الدموع
تسيل من عينيه وفمه ينطق بابتسامة: "شكراً لك، أنا آسف."

فتحت عينيه والدموع تملأ وسادتها، لم يكن حلمًا هذه المرة
ذكرى حزينة بل كان وداعًا، وعرفانًا، لم تعلم جلنار إن كان

يجب عليها أن تُسعد لأن قدرها تبدل، وحياتها قد أُنقذت، أم عليها الحزن لفراق البنّ، بالرغم من أنها ظلت تطارد الحياة لوقت طويل إلا أن فقدان البنّ يؤلم وجدانها، وكأنها تفقد أعز ما لديها في الوجود، بخطوات متناقلة نهضت من الفراش سائرة حيث شرفة حجرتها مزيلة الستائر الزرقاء المترافضة مع الريح، لتضرب الشمس الذهبية عين جلنار بأشعتها، رغمًا عن البشارة الجميلة بالحياة، إلا أن الشمس بدت حزينة اليوم فاختبأت خلف الغيوم البيضاء المتناثرة.

"جلنار، هل استيقظت؟" صوت شافير قادمًا من خلف باب حجرتها جعلها تنتفض بهجة، لتركض مسرعة فاتحة الباب لترى رفيقها الذي كان مريضًا البارحة، ليطمئن فؤادها حين بدت عليه الصحة.

جلنار: "شافير هل أنت بخير؟ ماذا عن الحمى؟"

أخذ شافير بيدها ووضعها على جبهته قائلاً: "انظري بنفسك"

ثم ابتسم إحدى ابتساماته النادرة والتي على غير العادة بدت

أكثر حياة من أي وقت مضى، لترمي جلنار ذراعيها حول عنقه في

حضن طويل ليحيط شافير بعد ذلك ذراعيه حول خصرها الدقيق،

ومن بين خصل شعرها المتناثرة قال: "ما رأيك أن نزور بابل
اليوم، ونقضي يوماً بالتجوال؟"
جلنار: "أخشى أن يعاودك المرض."

شافير: "لن يعاودني لا تقلقي، لم نقضِ أنا وأنت الكثير من
الوقت بمفردنا مؤخراً وأريد أن أكون معك."

اجتاحت السعادة جلنار، حيث هي أيضاً رغبت بوقت لهما
بمفردهما، كما أن سماع شافير يطالب بهذا أسعدها وطمأنها،
لتوافق على طلبه، ليركها رفيقها فيما تستعد للتوجه خارجاً.

في انشغال جلنار بذاتها تذكرت حلمها، ورغبت أن تسعد
شافير بهذا الخبر الذي وإن كان حزيناً عليها إلا أنه سيكون أسعد
خبر له، إلا أنها قررت إخباره في المساء بعد الانتهاء من قضاء
يومهما معاً، أرادت أن تختتم هذا اليوم بإسعاده.

تفاجأت بوجود أيلتنا تقف خارج حجرتها وكأنها صنم بلا أي
تعابير تعلقو وجهها، لسبب ما لم تألف جلنار وجودها، شعرت
بعينيها تتبعانها أينما توجهت وعندما نظرت جلنار إليها وجدتها
تخفض عينيها بسرعة في خوف، ربما كان هذا أمراً اعتادت عليه
كونها عبدة، لهذا السبب ذاته بدت عادية للغاية لم تكن مليئة

بالجمال إن امتلكت أيًا منه في بادئ الأمر، صبغ جلدها بحروق من الشمس وشعرها الأسود الضعيف الذي صفف بإحكام على رأسها كي لا تسقط منه خصلة واحدة، كانت أسنانها صفراء غير متساوية، ومن حديثها الموجز جدًا علمت أن لسانها ثقيل في الحديث فهي تتلعثم، نظرت أيلتا نحو جلنار نظرة تخلو من الحياة.

أيلتا: "س... س... أحضر لك ط... ط... طعام الإفطار، م... م... ما الذي تأمريني به س... س... سيدتي؟"

جلنار: "آه لا داعي لذلك أنا سأتوجه للخارج مع شافير، كما أنه لا يجب استخدام الألقاب معي، جلنار يكفي."

للحظة طرأ تعبير استهجان من أيلتا التي عاد وجهها خاليًا من الحياة بالسرعة ذاتها التي تغير فيها، قائلة: "ل... ل... لا أنت س..."

س... سيدة حرة وأنا ع... ع... عبدة، ل... ل... لا يحق... ق... ق... لي أن أتجراً.. أ... أ وأتخطط... ط... ط... ح... ح... حدودي في

الحديث.. ث.. ث معك، س... س... سيدتي."

بدا شكلها ووجودها حزينين لجلنار.

جلنار: "يبدو أن أزيو ما زال نائمًا، هل لك أن تخبريه أنني

توجهت للخارج مع شافير وسنعود لاحقاً؟"

أبيلتا: "س... سيدي، رحت... حل مب... ب... بكرة"

قالت عبارتها ورحت عن جلنار التي توجهت للطابق السفلي حيث شافير الواقف بين الأشجار ناظراً للسماء، كم بدا جميلاً بين الظلال وأشعة الشمس التي تخللت شعره الأسود، حول شافير نظره إليها ليقفز قلبها من مكانه وبالابتسامة الغريبة ذاتها قال لها: "هذا مكان جميل ليحيا المرء فيه."

جلنار: "هذا ما ظننته أيضاً، وليس فقط المنزل، بل المدينة كلها."

مد شافير يده نحوها في إشارة منه كي تمسكها وهو الأمر الذي فعلته، ليردف: "لهذا أريد لنا أن نتجول فيها، لنصنع ذكرى جميلة هنا، عليها تكون مستقرنا لنا نحن الاثنين."

وهذا الأمر الذي رجته جلنار.

أريو:

توجه أزيو مبكراً حيث معبد إيساكيلا عوضاً عن الذهاب لمعبد إيتيمينانكي، حيث إنه أراد إظهار الاحترام لمعلمه الأكبر كما طلب إذنه للدخول إلى المكتبة المحرمة، عله يجد ما يحتاج. قرر أزيو أن لا يخبر أحداً عن جلنار، فهو لا يعلم ما سيفعله الكهنة كما السحرة بخصوص هذا الأمر، حيث إن المزهرين ليسوا محل ترحاب هنا وخاصة أنهم قد يجلبون المتاعب لبابل في حال ظهور البين، وهو أمر حدث منذ زمن بعيد جداً، لذلك فإن قانون بابل ينص على قتل أي مزهر يظهر في بابل ومنع أي عابر سبيل منهم من الدخول لها، إلا أن الكهنة ذكروا لـ أزيو عن عدم ظهور مزهرين في بابل منذ ما يقارب مئتي عام حسب النصوص، مما جعل الجميع يعتقدون أنهم مجرد أسطورة، ساخرين من سؤال أزيو الذي طرحه عندما كان طفلاً عن سحر الصائدين: "ما الداعي لوجود صائد للبين؟ إنهم مخلوقات لا وجود لها، كذلك المزهرون." غير أنه يعلم غير ذلك، فتركهم لسخريتهم وجهلهم فيما قاد هو طريقه نحو ما يعلم جيداً، متخذاً كل السبل الممكنة

في سبيل تحقيق طموحه، ليكون ذلك سيئاً أو جيداً.
 دخل أزيو ساحة إيساكيلا الذي على خلاف إيتيمينانكي لم
 يرتقٍ للسماء بأبراج كثيرة بالرغم من ارتفاع جدرانها إلا أنه تألف
 من طابق واحد فقط، احتوى المعبد على فناءين أحدهما أكبر من
 الآخر، وفي آخر المعبد وُجد ضريح لمردوخ مع تمثال له
 ولزوجته سربانيط^(١)، حيث يعلم أزيو أن معلمه سيكون يصلي
 لكل هذه الآلهة التافهة.

"انظروا من جلبت معها الرياح المشؤومة، الساحر العظيم
 أريو، حامي بابل، وقاهر لمشتو."
 عرف الساحر من المتكلم دون أن يلتفت حتى، حيث إنه
 لطالما سمع هذه العبارات من الشخص ذاته منذ أن أخرج لمشتو
 من بابل، هذا بالتأكيد طالبا الساحر الذي يكن كل البغض والكراهة
 له.

أطلق أزيو تنهيدة ليسقط معها كتفاه في إشارة للملل واليأس
 من تكرار الأمر ذاته.

(١) سربانيط: الآلهة الأم في بابل

أريو: "أنت حقاً رجل ضئيل مرير، لا تستطيع تقبل أني أفضل منك، لذلك تستمر باتهامي بالدجل والخداع."

طاليا: "أنا لا أتهمك، أنا أعلم جيداً أنك عقدت اتفاقاً مع لمشتو، كي تروع بابل، ثم تجني أنت المال من طردها بعيداً."

أريو: "لو كنت ساحراً جيداً لعلمت أنه بالرغم من تعاملنا مع الجان إلا أن التهاور معهم مستحيل، حيث إن تواصلنا يتم عن طريق اللوح الحجري المنقوش باللغة السامية وحلقة تحديد النقش، كما أنه من المستحيل لنا رؤيتهم على هيئتهم الحقيقية، ما لم يتشكلوا لنا في لحظات قصيرة جداً، فكيف لي أن أحكم خطة كهذه مع ما لا أرى أو أحكي؟ أنت حقاً تحاول إيجاد عذرٍ لفشلك."

طاليا: "لن يرتاح لي بال حتى أكشف خداعك أريو." تبسم أريو ابتسامة استهزاء قائلاً: "سوف تهلك نفسك سعيًا خلف كذبة نسجها خيالك."

تولى أريو بعيداً عنه فيما عبر الساحة الأولى ثم الثانية متجهًا للضريح ومنه إلى تمثال مردوخ حيث وجد معلمه الذي أكن له الكثير من الاحترام، هو الساحر الوحيد الذي لم يكذب قصة أريو

عن رؤية البنّ ولم يسخر من سعيه، حتى عندما لم يجد لسعيه مغزى مُقنعاً، إلا أنه احترم مشاعر أريو، ومد له يد الرعاية وأخذ تعليمه على عاتقه.

أريو: "لتحل عليك بركة الإله مردوخ وآلهة بابل المقدسة، معلمي لقد عدت." ألقى التحية الرسمية فيما وضع يده اليمنى فوق قلبه وحنى رأسه مظهراً الاحترام لمعلمه الذي خطّ الشيب كُلاً من شعر رأسه ولحيته، وانحنى ظهره من الكبر مما جعله يتوكأ على عصا تساعد خطواته الثقيلة.

المعلم: "لا تحيئي بالآلهة ففي ذلك إهانة لها، أنت لا تؤمن بهم، بأي حال، ظننتك نسيت بابل، ونسيت معلمك." ضحك أزيو فيما تقدم أكثر نحوه قائلاً: "لا تقلق لم أنسك بعد."

نظر المعلم مطولاً إلى أزيو في صمت ثم قال: "أمر ما قد حدث أليس كذلك؟ أمر جيد لكنه محزن أيضاً." أريو: "هل أخبرتك الجان؟" كان سؤاله ساخراً بطريقة لطيفة ليتلقى عقبه ضربة صغيرة ممازحة على كتفه.

المعلم: "لقد اعتنيت بك منذ كنت غراً مشاكساً وعنيماً لذلك

أستطيع أن أعلم، الآن أخبر معلمك بما لديك."
 بالرغم من حب أزيو لمعلمه وثقته به إلا أنه لم يخبره عن
 قضية جلنار وكونها مزهرة، أخبره عن التقائه بها ومشاعره، كذلك
 قصة سينا وفارديون، ليجد الدهشة في معالم وجهه.

المعلم: "أحقًا قابلت بنتًا، وقاتلتها؟"

أريو: "أجل."

"عندما أخبرتني عن رغبتك في اصطاد البن، سمحت لك
 بذلك، فقط لأنني ظننت أنهم مجرد أساطير الأولين، أنهم قصص
 نقشت على صخور غير الزمن معالمها. إلا أنك قابلت أحدهم
 وقاتلته، هذا أمرٌ مقلق، من الجيد أنك ما زلت تحتفظ بحياتك
 أريو."

"أين هو الأمر الجيد معلمي؟ أردت أن اصطاد البن بالرغم من
 هذا لقد فشلت في النجاح في مسعاي."

المعلم: "ألم تصطد الوحوش منهم هؤلاء الذين أسميتهم
 فاسدين؟"

أوما أزيو دون الحديث.

المعلم: "ألست على قيد الحياة الآن؟"

أوما مجدداً

المعلم: "ألا يكفي هذا؟ ستسقط عدة مرات قبل أن تنهض أريو، حقيقة أنك لم تفقد حياتك يعني أن لديك فرصة أخرى للانتصار."

"إلا أنا فشلت معلمي." لطالما كان الفشل واجساً لديه، خطيئة يجب عليه عدم الوقوع بها.

المعلم: "لطالما نجحت في كل ما صنعته أريو، لطالما كنت مميزاً عن أقرانك، أنت تملك ما لا يملكه أي منا، رؤية الجان والحديث معهم في حين أننا غير قادرين على ذلك، هذا جعلك أفضلنا، إلا أن الأمر لم يكفك يوماً، دائماً ما أردت أكثر، فتعلمت استخدام السلاح، ثم صنعت المستحيل بطردك لمشتو، لتجند بعدها مئة من الجان، لم يكف ذلك، فذهبت وجندت أقوامهم وأقدمهم، لتقاتل البنّ وتنجو، فما زلت غير راض، متى ستصل للرضا أريو؟ ألم يتعبك هذا السعي نحو الكمال؟ ألا يتعبك محاولة النجاح في كل شيء، وتحريم الخطأ على نفسك؟ اعلم أنك بشر، امنح نفسك حقها في الخطأ واحتفل بالأمر الصغيرة أريو، وإلا فستقضي حياتك مريراً تطارد سرايباً لا تصل إليه."

سمع أزيو هذا الحديث كثيراً عن جشعه للكمال، ولم ينكر هذا، إلا أن مطاردة السراب انتهت بالنسبة له، فلقد وصل إلى حيث يريد، إن حصل عليها فلا يحتاج شيئاً آخر.

أريو: "معلمي، أريد منك معروفاً."

المعلم: "إذا لم يجد كلامي أذنًا صاغية؟"

أريو: "بلى، أذني أصغت لحوارك، إلا أنني حقاً أحتاج هذا الطلب منك، أريد أن تمنحني إذنًا لدخول المكتبة المقدسة في إيتيمينانكي" رجاه أزيو كالطفل الذي يطلب شيئاً من والديه.

أخرج المعلم من جيب معلق في أحد أحزمة ثوبه قطعة خشبية دائرية الشكل نقش عليها دائرة صغيرة في المنتصف تتبعها خمس حلقات أكبر منها، تتصل هذه الحلقات بعضها مع بعض بثلاثة رموز، الشمس، الهلال، ونجمة، من آخر حلقة امتد خط مستقيم ينتهي بنقش لهذه الرموز الثلاثة متداخلة معاً، نظر أزيو لهذا التعريف الجليل الذي يحمله بين يديه، هذه القطعة إثبات على مكانة الساحر وعرفان بقوته، إلا أن أزيو لم يحصل على واحدة منها وذلك لأنه صائد.

المعلم: "لن أسألك عن سبب رغبتك في هذا، أنت ستفعل ما

يحلو لك بأي حال، بهذه الطريقة ستجنب نفسك وإيبي المتاعب." ثم حرك المعلم يده في إشارة له بأن يرحل، فيما كان أزيو يهيم بالرحيل، طرح السؤال الذي كان يجول في ذهنه: "معلمي، هل يعلم أحد بقدرتي غيرك؟" المعلم: "بالطبع لا! أنا وحدي من يعلم، لماذا تسأل؟ هل سمعت أمراً ما؟"

أزيو: "لا تشغل بالك، لتكن في حفظ الآلهة."

اتجه بعد ذلك حيث إيتيمينانكي الصرح الضخم بحدائقه التي افترشت الأرض قبل أن تزين البرج متسابقة للسماء، شقَّ أزيو طريقه داخل المعبد، تتجه كل الأعين عليه، وجميعها تحمل فيها حقدًا، غيرة، وشكًا له هو. بالتأكيد هم يكرهونه، هو أفضل منهم، فيما يقضي الكثير من السحرة حياتهم كلها لتعلم السحر إلا أنه استطاع إنجاز ذلك في وقت يكاد يكون مستحيلًا، عدا عن ذلك هو استولى على أفضل الجان التي كانت تخدم سحرة بابل ثم تسبب في قتلهم، إلا أن تلك النظرات كانت وقود أزيو لقد أحبها، كما أحب الهمسات التي تُهمس خلف ظهره، أحب أن لا أحد يجرؤ على الاقتراب منه أو رفض طلب له، فضلاً عن هذا لم يكن البشر وحدهم من كانوا يتهامون عنه، بل حتى الجان ابتعدوا

عن طريقه، تهامسوا فيما بينهم عن الساحر الذي خان مائة منهم،
آخرون تحدثوا عن المستحيل الذي فعله في تسخير نامار له، من
بين كل الهمسات، الوكزات، والأعين الحاقدة، سار صوب
وجهته، حين وصل لبوابة المكتبة المقدسة وأرشف نصوص
الماضي، أظهر التعريف للحارس الذي علت نظرة الشك معياه،
إلا أنه سمح له بالدخول.

كانت المكتبة حُجرة كبيرة مظلمة، ورطبة جداً، حمل أزيو
شعلة نار علقت على بوابة المكتبة الخارجية، مُلقياً بها في خندق
نحيل حُفر في الأرض، ليشتع الخندق المليء بالزيت مشكلاً
حزاماً نارياً تحرك عابراً الخندق الذي أحاط بأرض المكتبة
شاقاً صفوفاً متفرقة في الأرض، كان المنظر بديعاً أن تتحول
العممة لضوء في لمح البصر، بدا هذا كالسحر حقاً، حام أزيو بعينه
في المكان الذي احتوى على لفافات بردي حملت بعضها بعضاً،
ألواح صخرية وخشبية منقوشة بأسرار الماضي، بتاريخ البشر، ما
صمّت عنه الأقدمون، كل هذه المعرفة تقبع بين يدي أزيو الآن،
ليفكر في نفسه: "سأجدك حتماً، سأجد الإجابة مهما كلف
الأمر."

جلنار

بين شوارع بابل المزدحمة، أبنيتها التي تسابقت مُقبلةً السماء،
وعلى ضفاف نهر الفرات سارت جلنار مع شافير، يده أمسكت
بيدها دون نية لإطلاق سراحها، أما هي فقد أمسكت بقوة أكبر
منه، غير راغبة خسارة نبض قلب تتشاركه معه،

"هل يمكن أن أكون أكثر سعادة؟ لتنسي البنّ جلنار، هو قد
اتخذ قراره بالموت، أما أنت فستحصلين على الحياة التي رغبتِ
بها، بعيداً عن تعداد الأيام التي تبقت لك، الآن ومع هذا الشخص
الذي لا ترجين غيره، ستمضي أيامك، اسعدي جلنار، وانظري
للسماء، إنها أبدية، مبتسمة، ما زلت حية جلنار، ما زلت حية."
حدثت نفسها بهذه الكلمات حتى تزيل الشك الذي يمنعها من
السعادة، طالباً منها أن ترثي صاحب القلب، لكن ليس اليوم،
اليوم هي حية، غداً كذلك، وحتى آخر يوم يتوقف فيه القلب عن
النبض هي حية، لذلك لن تضيع المزيد من مشاعرهما في حزن
على من مضوا.

شافير: "ما يشغل بالك؟"

جلنار: "لا شيء، أنا سعيدة فقط، جدُّ سعيدة، لأنني معك،
لأنك رفيقي."

لم يقل شافير شيئاً إنما أحكم قبضته الممسكة بها وابتسم
الابتسامة المجهولة ذاتها. في سيرهما الطويل في بابل انتقلا من
مكان لآخر بين الاستراحات التي قدمت طعاماً، إلى معابد بابل
البديعة التي لا تنتهي، وجنانها المفترشة في كل مكان من القصور
إلى الشوارع، وأجملها تلك المعلقة الموجودة في القصر الملكي،
حسبما أخبرها أزيو أنها من صنع الملك نبوخذ نصر الثاني، هدية
إلى زوجته التي أحبها بجنون أميديا. تمكنت جلنار من رؤية هذه
الحدائق العمودية كيفما كان بعدها عن القصر الذي وقف كواحة
جميلة في الصحراء، لقد منحته الحدائق الغناء ألواناً لا تحصى،
ثم وجدّت شلالات المياه الهائلة كالسلاالم من أعالي الحدائق
لأسفلها، تركت جلنار شافير يقودها أينما أراد، فيما أخذتها
دهشتها ببابل، حتى انتهى بهما الأمر على أحد الأرصفة المائية.

جلنار: "لماذا نحن هنا؟"

شافير: "نأخذ جولة مائة حول بابل."

جلنار: "أنا لم أركب النهر يوماً، أخشى السقوط."

شافير: "لا تقلقي أنا هنا."
 ابتسمت جلنار فيما قبضت ذراع شافير: "أجل أنت هنا"
 صعدت إلى القارب بمساعدة من رفيقها إلا أنها أطلقت
 صرخة خوف عندما اهتز المركب تحت أقدامهما، لتمسك بـ
 شافير بقوة جعلته يحكم قبضته على جسدها، ثم قادها ليجلسا
 فوق الحصير الذي افترش أرض المركب، وأحيطا بوسائد كبيرة
 ومريحة، فيما استظلا من الشمس بمظلة محبوكة من القطن
 الأحمر والأخضر.

قام ملاح القارب الخشبي الطويل بفرد شراع قصير وقف في
 مؤخرة السفينة تقودها الرياح عبر النهر الجاري، وجدت جلنار
 نفسها تقفز للأمام مبتعدة عن الظل، لتقف في مقدمة القارب
 باسطة ذراعها إلى جنبيها، أرجعت رأسها للوراء لتأخذ أنفاساً
 طويلة، شعرت وكأنها أول أنفاس تأخذها في حياتها، أنفاس
 جميلة، خفيفة، ملأت كيائها بحرية تافت إليها، فيما داعبت الرياح
 خصلات شعرها المتألي تحت خيوط الشمس.

"تبدین سعیده." "أنا صوت شافير من خلفها حيث لم يتحرك
 من مكانه.

حركت رأسها قليلاً تراه بطرفي عينيها فقط قائلة: "أشعر بالحياة شافير".

تمتم شافير بشيء لم تسمعه جلنار إلا أن أعينهما التقت، حينها تحرر خيط شمس من بين السحب ساقطاً بضوئه على جلنار فيما ظل شافير في ظلام الظل، لسبب ما بدا بعيداً عنها، بدا كمن يتلاشى في الظلام، فيما تظل هي تحت الشمس، ذعرت جلنار للحظة واحدة إلا أن شعاع الشمس ذاته ضرب عينيها، قاهرأ إياها لتغلقهما، وعندما فتحتهما مجدداً وجدت أن يد شافير كانت فوق رأسها حاجبة الشمس، لم تعلم لماذا تملكها الذعر حينها، لعلها عادة صاحبها دائماً، الخوف من خسارة من تحب، إلا أن عليها التخلص من هذه العادة الآن، فهي لن تخسره.

قاربت الشمس على المغيب، فيما كان قلب جلنار يخفق بسرعة، قريباً ستخبر شافير بحلمها، قريباً سيتتهي كل شيء، أثناء سيرهما في أحد البازارات توقف شافير لحظات أمام صانع مجوهرات، رأت جلنار ما كان ينظر إليه وإذا هي قلادة جميلة جداً، لقد صيغت القلادة من الفضة التي طُعِمَتْ بحجرين نفيسين، الزمرد الأخضر، والياقوت الأحمر، أمسك شافير القلادة

في يديه ثم سأل الصائغ عن ثمنها.
البائع: "ثلاث سبائك من الفضة الخاصة، أو خمس سبائك
من الفضة البيضاء."

جلنار: "هذا المبلغ مبالغ فيه، هيا بنا شافير."

شافير: "حسنًا، سأقتنيها."

جلنار: "لماذا تريد شيئًا كهذا؟ كما أن ثمنها عال جدًا، نحن لا
نملك هذا المقدار من المال."

ابتسم شافير لها قائلاً: "فتاة سخيفة، إنها هدية لك وليست لي،
كما أني أملك هذا المقدار من المال فلا تقلقي."

تفاجأت جلنار من لفتته اللطيفة بالرغم من أنه كان دائماً ما
يشترى لها حاجياتها إلا أنها لم تحمل يوماً اسم هدية، لقد كانت
مجرد مقتنيات أحضرها لها، كما أن هذه أول هدية تحصل عليها
في حياتها، وقد كانت منه هو، شعرت بقلبها يزهر بسعادة لا مثيل
لها، حتى أنها لم تجد في نفسها القدرة على سؤاله عن مصدر كل
هذا المال. قدم شافير عملة واحدة ذهبية عوضاً عن الفضية
للبيع ثم وقف خلف جلنار واضعاً القلادة على نحرها فيما
قامت يدها بإغلاق القلادة، وعندما فشل في ذلك قام بإزالة شعرها

من على ظهرها واضعاً إياه على كتفها، لتسري رعشة صغيرة في جسد جلنار عندما لامست أنفاسه عنقها، أخيراً أغلق القلادة، ثم وضع يده على كتفها جاعلاً إياها تلتفت نحوه بحركة هادئة وبسيطة، كان كل كيائها يشتعل خجلاً، أما وجهها فقد تحول للون الأحمر، فيما ظلت عيناها تنظران للأرض خشية أن يراها شافير في خجلها، إلا أنه نطق بعبارة واحدة عندما رأى العقد:

"كالحلم الجميل."

رغمًا عنها رفعت جلنار عينيها لترى شافير إلا أنه كان أسرع منها حيث أمسك يدها بادئًا بالسير أمامها.

خيم الليل على بابل، والاثنان في طريقيهما لمنزل أريو، فجأة شعرت جلنار بكل كيائها يتفرض كأنه ينبهها إلى شرٍّ قادم، وفي تلك اللحظة ذاتها توقف شافير ناظرًا للسماء، همست جلنار بخوف: "شافير!"

وقبل أن تكمل كلماتها إذا بيده تحكم قبضتها على يدها ليصرخ قائلاً: "اركضي جلنار، لا تتوقفي، لا تتركي يدي" من دون تفكير فعلت جلنار.

أريو

في هذه الحجرة المظلمة عمل أريو بلا كلل، لم يلحظ كم من الوقت قد مضى، وأن الشمس قاربت على المغيب، أراد أن يبحث بقدر المستطاع، أن يجد الإجابة، إلا أن أفكاره جالت به من حين لآخر، ظل يسترجع ما قاله له طالبا عن سره، هو لم يكن مخطئاً بالتأكيد، غير أن لا أحد يعلم به، لهذا السبب تمكن أريو من خداع كل بابل بمن فيهم معلمه، طالبا لم يكن مخطئاً بأمر الصفقة التي قام بها أريو مع لمشتو.

خلال نشأته في المعبد، وأثناء تدريباته خالط أريو الكثير من الأشخاص، حيث إنه كان يرافق معلمه إلى كل مكان ويحضر معه كل الطفوس، حينها تنبه لفرق المعيشة بينه وبين أبناء النبلاء، كيف أن طعامهم كان متنوعاً، في حين أن كل ما تناوله هو طعام بلا طعم يستساغ أعده مطبخ المعبد لهم، ثياب النبلاء كانت زاهية بالألوان، فضلاً عن المجوهرات التي تحلوا بها من ذهب، فضة، وأحجار كريمة، أما ثيابه فقد كانت بيضاء اللون، بالية وأحياناً ممزقة حتى، إلا أن أكثر ما أزعجه هو تلك النظرة التي نظروا بها

إليه، نظرة دونية كأنه قذارة من الأرض، مرض يجب عليهم عدم الاقتراب منه، عدا عن سخرية أطفال النبلاء منه، من أصله، يُتِمّه، الأمر الذي يتعدى للضرب أحياناً، لم يكن مسموحاً له بالرد عليهم أو الدفاع عن نفسه فما هو إلا موشكينو^(١) بلا اسم أو أصل، هو لا أحد أمام هؤلاء الجبابرة، لذلك تسلل الحقد، والحسد إلى قلبه، أراد ما لديهم، أراد أن يذيقهم طعم الحاجة إلى من ينقذهم من كابوس طويل بلا منجد لهم منه إلا هو، حينها قابل الجانة لمشتو، كانت حمقاء بسيطة، كل ما أرادته هو أن تملك صيتاً حَسَنًا تستطيع من خلاله عقد صفقة مع ساحر، هذه غاية كل الجان تقريباً، أرادوا القيام بصفقات مع السحرة إلا أن جانا بلا صيت أو إنجاز لا يتم عقد صفقة معه، وعلى غرار باقي الجان لمشتو كانت مستعدة لعقد صفقة مؤقتة مع أريو، البشري الضئيل الذي لم يحترمه بعض الجان، في حين أن الجزء الآخر خاف من قدرته الغريبة.

مجاز الصفقة كان بسيطاً، سيقدم لها القرابين لتزداد قوة في حين أنها ستصيب بابل بالرعب، خاصة النبلاء منهم، لتؤذي أعز

(١) موشكينو: الخدم في بابل

ما على قلوبهم، ألا وهم أطفالهم ونساؤهم، وهذا ما فعلت، كلما ازدادت قرابين أزيو ازدادت قوتها، وبطشها بالنبلاء، ليتضرعوا للآلهة، للكهنة، والسحرة، إلا أن لا أحد منهم تمكن من إيقافها؛ السبب لذلك بسيط جداً، هي صفقة أخرى عقدها أزيو مع الجان: "ابتعدوا عن طريقي وسأعقد صفقتي التالية معكم لتزداد قوتكم، فتتشروا في الأرض، وتُضدي أسماؤكم عند سحرة الأرض جميعهم، فتتعاقدوا مع أقواهم، ترتفع مكانتكم بين الجان"

عندما راقب الجان قوة لمشتو وسمعتها التي جابت الأرض بسرعة لا مثيل لها علموا أن العمل مع أزيو صفقة جيدة، بهذا ادعوا الفشل في كل محاولة لإيقاف لمشتو، أخيراً وبعد سنوات يأس وخوف مرت طويلة على البشر، إلا أنها لم تكن أكثر من طرفة عين للجان، قرر أزيو أن يخطو خطوته، مستغلاً يأسهم وطمعه، طلب منهم المال كعربون شكر في حال نجاحه، ولعجرفة النبلاء وافقوا على الأمر ظناً منهم أنه سيفشل، تظاهر أزيو بمحاولة استحضار لمشتو والحديث معها داخل ضريح مردوخ في معبد إيساكيلا، ولإثبات نجاحه سمح للكهنة وكبار النبلاء

بالحضور، قامت لمشتو بإحداث الكثير من الضجة عبر الصراخ،
 الهمس، تحطيم الأواني، إطفاء النار المشتعلة، وأحياناً تشكلت
 كظل أسود مخيف يظهر ويختفي بسرعة، ليسود الذعر في كل
 الحاضرين، أخيراً تمت أزيو ببعض التعويذات الفارغة لتبدأ
 لمشتو بتحريك اللوح القابع أمامه مُشكلةً جُملاً قصيرة، الطريقة
 ذاتها التي يفعلها باقي الجان والسحرة فلم يرد أزيو أن يثير شكوك
 من حوله أو يفضح موهبته، بعد أن بلغت لمشتو بمتطلباتها التي
 تقضي بإحضار القرابين لها، تجهيز مركب، وإعطاءها نصف
 كنوزهم، وافق النبلاء على هذه الشروط، فكل ما أرادوه هو
 التخلص من بلائها، حينها فسخ كل من لمشتو وأزيو العقد
 لترحل هي من بابل، فيما أخذ أزيو كنوز النبلاء خفية عليهم فضلاً
 عن المكافأة المادية التي قدمت له، منذ ذلك اليوم قام أزيو بالكثير
 من أعمال الخداع الصغيرة طمعاً في المال، وحظي بمكانة
 مرموقة عند النبلاء والكهنة إلا أن لا أحد يحبه حقاً، جميعهم
 يتمنون سقوطه وفشله، إلا أن معلمه يحمي ظهره، كما أن رحيله
 في رحلة طويلة ساهم في إخراسهم وإبعاد أذاهم عنه وهو بعيد
 عنهم. لطالما أزعجه طالبا بسرّه، وفي حين أن أزيو لا يعلم كيف
 له بمعرفة أمر كهذا، إلا أنه لم يسأله أو يبحث في الأمر ففي هذه

المدينة لا حليف واحداً له، الجميع ينتظرون سقوطه لغرز
خناجرهم في جسده كله، وما كان أزيو ليمنحهم هذا.

بينما تنقل الساحر في أرجاء الحجرة محرراً كل مطوية، قالباً
كل لوح خشبي وصخري، وقعت عيناه على صخرة أساس
أسطوانية الشكل سوداء اللون تقف بمفردها في زاوية مظلمة لم
يصل إليها ضوء النيران، بدا وكأن أحداً ما حاول إخفاءها على
الوجود، أحضر أزيو إحدى الشعلات التي علق على الجدران
وتوجه بها صوب الصخرة التي أظهرت نقوشاً مسمارية حفرت
عليها انقسمت لعدة أقسام في أحدها كُتب:

إيتيمينانكي، زقورة بابل، صنعتها، عجائب شعوب العالم،
رفعت قمته إلى السماء، صنعت أبواباً للبوابات.

لم يع أزيو هذه الكلمات أو المقصود بها، إلا أنه اتجه لباقي
الأقسام من الصخرة وبدأ بقراءة الكتابة المتأكلة:

في ذلك الوقت أخبرني سيدي مردوخ فيما يتعلق بإيتيمينانكي،
زقورة بابل، التي كانت قبل وقتي بالفعل ضعيفة جداً، بترسيخ
قواعدها على صدر العالم السفلي، لجعلها تتنافس مع السماء،
شكلت الطوب الطيني دون عدد وقوالب مخبوزة، مثل قطرات

المطر التي لا حصر لها، كان لي نهر أراحتو يتحمل الطين والقار مثل الفيضان العظيم. من خلال فصحاة إيا، من خلال ذكاء مردوخ، من خلال حكمة نابو ونسابا، عن طريق العتل الذي سمح لي الإله الذي خلقتني بامتلاكه تداولت بفكري العظيم. من خلال حرفة طرد الأرواح الشريرة، وحكمة إيا ومردوخ، قمت بتطهير المكان، وجعلت منصته الأساسية ثابتة على قاعدته القديمة، في أساسها وضعت الذهب، الفضة، والأحجار الكريمة من الجبل والبحر.

انحنت رقبتني لسبيدي مردوخ، لفتت ثيابي، ردائي الملكي، وحملت على رأسي الطوب والأرض، كان لدي سلال تراب مصنوعة من الذهب والفضة، وجعلت نبوخذ نصر، ابني البكر، المحبوب لقلبي، يحمل إلى جانب عمال الأرض ممزوجاً بالنبيذ والزيت، ورقائق الراتنج، لقد جعلت نابلسوميزير، شقيقه، فتى قضية جسدي، ابني الأصغر حبيبي، بحمل مجرفة، وسلة بتراب من الذهب والفضة هدبة لمولاي مردوخ.

شيدت المبنى مماثلاً لزقورة آشور، بفرح وابتهاج رفعت قمته إلى أعلى جبل، بالنسبة لسبيدي مردوخ فقد جعلته صرحاً مناسباً

للعجب، تماماً كما كان في الأوقات السابقة. (١)

قرأ أزيو النقش بعناية عدة مرات وفي كل يصاب بدوار في رأسه، حيث إن كل القصص تخبر أن من قام ببناء زقورة إيتيمينانكي هو الملك نمرود، وأنها بنيت قبل قرون من الآن، فلماذا يُذكر هنا أنها قائمة من قبل؟ أن بناها تم من شعب آخر وليس أي شعب، بل "عجائب" الشعوب. حينها تذكر أزيو أمراً قاله شافير عندما رأى إيتيمينانكي: "ربما كانت رفاتاً لمن سكن الأرض من قبل، فقام البشر بنسب الفضل في بنائه لأنفسهم"

ضربت موجة من التساؤلات والشكوك أريو، ليصعق مجدداً بحديث سابريل القديم على قمة أبراج بورسسيا: "ما زلت أذكر يوم بنينا هذا البرج، ما زال صوت الألحان التي غنيناها ذلك اليوم يصدي في أذني ووجداني، كم أتمنى لو أنك ترى ما كنا عليه يوماً بُني، لقد كنا عظيمين، لكننا احترقنا."

لم يعد يعرف أزيو ما الذي عليه أن يصدق، ما حقيقة سابريل؟ بل ما حقيقة شافير؟ من هما؟ كيف لشخصين لم يتقابلا أن يذكرنا



(١)

الأمر ذاته؟ الأمر الذي لم يصدقه آنذاك، إلا أنه بات حقيقة الآن، هنالك شيء لا يعلمه، وعندما بدأت صورة الحقيقة تتشكل أمامه، ظهر نامار أمامه، بسرعة قائلاً:

"يا فتى هنالك بنٌ فاسد هنا، ولعله خلف الفتاة، لننطلق، اتبع خيوط دخاني"

انفض أزيو من مكانه راکضاً إلى حيث تقوده خيوط نامار، ليصرخ نامار المحلق فوقه: "هنالك اثنان، كما أني أستشعر وجود مخلوق لا أعلمه"

أريو: "هل يتجهان صوب المنزل، حيث جلنار؟"

نامار: "لا، لكن يبدو أنهما يطاردان شيئاً ما، يا فتى اتبع الخيط في الشمال، وأنا سأتجه حيث الوحش في الغرب، ويا فتى لا تدعهم يقتلونك."

افترق الاثنان، فيما ركض أزيو حيث وجهته خيوط نامار، ليشعر بحركة من فوقه، رفع رأسه ليرى وحشاً مخيفاً يقفز فوق البنيان تتبعه خيوط نامار، إلا أن ما أفزعه حقاً هو وجود ظل ثانٍ يطارد المخلوق حينها سمع أزيو صرخة قادمة من بعيد، أبعد من أن يصل إليها بسرعة، ذلك كان صوت جلنار.

جلنار

بدأت جلنار بالركض خلف شافير الذي كان يمسك بها بقوة،
أثناء ركضها سمعت صوتاً يقترب لمخلوق يلهث، نظرت جلنار
خلفها لتجد وحشاً يطارد هماً، لم يكن مخلوقاً ميزته، بل بدا
كأحد المخلوقات في قصص الأطفال تلك التي تُحكى لتخيفهم،
بهية سوداء غريبة تغطت بأوراق شجر وأغصان بالية جافة، سار
الكائن على أربع أرجل جميعها حملت مخالب سوداء طويلة، أما
فمه فقد خرج منه أنياب طويلة حمراء فيما ظل سائل أسود تنتن
يَقطر منه، بدا المخلوق مسعوراً، بعينين ذهبيتين اللون نظرتا
مباشرة إليها. تعثرت جلنار أثناء ركضها حيث إن سرعة شافير
فاقت سرعتها، ليحملها بين ذراعيه قبل أن تلمس الأرض، ثم
وثب بقوة كبيرة جعلته يصل لسطح أحد المنازل، ليبدأ بعدها
بالركض بسرعة مهولة أخافتها، "هل كان يوماً بهذه السرعة؟
والقوة؟" فكرت جلنار التي شعرت بأن الهواء لا يكاد يصل
داخلها فبدأت تختنق، الأمر الذي لاحظته هو الآخر، مما جعله
ينظر حوله كمن يحاول إيجاد مخبأ، وبالسرعة ذاتها قفز قفزة

كبيرة هابطاً للأرض، وتحت مظلة منحت لهما الظلام درعاً،
لينزل جلنار من ذراعيه فيما ظلت تحاول استعادة أنفاسها.

أمسكها شافير من كتفيها قائلاً: "تنفسي ببطء، ببطء جلنار."

فيما ظلت عيناه القلقتان تراقبانه وعندما عادت أنفاسها، أتى
صوت صراخ لم يكن ببعيد عن مخبئهما، لقد بدا كصراخ حيوان
جائع وغاضب يبحث عن فريسة تروي جوعه، ليأتي بعده صوت
آخر مشابه لصوت ذلك المخلوق، لقد كان هنالك اثنان منهم،
شعرت جلنار بقلبها يتوقف ونظرت نحو شافير بذعر لا مثيل له.

جلنار: "هو يلاحقني، لقد أتى من أجلي، إنه صاحب هذا
القلب لقد أتى ليحصل عليه، لماذا؟ لقد قال إنه لن يأخذه؟
لماذا..."

احتضنها شافير داخل ذراعيه القويتين، ثم همس: "اهدئي لن
يؤذيك أحد، أنا هنا، ابقِي حيث أنت، أنا سأبعده، ثم آتي إليك."
نزع شافير الملائة التي كان يرتديها ووضعها على جلنار، فيما
نهض من مكانه، وجدها تجذبه من ثيابه.

جلنار: "لا تذهب، أرجوك لا تذهب، لا أريدك أن تتأذى."
عاد شافير وأنزل نفسه ليلاقى نظرها حينها قام بأمر جعل كل

حواسها تتوقف عن العمل، كل خوفها يتلاشى، لتجد السعادة في
ذعرها، شافير قبلها على شفاهها بكل عطف، حب، ودفء سرى
في كامل جسدها موقفاً إياها عن الارتعاش، مجدداً أبعد شافير
نفسه عنها قائلاً: "أعدك بأن أعود، نادي اسمي وسأكون أمامك"
ليرحل مع هذه الكلمات، في حين أن جلنار لم تجد القوة في
جسدها لتوقفه.

قبعت جلنار في مكانها لم تتحرك قيد أنملة، فقبلت شافير سرقت
معها الوقت، الإحساس، وكل شيء آخر غير شعور الرضا،
الاكتفاء، والسعادة، في سكرتها انتفضت من صوت قادم فوقها:
"أعطيني قلبك، أريد قلباً، أيتها المزهرة أريد قلبك." رفعت
جلنار عينيها لتجد أحد المخلوقين يقف فوق سطح المنزل الذي
تختبئ هي تحته، وعيناه الحمر او ان تنظر ان إليها، لقد بدا مختلفاً
عن سابقه، حيث إن هذا يسير على قدمين، عدا أن ظهره كان
محنياً للأمام، لم يكن له أغصان إنما حبال من الأوراق البنية
البالية، عندما رأته جلنار حبست الصرخة داخلها وبدأت بالركض
بسرعة مما جعل الوحش يطاردها، فجأة شعرت جلنار بأن قدميها
ترفعان من على الأرض وجسدها يجذب للخلف، نظرت فإذا

حبال الوحش تلتف حول جسدها فيما يقودها نحو مخالبه
وللموت، هنالك صرخت جلنار: "شافير!"

لتجد أن جسدها قد توقف عن الحراك، وبصرخة عالية تأتي
من حيث مصدر الوحوش، فتحت عينيها لتجد أنها بين ذراعي
شافير، نظر إليها بعينين مختلفتين، لتطلق جلنار شهقة من فمها،
وضعها شافير بهدوء على الأرض، قائلاً: "أنا آسف."

من هنا تغير كل ما تعرفه جلنار، شيئاً فشيئاً تغير مظهر شافير،
ليأخذ شكلاً آخر، بعينين زمرديتين، تلاشى شعره الأسود القصير،
أخذةً مكانه خصلٌ من شعرٍ ذهبي، من جسده تحركت ثم نبتت
أوراق فضية اللون، لترسم على جلده كأنها وشم يحميه ومن بين
هذه الأوراق أزهرت براعم الجلنار^(١) الحمراء ببتلات ازدهرت
على أجزاء مختلفة من جسده، لدى رؤيتها هذا المشهد همست



جلنار: "شاوران؟"^(١)

لم يقل شيئاً إنما اكتفى بالإيماء برأسه، شعرت جلنار بالعالم يتوقف، وبأن قدميها لا تحملانها، إلا أنها لم تسقط أرضاً، فقد تسمر جسدها، حتى عندما صرخ المخلوق غاضباً مرسلأ حباله نحوهما هي لم تتحرك، غير أن شاوران فعل، حيث اندفع بسرعة هائلة مكشراً عن مخالبه نحو الوحش. أطلق المخلوق أحزمة نباتية هوجاء صوب البين، إلا أن شاوران تفادها كلها، كبهلوان يتحرك برشاقة كانت قدماه بالكاد تلمسان الجبال فقط لتمنحاه دفعة لقفزته التالية، حينها أطلق الوحش سيلاً من القطران الأسود نحو شاوران الذي أطلق من جسده حبالاً من الأوراق الفضية المتحركة بسرعة قاطعة القطران قبل أن يصيبه، حينها صُوت المزيد من الحبال نحو شاوران لتُشكّل شبكة كبيرة متداخلة مانعة إياه من التحرك، لتخرج هذه الحبال أشواكاً كبيرة بغرض تمزيق جسد شاوران، وكما يبدو فقد نجح الأمر حيث إنه من بين الحبال المطبقة عليه تساقط سائل أخضر عطر علمت جلنار أنها دماءه،



(١)

لتطلق صرخة عالية، حينها بدأت الحبال تغير شكلها كأن من بداخلها يصارعها، في طرفة عين تمزقت الحبال أشلاء، كاشفة من بينها شاوران الذي أحاط نفسه بأوراق فضية ممتزجة ببتلات الجلنار الحمراء، لتنتلق الحبال كما البتلات بقوة كالسيل العارم نحو الوحش ممزقة إياه لأشلاء ليسقط جسده أرضاً، فاقرب منه شاوران بحذر، من بين آخر أنفاسه ولهائه قال المخلوق: "أريد قلباً، أريد أن أعود، أرجوكم أعيدوا لي قلبي." هذا آخر ما قاله المخلوق الذي ذهب الضوء من عينيه وتلاشى جسده للأرض.

جلنار بقيت كما هي لم تتحرك من مكانها، كل شيء يبدو كالحلم، بل هو كابوس، كيف يمكن هذا؟ أهذا جزاء جشعها لأنها أرادت الحصول على كل شيء؟ الآن أكثر من الحياة التي تحبها وترجوها ستخسر حياة من تهيم في حبه.

شاوران: "لم يكن أيُّ من هذا خطأك"

اقرب منها بهدوء وثبات فيما حملت نظراته الأسى والندم، الآن علمت جلنار سبب نظراته لها، علمت سر الابتسامة الغريبة، أنه نادم لما سيسببه لها من ألم، هو حزين لما سيؤول له قدرهما، هي تعلم أنه لم يخدعها، لم يعن خداعها، حتى وهو بهذه الهيئة،

حتى وهي تعلم سره، لم تتزعزع ثقتها به، نظرت جلنار بتمعن له، لرفيقها، حاميتها، حبيبها، منقذها، هو الوجود كله لها، والآن لم يعد لوجودهما معاً أمل، لا يوجد لهما غد، أرادت التحدث قول شيء ما، أي شيء إلا أن صوتها يأبى الخروج، دموعها لا تجد مكاناً في عينيها، وقفت تنظر إليه، متأملة آخر لحظاتها معاً، حينها وضع يده على وجنتها قائلاً: "أنا من كان جشعاً جلنار، أنا من رغب بأن أكون معك، رؤيتك تضحكين، تبسمين، طمعت برؤية الحياة فيك ومنك، كانت لدي الفرصة لأهرب آلاف المرات، وقد فعلت، إلا أن قدمي أعادتاني لك دائماً، أنا أحبك جلنار، أنت زهرتي، سعادتي، أنت حلمي الذي لن يتحقق يوماً، لطالما تساءلت عن سبب حياتي، ولم أجده إلا عندما عكست عيناك وجودي، لم أذق طعم الحياة إلا عندما ضممتك إلي، حياتي كلها بآلاف السنوات التي قضيتها لا تقارن بابتسامة واحدة من شفئك، ولا بنبضة قلب واحدة حتى، شكراً لكونك النصف الأجل من ذكرياتي، شكراً لمنح حياتي سيباً، شكراً لكل المشاعر التي منحتها قلبي، شكراً لمناداتك لي شاوران، الآن سأؤمنك ذكرياتي، قلبي وروحي، أبقيني ذكرى جميلة في قلبك، أتمنى أن لا تعرف روحك الظلام يوماً، وداعاً يا زهرتي الجلنار."

... لتلقاه

شاوران

... يملكه بحاله نأ ملدا ما

خرج شاوران من بابل مسرعاً كأنه يريد أن يهرب من

... قلبها ان يلقاها

أرغفها شعر بحسده يحترق وحسدها بكل ما في

شجرك نالت أنفاسه نفاية في صدره، ليست

الفصل الثالث

... قلبها ان يلقاها

شاوران اجتاح وجوده أيضاً، هو حلق من بين

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

القدر

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

... قلبها ان يلقاها

قبل لقائنا...

لم أعلم أن عالمي مظلم...

بقليل من أنفاس الحياة...

التمستُ ضوءك...

لحظتنا المملة... **بشائنا بسعفا**

أضاءت حياتي...

الحقا
قبل رحيلك...

لم أعلم أن عالمي مشرق...

ذبل ربيعك سريعاً...

أخذت معه آمالي...

أنسيتني وامضي قدماً...

لأنني سأكون حولك...

عندما تناديني أنفاسك...

شاوران

خرج شاوران من بابل مسرعاً، مخلفاً خطاه على الكثبان
الرملية، شعر بجسده يحترق وصبغاً، بكل نياط فؤاده تتمزق
شجنًا، باتت أنفاسه ثقيلة في صدره، ليسيطر الخواء على روحه،
إنه ذاته الخواء الذي تشعر به جلنار الآن، إنه اللا شيء، إلا أن
مشاعره اجتاحت وجوده أيضاً، هو حائق من ذاته، كارهٌ لنفسه،
للدنيا، للأنفاس داخل صدره، للوقت الذي لا يكون فيه مع
جلنار، لهذه المسافة التي تباعد بينهما، لكل حبة رمل تفصل
طرفهما، هذا الألم لا يقارن بألم جسده، وجوده كله يشتعل
عذابًا، يغرق حزنًا، يتمزق سخطًا، إلا أن عليه أن يتعد عن
حيث تكون هي، بعيداً جداً، بعيداً حيث لا يطالها، حيث لا يشعر
بقلبه في صدرها. قدما شاوران خانتاه حيث إنه لم يستطع الوقوف
أكثر أو الركض، حينها وبين كل المشاعر الظلماء التي اجتاحتها،
نبت الشوق، الرجاء، ودعوة يائسة للعودة، هذا قلب جلنار
يدعوه، لقد زال عدمها، ليحل مكانه تضرع للعودة، ورجاء ليكون
كل هذا كذبة، أنه لن يتركها، ليسقط شاوران أرضاً معتصراً

موضع وجدانه بيده، مطلقاً دموع الندم، والشوق الذي اجتاحه هو أيضاً، ظل شاوران يتحجب مطلقاً صرخات متنهدة من حين لآخر.

"ما الذي يبكيك؟" أتى صوت ساخر من فوقه، لم ينظر شاوران إلا أنه علم صاحب الصوت.

شاوران: "ارحل عني."

نامار: "كان تمثيلك متقناً أيها البين، تظاهرك بأنك لا تراني، هذا مثير للإعجاب، أنت أفضل مخادع رأيته، كيف استطعت خداعي وأنا حولك؟ أرى أنك لست من الجيل الضال، كيف تمكنت من حجب نفسك؟ كيف يتمكن البين من تغيير هياتهم لتشبه البشر؟ لكن الأهم من هذا لماذا تصطنع البكاء؟ أم أن هذه مشاعر الفتاة تُنقل إليك؟ أعتقد أني سأصدق هذه المهزلة مجدداً؟"

انقض شاوران على نامار بسخط متأجج، مطلقاً كل الوشم الذي على جسده حبلاً ورقية فضية اللون، لتبت من ثناياها أزهار الجلنار القرمزية، ومن بين هذه الحبال خرجت فروع خشبية، ثم جذور متعركة، نما كل شيء متطاولاً ثم هوى على

نامار، الذي هتف بحماس: "هيا أيها البن! سأخلصك من
نعاستك وأحيلك لرماد." ليطلق هو الآخر شظايا من الدخان
مسننة نحو خصمه.

هذا ما أراده شاوران أن يحال لعدم، أن يتخلص من بؤسه،
والأهم أن الموت هو الضمانة الوحيدة لعدم إيذاء جلنار.

لم ير أي منهما خصمه، لقد اصطدم الدخان مع النباتات
محدثاً غمامة سوداء حاملة معها بقايا ما تمزق من الهجمة
الأولى، لم يهتم شاوران إن رأى خصمه أم لا، كل ما يريده هو
إيذاء أحد ما كما ذاته، أراد إغضاب نامار الذي يعرف من يكون
حق المعرفة، لقد وقف يراقب من بعد عندما أحرق أوراء، رأى
مدى قوته وجبروته، هذان هما ما يطمح للحصول عليهما الآن،
نار تفني وجوده، لذلك بدأ بالضرب بهجمات عشوائية، ليضرب
ما يضرب في طريقه، على حين غرة تمزقت الغمامة عندما انبثق
نامار منها مشكلاً منجلاً دخانياً تفرع من هيئته، وحلق مسرعاً
نحو شاوران، وهو يؤرجح المنجل نحو عنقه.

استعد شاوران لاستقبال الموت مغلقاً عينيه، إلا أن المنية لم
توافه، فتح عينيه ليجد بنًا يقف أمامه، ومنجل نامار توقف عند

لمس عنق البنّ، نظر شاوران للوشم عليه ليجد أنها أزهار نيلوفر زرقاء.

نامار: "ماذا الآن سيون؟ هل ستمنعني من قتل هذا البنّ أيضاً؟"

سيون: "أعد منجلك نامار فلن تقتله وأنا هنا."

تملك شاوران الكره صارخاً: "أنت! سيون أنت من جعلنا ما نحن عليه، صنعتنا جنوداً لا نعرف إلا القتل والقتال، ألم تكتف من التحكم بأقدارنا؟ هل تمنعني من الموت الآن؟ أستحرمني الراحة والخلص؟ ابتعد فقد اكتفيت منكم ومن هذه الحياة."

سيون: "لن أنكر ذنبي بكم أيها الجيل الباسل، كل ما فعلته كان رغبة مني في حماية حياتنا، إلا أني قمت باستغلالكم، لك أن تبغضني ملء روحك كيفما تشاء، لن أدافع عن نفسي، لكن إن أطلت استخدام الازدهار مدة أطول فستُهلك جسدك، لذلك أرجع هيتك لطبيعتها وأعد شجرتك لمكانها، إن لم تفعل فستحكم على مزهرتك بالموت."

ارتعد شاوران من فكرة إيذاء جلنار لم يفكر في الأمر مرتين أو يسأل حتى عن حقيقة قول سيون، بالرغم من كل خطاياها لم يكن

سيون يوماً كاذباً أو مخادعاً، أعاد شاوران ما أزره لداخل جسده مجدداً، إلا أن نامار لم يحرك ساكناً تاركاً نصل المنجل عند عنق سيون.

نامار: "أنا لن أدع بنتاً آخر يرحل سيون، إذا لم ترحل من أمامي فسأجتز عنقك قبله."

سيون: "حقاً نامار؟! هل سنعيد الأمر ذاته كلما تقابلنا، كلانا يعلم أننا لن نقتل بعضنا بعضاً، كما أنه كما سبق وأخبرتكم، الفتاة ستموت إن قتلت شاوران الآن."

نامار: "هذه خدعة فحسب."

تنهد سيون قائلاً: "ألم تعرفني بما فيه الكفاية الآن؟"

ليقوم بعدها نامار بفض هيئة المنجل قائلاً: "حسناً، أنا أعلم أنك لا تلجأ للخداع أبداً، لذلك ابدأ بالشرح"

استمع الاثنان لما قاله سيون، ليعلم أن الموت الآن ليس خياراً، حيث إن الخيار الوحيد يقبع في انتظار الوقت المناسب لإنهاء معاناته. رغمًا عنهما وبعيداً عن إرادتهما تبع الاثنان سيون إلى حيث منفى شاوران إلى حين أجله، قادهما سيون إلى جنوب بابل، حيث مدينة تكاد تكون خاوية من سكانها، وبرج طويل،

متها لك، يقف بشموخ في الخواء بالرغم من الألفيات التي انقضت منذ أقامه البنّ وفقاً لأوامر أورا، هنا في هذه المدينة التي أنشأها البشر حول برجهم العظيم، مطلقين اسم بورسيبا عليها، الآن هي مجرد أنقاض لما سبق وكانت من عظمة، هذا ما تفعله جميع المخلوقات تدمير كل شيء، والبنّ لم يكونوا مختلفين عنهم، حتى وإن آمنوا في صميم أنفسهم أنهم أفضل إلا أنهم لم يكونوا كذلك، صنعوا كذبة، زينوها ثم آمنوا بها، مثلهم مثل البشر الذين رسموا آلهة عديدة ليس لها وجود فعبدوها، إلا أن شاوران لم يؤمن يوماً بالبنّ وصلاحهم ولا بأورا وجمالها الكاذب.

بعد ارتقائهم البرج، توجه شاوران إلى نافذة سمحت لضوء القمر بالتسلل نحو حجرة خاوية، موجهًا نظره لكل النجوم التي تناثرت مثل قطرات المطر في السماء، هذه النجوم التي سرقها مع جلنار، عندما استلقيا على رمال الصحراء ليلاً، حين يعددان آمنياتهما، أحلامهما في هذه الحياة، ثم يرسلانها للنجوم، وكما لو أن النجوم تستمع لهما، لتبدأ بالتساقط قليلاً من السماء، أين باتت هذه الأمنيات الآن؟ هي لم تصل لأي مكان، بل تناثرت بعيداً، مصيبة جلنار بوصفٍ لم يكن يرجوه شاوران لها، إلا أنه هو

الملوم على كل شيء، هو علم عاقبة أفعاله أما هي فقد كانت
نبض قلب لم يشعر به منذ أمد بعيد.

شاوران: "أيها الجان، أخبر ساحرك أن السبب الوحيد في
سماحي له بمرافقتنا، كان من أجل أن يقضي عليّ هو، لتخبره أنني
أنتظره هنا، عليه أن يجز عنقي جيداً، ألا يخطئ، وأخيراً أخبره أنني
سأؤمنه جلنار، ليهبها حياة تستحقها، حياة ملؤها البهجة، أما هي،
جلنار فأخبرها، أنك قضيت علي، فلتنسني، ولتمض قدماً، أنا
حولها دائماً، سأتى إليها عندما تنادينني أنفاسها."

سامحاً لليأس بأن يلتهمه، أحاط شاوران ذاته بجدار من حبال
ورقية عازلاً روحه عن العالم بكل ما فيه، ليسبح في ذكريات
طويلة لما كان يوماً ما، لما أصبح عليه مع جلنار، وكل ما لم
يستطع أن يكونه يوماً معها، منتظراً اليوم الذي ينتهي فيه الحلم.

أريو

بالكاد تمكن أزيو من رفع جلنار المنهارة عن الأرض وإعادتها
لمنزله، كل ما فقهه من حديثها هو أن شافير هو البين، حينها لم
يعلم ما يتحتم عليه الشعور من كل هذا، أعليه أن يغضب من نفسه
ونامار، حيث إنهما وللمرة الثانية يغفلان عن بينَ أمامهما؟ أم يدع
السعادة تغمره من هذه الحقيقة، التي بفضلها سيتمكن من فعل ما
تاق إليه طيلة الوقت، ما منع نفسه من فعله، ألا وهو قتل شافير؛
إلا أن دموع جلنار ورجاءها لإنقاذ رفيقها جعلته يفقد صوابه،
ويشتاط غيظاً في داخله، لم يرد أن يبعدها أكثر لذلك التزم
بمشاعره لنفسه، هو يعلم أن ما يفعله هو عمل سيئ وودنيء،
استغلال ألمها ومشاعرها بهذه الطريقة تصرف خاطئ، إلا أنه
أنسب وقت للاقتراب منها وتحويل مشاعرها له، سيغذي خيبة
أملها وكسر قلبها، طارداً ما تبقى له شافير من مشاعر في قلبها، لقد
اعتاد استغلال الظروف ولن يتعفف الآن.

لدى وصولهما إلى المنزل أنهكت جلنار نفسها بالبكاء في
حجرتها بينما ظل أزيو في الخارج ينتظر عودة نامار، إلا أن الجان

لم يظهر نفسه إلا بعد منتصف الليل.

أريو: "أين كنت طيلة هذا الوقت؟"

نامار: "أين سأكون؟ أطارد البنّ"

أريو: "هل تمكنت منه؟"

نامار: "لا لم أفعل"

أريو: "لماذا؟ هل تركته يرحل؟ أم هل تغلب عليك؟ كيف لك أن لا تلحظ وجود بنّ كامل أمامك طيلة هذا الوقت؟ لماذا لم تقتله؟ هل سبق لك أن قتلت بنّا من قبل؟ أم أنك مجرد مخادع، أقسم أنك أكبر كذبة في العالم، لا أعلم كيف إلا أن كل صيتك كذب، أراهن أنك لم تقتل بنّا واحداً، أقسم أنك اختبأت في جحر ما طيلة حياتك، أنت مجرد جان ملأ رأسه بالكذبات ومصاب بالعظمة الكاذبة."

غضب أريو لم يُقَابَل إلا بعدم المبالاة من نامار، وهو الأمر الذي كان مثل الحطب لسخطه.

نامار: "هل انتهيت؟"

أريو: "تبّاً لك نامار."

نامار: "أتريد الاستماع لما لدي الآن؟ إم أنك ما زلت تريد التنفيس عن غضبك؟"

أريو: "أعتقد أني سأصدق أي كلمة تقولها الآن؟"

نامار: "حسنًا، أتريد الحقيقة؟ إليك الحقيقة، إن قتلته الآن فستموت الفتاة أيضًا، هي ما تزال مرتبطة به، كلاهما مرتبطان معًا من خلال القلب، وحتى ينقطع رابطهما لا يمكنك لمسها. الطريقة الوحيدة لقطع هذه الرابطة هي بأن يتحول إلى بنّ فاسد أو يشارف على التحول، حينها يمكنك قتله كما تمنيت، هذا ما أخبرني به."

أريو: "وهل صدقت هذا؟ لعله يكذب."

نامار: "لو أنك تعلم الحب الحقيقي يا فتى لما اعتقدت هذا، حب ذلك البنّ للفتاة خالص، لا تشوبه شائبة، هذا النوع من الحب يحفر في الروح قبل الوجدان، هو سيموت قبل أن يمسيها بأذى حتى."

أريو: "أنا أيضًا أحبها."

نامار: "لا يا فتى أنت تحب شعور الحياة المنبعث منها وليس هي."

أريو: "وكانك ستعلم!" استهزأ أزيو من فكرة أن نامار السعي، المخادع، الجبار، بكل صفاته التي يتحلى بها، وبكل ما يتفاخر به كذبا، يملك فؤادا يعلم ما هو الحب.

نامار: "سحقاً لك، أيها البشري! ما الذي يعلمه بشري جشع، مخادع، ومرير مثلك عن فاجعتي، وألمي، عن وجداني الذي احترق من موت عشيرتي زمارتا وابني دارسون؟ أنت لا تعلم مقدار الألم الذي شعرت به، عندما قدموا قرني ابني المحطمين، أو عندما رأيت زمارتا تلفظ آخر أنفاسها أمامي وأنا عاجز عن فعل شيء لإنقاذها. أتريد المزيد من الحقيقة يا فتى؟ أنا لم أحارب أي بن فاسد من قبل، أنا لم أقتل أي بن بعد أن أحرقت الشجرة، في الحقيقة أنا حتى لم أعلم أن البن ما زالوا يقطنون الأرض، أو حتى أنهم منحوا أفئدتهم للبشر، لقد تم حبسي لألفيات طويلة في أور لأنني بطشت بالجان قدر بطشي بالبن، لأنهم أصبحوا خدماً للبشر من أجل قربان قدر يزيد من قوتهم، تخلوا عن كبرياتهم وعظمتهم من أجل قليل من القوة، إلا أن هذا ليس السبب الحقيقي لقتلهم، بل لأن جاناً مثلهم يدنسون ذكرى عزيزي دارسون، ابني الجميل الذي سلب مني قهراً، هو فخر الجان، فخري أنا؛ وخوفاً على

سمعتهم قام الجان بحبسي في أور لإضعافي، ليمنعوني من إبادة
المزيد منهم، كما أن السبب الوحيد الذي جعلني أتبعك هو
فضولي لمعرفة من تكون، أنت مميز، وتعلم هذا جيداً، ظنتك
تحمل شبيهاً كبيراً منه، إلا أنك لا تكاد تساويه في شيء، ولا حتى
ظله."

بهت أزيو من حديث نامار، لم يعلم، بل هو لم يعتقد للحظة
واحدة أن لديه مشاعرَ وروحاً أعياها الوصب، بالنسبة لـ أريو،
نامار ليس إلا مخلوقاً مغترّاً، قاسياً، أنانيّاً، بوجود مليء بالشؤم
والظلام، إلا أنه لم يكن هكذا، هو مجرد مخلوق أنهكه الفقد
والخسارة مثله هو، بالرغم من أن أزيو فقد والدته وهو طفل إلا
أنه ما زال يؤنب ذاته على قلة حيلته، إلا أن نامار مقاتل، محارب،
وقائد جيوش، باسم يدب الرعب في قلوب الجان حتى بعد
الفيات مضت، إلا أنه وبكل جبروته لم يستطع حماية عائلته، أيّاً
تكن الظروف التي أدت إلى موتهم لا بد أنها كانت مؤلمة، لا بد
أنه يحمل نفسه الذنب، كما يفعل أريو، لعل كل تصرفاته،
غطرسته، وقسوته، نابعة من هذا الذنب، هذا الوصب الذي لا
يُحتمل، كم من الوقت صمت عنه؟ ما القوة التي لديه ليتحمل

هذا؟ في الماضي، الآن، ولألفيات ستمضي، معاناة أزيو لا تساوي شيئاً بالمقارنة به، عذابه قصير وإن حمله طيلة حياته، إلا أن عذاب نامار سيرافقه لقرون ولربما ألفيات، لم يجد الساحر في نفسه القدرة لمجادلته، أو حتى النظر إليه، هو يشعر بالخزي من نفسه وتصرفاته، أمام نامار شعر أزيو أنه ضئيل للغاية.

أريو: "أعتذر." هذا كل ما وجدته في نفسه ليقوله.

صمت نامار لبعض الوقت فيما بدأ يستعيد هيئته الهادئة والتي كانت ثائرة قبل لحظات، لكن حتى عندما هدأت بدت مختلفة في عيني أريو، بدت أخف وزناً، ألطف، ومتألّمة، ثم قال فيما يهم بالرحيل: "أين الفتاة؟ عليّ منحها رسالة منه؟ كما أني أحمل رسالة لك"

أريو: "رسالة ماذا؟"

نامار: "هذه رسالة البنّ إليك: سمح لك بمرافقتي كي تقتله، هو ينتظرك في بورسيبا، لتقص عنقه جيداً، فلا تخطئ، كما أنه يؤمنك الفتاة، هب لها حياة تستحقها، حياة ملؤها البهجة."

أريو: "وجلنار، ما رسالتها؟"

نامار: "ستسمع لها الآن."

قاد أريو، نامار إلى حيث حجرة جلنار، التي ما أن رآته حتى
قفزت من فراشها، ليس بدافع الخوف، بل الرجاء لمنحها أملاً،
لنبا ينير ظلام الجهل الذي تعايشه.

جلنار: "أين شاوران؟ أين شافير؟ هل وجدته؟ أتعلم أين
هو؟"

نامار: "يا فتاة، أحمل رسالة لك من البنّ."

أشعت عينا جلنار بسعادة ليردف نامار: "هو يقول لك: لتسيه،
لتمضي قدماً، هو دائماً حولك ومعك، وسيأتي إليك عندما تناديه
أنفاسك."

نظرت جلنار باستغراب من قول نامار قائلة: "ما معنى هذا؟
ألن يعود شاوران؟ هل تخلى عن القلب؟ هل تخلى عني؟ عن
حياة معي؟"

نامار: "لا يا فتاة، هذا يعني أني قضيت على رفيقك، أحلته
لرماد، لقد قصصت عنقه، أنهيت حياته، كان هذا طلبه ورجاءه
لي، وقد حققته."

خرّت جلنار أرضاً، محاولة التقاط أنفاسها، بالنسبة لأريو
الذي هب لمساعدتها بدت كمن يحتضر، لقد شحب وجهها،

عينها أظهرتا الذعر كمن غشيه الموت، أما جسدها فقد انتفض
 مثل عصفور صغير يزهرق بقبضة قاهرة، غير قادر على الهروب من
 الموت المطبق عليه. لم تقل جلنار أي شيء عدا أنها أطلقت
 صرخات لروح غلبها الشجن، معذبة من واقع الفراق الذي أطلق
 سهامه على وجدانها، هي لم تبك خيانتها، أو كذبه، هي تبكي
 رحيله.

سيون

وقف سيون أمام الفروع المتداخلة، المرقد الذي اتخذه
شاوران لنفسه، شاعراً بأسى بالغ نحوه، هذا الكائن الذي أزهى
ليقاتل فقط، هو من أشرف على تدريبه، من جعل حياته صراعاً
لا ينتهي، ليس شاوران فحسب، بل كل الجيل الباسل. قبل ظهور
الجان، لم يكن هنالك حاجة لزرع المزيد من أفئدة البين، حتى
عندما توقفت الأشجار عن الازدهار، كل ما فعله البين آنذاك هو
اتباع أوامر أورا بالبناء، هذا ما أخبرهم به الآفاريان هذان اللذان تم
اصطفاءؤهما ليحملا صوتها وأوامرها لباقي البين، إلا أن هذا تغير
عندما هبط الجان للأرض. في بادئ الأمر ولفترة دامت لعشرات
الآلاف من الأعوام تقاتل الجان فيما بينهم بلا هوادة، حينها
أمرت أورا مجموعة من البين بزراعة أفئدتهم لتنبت ثم تزهى بناً
جديداً، أما من لم يقدم قلبه فقد أمر بتعلم القتال، وهذا ما فعلوه،
وفي حين أن سيون لم ير سبباً للتدريب، إلا أنها أوامر أورا التي
نصبت في مكانة رفيعة منذ بداية حياته، حيث إنه كان من الصفوة
الذين أهدوا غصناً منها ليحملوها في أفئدتهم، لذلك امثل سيون

لأوامرها ليغدو قائداً للبنّ في المعارك، ومدرّباً للجيل الجديد منهم، هؤلاء من لقبوا بالجيل الباسل، وشاوران أحدهم، كان الغرض الوحيد من إزهار هذا الجيل هو القتال على عكس جيل سيون الذي أزهري ليحمر الأرض والذي حظي بالسلام والأمان، حيث قضوا أليات لا تحصى في سكون، إلا أن جيل البواسل الذي حمل المعرفة من القلوب التي أزهريهم، لن يمنحوا فرصة لعيش هذه المعرفة وتذوق طعم الحرية التي يعلمون ما تكون إلا أنهم لم يمنحوا حق الشعور بها يوماً، لذلك لا عجب أن كثيراً من جيل شاوران يبغضون من قاموا بتدريبيهم من جيل الصفوة.

شاوران: "ماذا تفعل هنا؟ ارحل!" بدا صوته خاملاً، يائساً، ومرهقاً.

سيون: "نحن لم نصنع بكم خيراً أيها الجيل الباسل، أليس كذلك؟"

"كم أبغض هذا المسمى! كل مرة يمر على مسامعي أشعر بالحق يعتريني، حتى عندما لم أشعر بشيء، تذكرت كرهني لهذا المسمى." جيل شاوران: "لماذا؟"

سيون: "أعلم أن ما سأقوله لن يغير الماضي، إلا أننا فعلنا ما

تحتّم علينا فعله للنجاة، لحماية مصدر حياتنا، وكنت لأفعل هذا مجدداً لو اقتضى الأمر." من أسرار الحياة

شاوران: "أنت حقاً مسحور بها، لن تحاول يوماً النظر إلى الأمور بطريقتك الخاصة، لقد فعلت ما يُملَى عليك فقط، المخلوق المثالي لتنفيذ الأوامر، هل فكرت يوماً لماذا لم نفنى في حين أن مصدر حياتنا قد احترقت؟ لماذا يُمنَح مجموعة مِنّا أغصاناً لأفئدتهم؟ لماذا لا نشعر من دونها؟ ما سبب بداية الحرب؟ أم لماذا تمت زراعة أفئدة الأولين على خط واحد في الأرض؟ وأخيراً أين البنّ الذين ارتبطوا بعلاقة مع الجان؟ أين نسلهم؟ لماذا لا يحتمون بـ أورا إن كانت هي الأمان كما الحياة؟ لماذا هربوا حيث لا يعلم مكانهم مخلوق؟ أنت لا تعلم شيئاً سيون، حتى بعد أن احترقت أورا سرت بلا هدى، لعلنا فقدنا المشاعر إلا أننا لم نفقد عقولنا، أنت لم تستخدم عقلك مرة واحدة بنفسك، أليس كذلك؟"

أجل، كلمات شاوران صحيحة، جميعها، سيون أدرك متأخراً جداً أن هنالك الكثير من التساؤلات، لعل أكبرها وأولها لماذا لم تحم أورا النسل المهجن؟ لماذا بقي الأمر سرّاً لوقت طويل،

وكيف لم يلحظ البنّ أمراً كهذا؟ بل لعل بعض البنّ تنبهوا لأمرٍ كثيرة، إلا أن سيون كما قال شاوران لم يحاول أن يفكر بنفسه، بالنسبة له أورا كانت كل شيء، كل ما أمرت به لا بد أن يُطاع، كل ما أخبرت به كان حقيقة، لا يعلم سيون لماذا كان تأثير أورا قوياً عليه كهذا؟ لقد انتبه للأمر أول مرة بعد أن شارك فؤاده مع بشرية، بدا وكأن غشاوة ظلماء قد أزيلت من على عقله وقلبه، حينها بدأ بالتساؤل عن كثير من الأمور، أمور لم يفكر بها قبلاً أو يلاحظها، لذلك انطلق في رحلة لإيجاد إجابات عن هذه الأسئلة التي تتصارع داخله أولاً، وثانياً مثل شاوران أراد لمن حملت وجدانه أن تحيا، تمنى أن يحيا هو معها، لذلك مضى في رحلته باحثاً عن سبيل للحياة.

سيون: "لن أجادلك هنا، أعلم ان هنالك الكثير من الأمور التي كان لا بد لي أن أبحث عنها، ظللت أخبر نامار عن كونه جاهلاً، عاجزاً عن إيجاد الحقيقة، في حين أنني اتبعت النهج ذاته." "لا يهم شيء الآن، لقد اكتفيت من الكون كله، بالرغم من بغضي طلب شيء منك إلا أنني سأفعل، عندما يفشل ذلك البشري في قتلي، وسيفعل، حينها أنه حياتي بنفسك، أريد الرحيل محتفظاً

بذكرياتي، أريد أن تكون جلنار في ذكرياتي حتى النهاية، حينها لن يكون الرحيل مؤلماً، ولا الموت ندماً، فقط لا تدعها ترى هيتي التي تكاد تفسد، لأظل ذكرى جميلة لديها، لا أريد أن أصبح وحشاً في نظرها أكثر مما بتُّ عليه الآن، بالرغم من كرهى لك، لـ أورا، إلا أنى شاكر لهذه الحياة التي عشتها لأجد جلنار، هذه الحياة التي أمنحها إياها بسعادة، ورضاً، لأحيا من خلالها حتى عندما أتلاشى لعدم."

بدأ صوت شاوران يخبو وكأنه ينساق للنوم، أخيراً توقف عن الحديث، فزحفت الأغصان التي تحيط به محكمة إغلاقها عليه، مانعةً أي جزء منه عن الظهور، كأنما باتت قبره، ولعلها تصبح كذلك، حينها شعر سيون بندم جارف يجتاحه، لكل أخطائه التي ارتكبها سواء يعلمها أم لا، إلا أنه في صميم فؤاده يعلم أنه سبب بؤس شاوران، والكثير ممن تبعه، إلا أن الندم لا يجدي الآن، وضع يده على مقبرة شاوران ماسحاً على الفروع والأوراق، لعله يخفف عنه ولو قليلاً، إلا أن هذا رجاءٌ كاذب، فلا شيء سيخلص ضميره من هذا العذاب، لا شيء يمحو ذنبه. عندما أدرك فداحة أفعاله، التي أثرت على أجيال قادمة، بل لعلها امتدت لتؤذي ذوي

شاوران

"اسمك هو شاوران، زهرة الجلنار القرمزية، أنا الأرض، وأنا أورا، أقسم لي، لتحيي ولتمت من أجلي."

هذا أول الأوامر من بين الكثير غيرها فرضت على شاوران، قبل انفصاله عن الشجرة التي أزهرته، وخلال فترة ازدهاره تلقى الكثير من المعرفة حول البن، أصل نشأتهم، لغة تواصلهم القديمة منها والجديدة، طريقة غذائهم الخاصة، أخبر أيضاً عن مدى جمال هذه الأرض، التي تتمثل بـ أورا، رأى قصاصات عن مدى روعتها وجمالها، من البحار التي امتدت على مد البصر، رمال الصحراء الذهبية، قمم الجبال التي لامست سحب السماء متغطية بالثلوج، وديان تسارعت فيها الأنهار شلالات متساقطة على الأرض، رأى السماء تمطر ماء ممزوجاً بغضب النور المتوهج والصارخ من بين سحبها، شعر بلطف الرياح تحمل معها أوراق الأشجار مترافقة في الهواء، أما غضبها فقد عصف منتزعا جذور الأشجار من أرضها، ممزقا جذوعها، متناثرة في الأرجاء من غير أرض تحتضنها، سمع صوت الأمواج تتسلل بهدوء على شواطئ

البحر، هذه الأمواج ذواتها ارتفعت لأعالي السماء، ترافقها الرياح لتشتبكا في رقصة غاضبة تثير المحيط بكل عظمته، إلا أن كل هذا وقف صغيراً أمامها، أمام أورا، لا رياح تنتزعها، لا أمطار تؤذيها، لا بحار تطالها، لا شيء عظيم مثلها، إلا أن كل هذه العظمة مهددة الآن بسبب جنس مخلوقات هبطت من السماء من حيث لا يعلم أحد، هؤلاء الجان، استعمروا الأرض، ليقطنوا الجبال، المحيطات، الغابات، غطوا أرجاء الأرض، فدمروها بحروبهم التي لا تنتهي، أشعلوا الغابات ناراً يتصاعد دخانها لأعالي السماء حاجباً ضوء الشمس أن يطل النباتات، فماتت الأرض من غير غذائها، في هوجاء غضبهم ألقوا الصخور من الجبال محطمة الأشجار، أو موقفة تدفق الأنهار، كل ما عمله الجان كان تدمير الأرض، قتل الكائنات الحية وأنفسهم، لذلك توجب على شاوران أن يقاتلهم ويقتلهم، كل هذا تلقاه الجيل الباسل معرفة قبل أن ينفصلوا مزهرين من أشجارهم، مثل حلم جميل انتهى بكابوس مرير.

أثناء الحرب التي امتدت ألفيات لا تحصى، نصبت البنّ عدة قادة، تناثروا عبر الأرض حيث زرعت قلوب الأولين، وعديد

منهم احترقوا وتلاشوا في هذه الحرب، إلا أن قائداً واحداً اعتلاهم جميعاً، القائد الأعلى، البين الذي حظي بحظوة لدى أورا، حاصلًا على غصن منها كهدية وحماية له، ذلك كان سيون متركزاً حيث توجد أورا، أحد واجباته المتنامية كان تدريب المستجدين من البين. شاوران يذكر قسوة تدريبات سيون، كما قسوته معهم، صنع منهم الجنود المثاليين، صقل قدراتهم كبن وجعلهم يستغلونها لأقصى حدود تحملهم، مع تنوع البين تنوعت قدراتهم، وحيث إن بعض البين امتلك قدرات مميزة وذلك اعتماداً على خواصهم، البعض الآخر من البين كانوا غير مميزين، إلا أن شاوران انتمى للصفوة منهم مثل سيون، أزهار الجلنار التي هي جزء منه، لديها خواص لا تكاد تنتهي، علاج لأمراض البين، مضادة للسموم، مطهرة لدماء البين الذين لا يستطيعون تصفية أجسادهم من أشعة الشمس الضارة، وغيرها الكثير، فضلاً عن خصائص زهرة الجلنار امتلك شاوران خاصية قليل من البين الأرضي امتلكها، ألا وهي تحريك الأرض، وتسخيرها له، مما جعل سيون أقسى عليه في التدريب من باقي البين، جاعلاً إياه أحد الجنود القلائل ممن علمهم سيون قدرة الازدهار القاتلة لهم حين يساء استخدامها، بالرغم من قسوة القائد إلا أن إخلاصه وحمايته

لذوي البنّ كانت خصلة لا يمكن إنكارها، لا يذكر شاوران عدد المرات التي ساعده فيها سيون منقذاً إياه من الموت المحقق، هو وسائر البنّ.

خلال الحرب التي دُفع إليها شاوران، اشتاق لرؤية الجمال الذي رآه قبل أن يزهر، لطالما استمع لحوار سيون عن جمال الأرض، رحابتها، قصّ قصصاً عن مغامراته مع رفيق له من البنّ، البحار والمحيطات التي قطعها، الجبال التي اعتلى قممها، النجوم التي شاهدها، سمع شاوران عجائب جمال الأرض، رأى عينيّ سيون تنبضان بالحياة عندما يهيم في ذكريات الماضي، وجد اللهفة في حواره، التوق للحرية التي قضى عمره فيها، الأمر الذي جعله يبغض سيون ويحسده، قد عرّف هو معنى الحياة وقضاها حراً سعيداً، إلا أن شاوران حُرِمَ من هذا الحق، هو يحيا الحياة التي يتمناها عبر قصص القائد وغيره من البنّ الذين سبقوهم قبل الحرب، لماذا لم يحظ هو بهذه الحياة؟ لماذا منعت عنه؟ هل سبب وجوده هو القتال فقط؟ متى ستنتهي فترة عبوديته داخل سجن الحرب، كما سيون، وأورا؟ تلك الشجرة التي أحبها للجميع فيما عداه هو، لطالما أزعجته رسالتها له:

"أقسم لي، لتحيي ولتمت من أجلي" لماذا عليه أن يحيا ويموت من أجلها؟ أليست هي الحياة، حاميتهم؟ فلماذا تأمرهم بزرع أفئدتهم والموت بعدها؟ هي الحياة هي من عليها أن تزهر المزيد من البنّ وليس هم، آلاف وآلاف من الأسئلة اجتاحت شاوران، إلا أنه لم يجد أي إجابة لها، ثم أتى ذلك اليوم التي توقف فيه عن السؤال، لأنها احترقت، أورا احترقت أمام ناظره، مضت أوراقها معدنا سائلا إلى الأرض أمامه.

يذكر شاوران ما حدث، ذلك اليوم الذي سيمنح فيه غصنا من أورا ليصبح قائدا للبنّ مثل سيون، وهذا عرفانا بتميزه ومحبة أورا له، إلا أنه لم يرغب في ذلك لم يرد أن تكون أورا جزءاً منه أكثر مما كانت، فكرة أنها ستكون مرافقة له، محفورة داخل قلبه أرعبته، عدا أن البنّ جميعاً هتفوا له، وأولهم القائد، شرف مثل هذا نادر، هدية من أورا هو كل ما يطمح له البنّ. من أجل الاحتفال بـ شاوران قام البنّ من أصدقائه بثر بذور أزهارهم حول أورا وفي كل الأرجاء، لتلون الأرض بدثار أزهار متراقصة مثل موج البحر يتحرك كيفما شاءت الرياح التي حملت معها عبير الأزهار للسماء، ومن جميع بقاع الأرض توافد قادة البنّ ليشهدوا هذا الشرف العظيم، ليروا

رفيقهم القائد الجديد. فيما اقتربت الشمس نحو المغيب شعر شاوران برغبة في الهرب، لم يرد هذا الشرف، لم يرد أي شيء من هذا، شعر كمن يتم تكييله بأغلال غليظة، سلاسل أُخِـمَّتْ عُـقْدُهَا بِأُورَا، أي شيء إلا حكم الموت هذا، أي شيء إلا هذه القيود التي أدمت أطرافه. خِـفِيَّةٌ بدأ شاوران بالابتعاد عن أجواء الاحتفال، آخذاً خطوات كبيرة نحو الهرب من المعلوم، ونحو المجهول الذي سيكون أفضل، فيما ظلت أورا على مرأى منه، دوى صوت صرخات تعالت للسماء، أحال شاوران نظره بسرعة حيث تقع، ليجد أن الأرض تحترق من حولها، أطلق حينها العنان لقدميه راکضاً حيث هي، لم تكن رغبة منه لحمايتها، ليست رغبة للدفاع عنها أو الاطمئنان عليها، بل للتحقق من مصيرها، لعلها تحترق، لعل أحداً ما يحرق هذه السلاسل والأغلال، لقد كان ركضه رجاء للخلاص، لتستجاب أمنيته، شعر بها في فؤاده قبل أن تراها عيناه، وجدانه كان يحترق، يهوي لفراغ أسود، أعاد النظر إليها، ليجدها تنصهر بكل ما فيها، أوراقها أحييت لسائل تلاشى على الأرض، جذعها تناثر لهشيم في لحظات، أما جذورها فمن تحت الأرض اشتعلت محرقة معها الأرض التي ادثرت بها، شقت النار طريقها عبر جذورها لتندفع من تحت الأرض إلى فوقها مثل جدار ناري

أسود تطاول ممزقاً الأرض، بالقرب منها وجد الجان الذي عرفه شاوران جيداً، الجان الذي تجنب قتاله أو الالتقاء به في أي من معاركه، نامار من عشيرة عنقال، إلا أن هيئته كانت تتلاشى تتغير وكأنه هو الآخر يحترق من الداخل ليحال لدخان، في تلك اللحظة توقف شاوران عن الركض ووقف يراقب من بعيد فقط، رأى رفاقه يتخبطون جراء اشتعال أجسادهم بنار نامار، لتعالى أصوات وصبهم ثم تبخر هباءً فيما همدت أجسادهم من الاحتراق، شاهد فيها تلاشت مياه الأنهار التي أحاطتها، وتلك الأزهار التي زرعت له تناثرت بتلاتها مشتعلة كشرر لهيب متأجج، كل الأزهار مهما اختلفت ألوانها باتت الآن شرارات سوداء احترقت لتتلاشى، كم هو بديع هذا المشهد! كم هو جميل! كم بدت أورا جميلة وهي تحترق حتى آخر ورقة، غصن، وجذر، كيف يمكن للموت أن يكون جميلاً هكذا؟ كيف يمكن أن تكون الخسارة حميمة؟ في عينيه بدا كل شيء مثاليًا، حتى صرخات البن كانت كاللحن القديم، أجسادهم المتخبطة أوحى له برقصة سعادة للخلاص الذي أتى إليهم، وهذا اللا شيء هو كل ما رغب به شاوران لوقت طويل، لو علم أن رجاءه سيجاب، لتمنى الخلاص منذ أمد مضى.

اعتقد شاوران أن حرق أورا حتى رماد يتطلب وقتاً طويلاً، إلا أن هذا غير صحيح، لقد احترق بسرعة مثل الكذبة التي هي عليها، حينها خرّ نامار أرضاً بهيئته الجديدة، ليطلق صرخة طويلة تحولت لأنين مؤلم، ثم حام مبتعداً عن كل الدمار الذي خلفه، بينما اتخذ شاوران الأرض مقعداً له، لم يتحرك من الأرض وظل يراقب من حيث هو بعيداً، لم يكن فضولاً، حزناً، أو رغبة بالبقاء، لم يكن شيئاً، إلا أنه اكتفى بالجلوس والنظر، رأى البن يطوقون المكان الذي كانت فيه أورا من غير دمعة واحدة تذرّفها أعينهم، وقفوا ينظرون حيث كانت بصمت وحسب، لم يتحدثوا بينهم حتى، لحظات ثم ابتعدوا بعضهم عن بعض في صمت أيضاً، معطين ظهورهم لها، حيث كان هو مضى بعض البنّ بالقرب منه، إلا أنه لا أحد تحدث مع الآخر، تقابلت أعينهم الخاوية ثم مضوا في صمت نحو المجهول، فيما قبع شاوران حيث هو لمدة ثلاثة أيام، يراقب الأرض التي ما زالت تحترق ببطء، مع شروق شمس اليوم الرابع، وفيما كانت السماء تغيرّ لونها، من بين أعمدة الدخان المتصاعدة رأى ظل مخلوق يترنح سائراً حيث كانت، عندما لمع شعره الفضي تحت أشعة الشمس كما فعل دائماً علم أن هذا سيون، حينها وحينها فقط، نهض شاوران من الأرض مبتعداً، لم

يتفوه بكلمة، لم يتجه نحو قائده الذي بدا من طريقة تحركه أنه مصاب، كل ما فعله هو منح ظهره لكل شيء والعودة للمجهول في ظل هذا الفراغ.

مجازر، إبادات جماعية، ودماء تروي الأرض، هذا ما حدث بعد ذلك اليوم، انطلق الجان في موجة قتل لم يكن لها سابقة، ساحوا في الأرض باحثين عن البين، أقاموا مسابقات صيد عليهم، قتلهم واصطيادهم باتا هواية الجان المفضلة، أما البين فقد كانوا في خواء، لم يحاولوا حماية أنفسهم، كثيرون منهم استسلموا للموت، رحبوا به، بل إن بعضهم قدموا أنفسهم للجان، ليجدوا الخلاص من هذا الفراغ، والوله الذي تأكلهم أحياء، لعل شاوران كان ليفعل الأمر ذاته، لولا ذلك الصوت وتلك الرؤية اللذان يأتيانه كلما استسلم للموت، كثير من الجان حاولوا قتله، وهو لم يرغب بالمقاومة، إنه منهك القوى، إلا أنه في كل مرة يغمض فيها عينيه مستسلماً للظلام، يرى برعم زهرة الجلنار يزهر من بين الظلام، أحياناً أخرى يسمع صوتاً غريباً على مسمعيه، إنه قادم من الخلخال المعقود حول كاحل كائن ما، كائن لم يعرفه شاوران، كانت قدما المخلوق تتحركان برشاقة تضربان الأرض

بلطف وقوة محدثة هذا الصوت الجميل كما الساحر، ليأسر
 شاوران معه، شيء ما يدفعه للحياة كلما رأى هذا، كان مصدر
 هذا الدافع مجهولاً، فهو غارق في الظلام بلا رغبة لأي شيء،
 قرون تتبعها أليات، بدأ البنّ يختفون من الوجود، وإيجادهم أو
 المرور بهم أصبح أمراً مستحيلاً، أخيراً هبط مخلوقان من السماء،
 عرفتهما الجان بالبشر، قيل إن اسميهما آدم وحواء، ومع ذريتهما
 توالت على الأرض العجائب، الدمار، الكوارث كما لم يحدث
 من قبل، عدا أن بني آدم عمروا الأرض بطريقة لم يفعلها البنّ أو
 الجان، بالرغم من مدة حياتهم التي تكاد تكون مثل طرفة عين له،
 ولعل هذا هو السبب الذي جعلهم يعمرّون الأرض، أرادوا شيئاً
 ليذكّرهم به من يخلفهم في الأرض، ليخلدوا في هذه الحياة بطريقة
 أو أخرى.

أليات أخرى مضت، ومعها صغر حجم البشر وقصرت
 أعمارهم، ليظهر المزهرون، بنّ أقرضوا قلوبهم الخاوية للبشر،
 مستعيدين ما فقدوا من المشاعر، كيف بدأ الأمر؟ أو من بدأه؟
 كان أمراً مجهولاً، إلا أن شاوران لم يكن مهتماً بمشاطرة فؤاده
 مع أحد، ثم ذات ليلة سطع فيها القمر بدرأ، شعر شاوران بشيء

يناديه، يستدعيه، ليشعر بأول نبض قلب له منذ ألفيات لا يحصيها، ليتوجه بشوق لمصدر هذا الصوت، فيجدها هنالك، بشرية تحمل طفلة في ملاءة مغطاة بالدم، ظلت المرأة تبكي الطفلة الصامتة، حتى ظهر البنّ أمامها.

"أأنت بنّ؟"

شاوران: "هل أنت من يرجو قلباً منه تعيشين؟ إلا أني لا أهب قلبي."

"ليس لي، بل لها هي، طفلتي، أطلقت صرخة واحدة تلاشت أصداؤها في الصحراء، ومعها تلاشى نبض قلبها، أرجوك، امنحها من حياتك، ولو قليلاً." انتحبت المرأة موت طفلتها المختبئة داخل الغطاء، ثم أزاحت مظهرة الطفلة له. نظرة واحدة كانت كل ما احتاجه شاوران، معها شعر بقلبه ينبض مجدداً، يرغب بالحياة لها، علم أن هذه الطفلة له هو، وهو فقط، حياتها له، وجودها كله له، كما هو لها، حينها شق شاوران عن صدره مخرجاً فؤاده الذي بات دافئاً بين يديه واضعاً إياه داخل جوف الفتاة، في تلك اللحظة تغير شكل قلبه، ليصبح صغيراً ملائماً لها، كأنما خُلِقَ لها هي، عندما التأم جوفها ظهر وشم زهرة الجلنار على صدرها، وتغير

شكل شاوران ليشابه البشر.

"أسميتها جلنار، تبعاً لأزهارك، سأمنح فؤادها كل الحب،
عرفاناً مني لمعروفك، أنت شافير الروح كما الشكل."

شاوران: "شافير؟"

"جميل"

إلا أن المرأة أخلت بوعددها، لتسقط مقتولة من سكان قريتها
حين علموا أن الفتاة مزهرة، بلغ عمر جلنار العامين آنذاك، قام
سكان القرية ببناء كوخ صغير ومظلم، سجنوا فيه الطفلة بعيداً
عنهم، كل شهر يعطى لها كسرة من خبز تمنعها من الموت حتى
يسترجع صاحب القلب أمانته. في ذلك الجحر المظلم، فقد
شاوران مشاعره مجدداً، عاد العدم، لذلك ضاق ذرعاً بكل شيء
متوجهاً للطفلة، ليسترجع فؤاده، حطم شاوران الباب المغلق
بإحكام، ليعبر الضوء داخل الحجرة مظهراً الفتاة الصغيرة، مجدداً
عاد النبض لقلبه، ركضت الفتاة مسرعة باتجاهه كما لو أنها تعرفه،
كمن اشتاقت لعزيب لها، ثم ارتمت عليه محتضنة ساقه، قلبه
ينبض مجدداً.

نبضات القلب الجديد أخافته، كل تلك المشاعر التي تتسلل إليه، السعادة الغامرة، إنها جديدة عليه، لم يعلمها من قبل، امتلاءً فؤاده بسيل عارم من المشاعر، ووجد نفسه يحرص على الفتاة، يهتم بها، يراقبها، ويحميها، إلا أنه يجب عليه أن لا يشعر هكذا، لأن الموت هو مصيرها، عليه استعادة فؤاده منها، لذلك عليه الابتعاد حيث لا تكون هي، ليكون هو.

لدى وصولهما إلى إحدى القرى وجد شاوران زوجين بلا أطفال وعرض عليهم أخذها، ليقابل عرضه بالترحاب منهما، سلمها لهما، لتركض لاهثة خلفه: "لا أنت هنا، وأنا سأرحل". قال بصرامة.

جلنار: "شافي، أريد أن أكون معك".

شاوران: "أخبرتكم، اسمي شافير، وليس شافي، الآن اذهبي". حملها إلى الزوجين اللذين أمسكاها بقوة فيما منحها ظهره مبتعداً وصوتها الصارخ الراجي يناديه ليعود: "شافي، خذ جل معك، شافي، لا تترك جل... شافي".

إلا أنه لم يلتفت لها ومضى، قليلاً ما كان يعلم عن الوصب الذي سيصيب فؤادها، ألم شله عن الحركة، ليهوي أرضاً قابضاً

على صدره: "أرجوك توقي، أنت تقتليني، هذا الألم لا يحتمل".
ألمها من التخلي عنها وصل له طاغياً عليه، في كل معاركه،
حروبه، بالرغم من الإصابات والحروق التي تكلل بها جسده، لا
ألم يقارن بهذا العذاب، لا شيء يقترب منه حتى، إنها مجرد
ساعات منذ افترقا، كيف يمكن لمخلوق صغير مثلها أن يشعر
بألم مثل هذا؟ عليه أن يوقف الوصب وإلا فسيموت من كسر
فؤاده وفؤاده، بما تبقى لديه من قوة نهض عائداً أدراجه حيث
تكون، عندما اقترب من باب المنزل وقبل أن يطرقه سمع من
خلفه حديث الزوجين.

"لقد حصلنا على مال جيد."

"أجل هذا المال سيكفينا لوقت طويل جداً."

"كم هو أحرق ذلك الرجل، منحنا فتاة بدون مقابل، في حين

أنا المستفيدان منها."

"أجل الكثير من تجار العبيد يريدون أطفالاً، وخاصة فتيات

صغيرات مثلها، يبعها أحضر لنا الكثير من المال."

جن جنون شاوران عند سماعه هذا، جلنار تم بيعها للرق، لعن

ذاته الضعيفة، التي لم تتحمل مشاعر لا يعرفها، كيف أمكنه أن

يكون جبانًا هكذا؟ وجلنار الطفلة الرقيقة، ماذا سيحل بها؟ هل تبكيه مجددًا؟ لماذا لم ينظر إليها مرة أخيرة قبل الرحيل؟ لعل فؤاده رق لها آنذاك. حطم شاوران الباب بسرعة وقوة ليتناثر شظايا داخل المنزل، وفي طرفة عين كان يمسك بعنق الرجل بين يديه خانقًا إياه.

شاوران: "أين هي؟"

الرجل: "لقد بعته."

شاوران: "سأدق عنقك إذا لم تتحدث، أين هي؟"

المرأة: "قمنا ببيعها في السوق الرئيسية لتجار العبيد لعلهم رحلوا من القرية الآن، أرجوك لا تقتلنا!"

قذف شاوران بالرجل نحو الجدار وانطلق مسرعًا في القرية، قلبه يعتصر ألمًا، إنما لم تكن مشاعر جلنار، بل مشاعره، فؤاده هو، مسرعًا نحو السوق الرئيسية ظل شاوران يلتفت في كل الاتجاهات عله يراها بين الحشود؛ "شافير!" أتى صوت من بعيد، التفت نحو مصدر الصوت ليجد جلنار محمولة على كتف رجل ما يسير بها نحو القافلة، بينما ظلت تصارع قبضته القوية، حينها ألقى الرجل جلنار أرضًا، لتذرف دموع الألم، ليقوم الرجل برفع

إحدى قدميه رغبة منه بالدوس عليها وإخراستها، إلا أن شاوران كان أسرع منه، حيث قام بضرب الأرض بقدمه اليمنى محدثاً زلزالاً مرعباً، انتفضت كل القرية من قوة زلزاله، سقطت الحارة على الأرض، بعض الأبنية تشققت بينما القديمة منها تهاوت أرضاً، في ارتباك وذعر البشر، وقف شاوران بين الرجل وبين جلنار التي احتضنت ساقه بقوة.

شاوران: "ارحلوا قبل أن أنتزع أفئدتكم."

نهض التجار هاربين من شاوران وهم يصرخون: "وحش"

نظر شاوران لذراعيه ليجد أن غضبه كان أقوى من أن يتحكم به لذلك ظهر وشم الجلنار على جسده مجدداً، إلا أن شكله لم يتغير، معرفة هذا منحته الراحة، لسبب ما لم يرغب أن ترى جلنار هذه الهيئة، هذا الشكل الذي كأنه وحش، لم يرد أن تخافه فترفضه، كم هو مضحك! مثير للسخرية! قبل ساعات كل ما أرادته هو الهرب بعيداً عنها، الآن يرغبها قريباً ووجوداً يبعث الحياة في الأيام الخاوية.

جلنار: "شافير، خذ جل معك"

ظلت جلنار ممسكة بساقه بقوة، هبط شاوران إليها محاولاً

فك قبضتها عنه، إلا أنها أبت أن تحرره، تنهد شاوران براحة ممزوجة بندم التخلي عنها.

شاوران: "لن أرحل، أعدك بذلك، لذلك هلا تركت ساقى؟ أبيت لاصطحابك."

رفعت جلنار عينيها ليجد شاوران ذاته مرسومة في عينيها اللوزيتين، الممتلئتين بالدموع المتساقطة كاللؤلؤ، مد يده نحو عينيها ماسحاً الدموع منهما، لتبتسم له جلنار بسعادة، كمن علمت أنها بأمان الآن.

جلنار: "شافير، جل فتاة جيدة، تسمع كلامك، جل ترقص مثل السيدة في السوق، شافير، أنت سعيد عندما رأيتها، جل تريد شافير سعيداً، لذلك شافير لا تترك جل وحيدة."

من غير وعي منه مد شافير ذراعيه محتضناً الطفلة التي سرقت كيانه وهي ميتة، واستولت على حياته، بحياتها.

كل يوم مع جلنار، كان مثل غيث لروحه، امتلاً فؤاده حتى الثمالة، وجوفه الخاوي فاض بهجة، حتى عندما لم يحقق حلمه برؤية الأرض والترحال، إلا أن كل لحظة صغيرة، مملّة، ورتيبة مع جلنار أفضل من ألف رحلة قد يرتحلها شاوران. إلا أن الواقع

عاد صافعاً إياه بالحقيقة، بالغد الذي يحرق فؤاده، عندما التمس
جلنار شاوران ليحميها من الموت، ذلك الذعر الذي أصابها من
رؤية الجثث المتعفنة، أصابه أقوى مما أصابها، هو يسرق حياتها
منها، يلقيها جسداً أجوف، سيسلب وجودها، حارماً العالم من
وجود مشرق مثلها. كره شاوران نفسه البين، هو يصنع بها ذات ما
صنع به، يستغل وجودها، سارقاً منها حياتها، والأفطع من هذا هو
أنه كذبة جميلة بالنسبة لها، بات شاوران تلك الليلة بالندم والذنب
يتآكله، ليس لمنح قلبه لها، هو سيمنح وجوده كله لجلنار، غير أن
الواقع المرير الذي أمامه، هو لا يكون من دونها، إنه يتعطش
للحظاتها معاً، غير أنها أيضاً لا تقدر أن تحيا من دون وجوده،
إن رحل الآن فستكون عرضة للخطر، من بين فاسد يطاردها، من
جان وسحرة يرغبون بفؤادها، وجودها البريء الرقيق لا يعلم
سوء المخلوقات، وهو أولهم.

شيئاً فشيئاً، ومع كل غروب للشمس، تعلق وجود شاوران
بجلنار، حتى بات قلبه يشاركها ذكريات من زمن خلا، لم يرغب
لها أن تشعر بالماضي الذي عاناه، أراد السعادة لها، إلا أن
فؤاده يهرب لها للسلى، أمر آخر لم يرغب أن تشفق عليه أو

تأسى، لأن روحها الشفافة ستطالب بإنقاذ صاحب القلب
والتضحية بنفسها، أمر يبغض شاوران التفكير به، غير أن فؤاده
ظل يلجأ لها للراحة. مع الأيام أصبحت جلنار امرأة غاية في
الجمال، وجد شاوران روحه تصبو إليها، ولون حبه لها يتغير، لم
يعد حبًا بريئًا لطفلة، بل للمرأة أمامه، الأمر الذي أصابه بذعر،
لقد كان شعوراً مختلفاً عن أي شيء شعر به، لقد أحب أصدقاءه
من قبل الإناث منهم والذكور، وأحبها هي، إلا أن ما يشعر به الآن
أمرٌ مختلفٌ كلياً، شعور ساحق جميل، رغبة بتملكها له وحده،
أن تكون أنفاسها له، نبض قلبها من أجله، نظرتها، وابتسامتها،
أراد كل جلنار له هو فقط، هذا الشعور الذي طغى عليه أذعره،
كيف له أن يشعر هكذا؟ أن يرغب بها، الرغبة أمر لم يشعر به من
قبل، البين مختلفون عن البشر والجان هم لا يرغبون بخليل أو
عشير، ليسوا بحاجة لذلك، إلا أنه رغب بها بكل كيانه. كيف له أن
يمتلك مشاعر لا تحملها هي؟ شيء يشعر به جوفه الخالي من
فؤاده؟ أمر لم يجد له إجابة، ليس الآن، ليس أبداً.

بسبب هذه المشاعر ذواتها حاول شاوران الهرب عدة مرات،
كل ليلة بعد أن تخلد للنوم أطلق العنان لقدميه في مهرب، اعتمد

هذه الطريقة كيلا يشعر بألم قلبها عندما لا تراه، من دون ألمها الكاسح هو قادر على الهرب، هذا ما اعتقد. أول ليلة هرب فيها، شعر بالوصب ذاته الذي مزق وجدانه قبلاً، غير أنه كان أشد من سابقه، اعتقد شاوران أن هذا ألم جلنار، لذلك عاد إلى حيث هي ليجدها نائمة بكل هدوء غير مدركة عدم وجوده، ليعلم أن هذا ألم وجدانه هو. إلا أنه لم يستسلم ليعاود الكرة عدة مرات، وكل ليلة تنتهي بالنتيجة ذاتها: هو يستسلم للألم عائداً أدراجه لجلنار النائمة، حتى أتت الليلة التي توقف فيها عن الهرب.

ذات ليلة وعندما اختبأ القمر، أصيب شاوران باللمم من شدة ألمه، ليسقط لاهثاً غير قادر على الحراك، بادئاً بالزحف على الأرض، ليبعد قدر المستطاع، ليشعر كلاهما بالألم الآن، هذا أفضل من الألم الذي يخبئه لهما القدر، أي ألم هو رحمة مقابل ما سينتهي به قدرهما المشؤوم، إلا أن الآلام سرقت من شاوران العقل، ليطلق مخلبه غارزاً إياه في جوفه، أراد نزع فؤاده الذي يؤلمه، إنما لم يكن هناك، قلبه ينام بسلام معها، داخلها، حينها أطلق شاوران العنان لدموعه، طيلة الألفيات التي عاشها لم يبك مرة، ولا مرة واحدة، ليس عندما قُتل أصدقائه، ليس تحت وطأة

الحرب والتدريب، لم يذرف الدموع أبداً، إلا أنه يبكي كطفل بشري الآن، هو يبكي ألم فراقها، ألم ذنبه، ندمه، جراحه القديمة، كُرهاً للماضي، والغد، لكل يوم لم يكن فيه معها، كل الحياة كانت ظلاماً بالنسبة له، إلا اللحظات التي يقضيها معها، هو لن يسرق فؤادها، سيقتل نفسه قبل أن يفعل، لكن ألا يحق له أن يشعر بقليل من السعادة لما تبقى له من أيام في هذه الحياة؟ أيمنه أن يكون أنانيًا، جشعاً ولو لمرة في حياته الطويلة الخاوية؟ روحه تصبو إلى قربها شغفاً، لو سرق كل النجوم من السماء لما أضاءت حياته بكل لياليها الطويلة، كما تضيء جلنار وجوده بابتسامة واحدة من شفاهها الوردية، "آه، جلنار، سامحيني، لتغفري ذنبي، أنانيتي، وهذه الروح التي لا تقوى من دونك، جلنار وهبتك قلبي لتزهري، وفي آخر عهدنا ستهلكين." منذ ذلك اليوم لم يحاول شاوران الهرب والابتعاد، لم يرغب ذلك بأي حال، كل ما يريده هو ذكريات ثمينة يحملها معه عندما يتلاشى جسده ولا شيء أكثر.

ثم صرخت جلنار اسمه، ليركض بسرعة البنّ الهائلة حائلاً بينهما، ها هو ذلك الجان الذي تجنّب شاوران طويلاً، من منحه

الحرية والخواء معاً، ظهر بآخر هيئة رآه بها، دخان مُحترق من
 الداخل، غير أن الجان لم يميز حقيقته، فتظاهر شاوران بعدم
 رؤيته، كما تظاهر بعدم رؤية كل الجان الذين تراهم جلنار، فما
 هو إلا بشر في نظرها، وسيكون كذلك في نظر نامار، حينها لن يُقتل
 إن أتقن الدور. إلا أن نامار لم يكن وحيداً، كان يصطحب معه
 ساحراً، فتى في العشرينيات من العمر، ما أن لمحه شاوران علم
 ماذا يكون، ولمن يكون، شعر بنار الغيظ تشتعل داخله، أراد قتله،
 إلا أنه لم يفعل، لسبب بسيط، هذا الفتى سيكون حبل نجاة جلنار،
 عندما يحين الوقت، سيقته أزيو ونامار معاً، هذه الطريقة
 الوحيدة لنجاتها، وله هو كي لا يفسد. حقيقة أن يمسي جذراً
 فاسداً أخافته، ليس الفساد هو ما أخافه، بل فقدان ذكرياته عن
 جلنار، أن يمضي حياة بلا وجود لها في عقله ذعر لا يقوى عليه،
 إنما حين الموت، ستكون هي معه، رؤيتها في ذكرياته ستطمئنه،
 مانحة إياه سعادة وشوقاً للرحيل عالماً أنها تصاحبه.

خلال رحلتها رأى شاوران مشاعر أزيو لها، الأمر الذي
 أغضبه وأراحه في الآن ذاته، الآن يستطيع الرحيل مطمئناً على
 محبوبته، إلا أن غيرته كانت أكبر منه، عندما اختارت جلنار

ركوب الناقة مع أزيو وليس معه، اشتعل جوفه سخطاً لا ينطفى، حقيقة أنهما شبه متلاصقين، أنها أمسكت يده، أنه يشعر بدفع جسدها قريباً منه، وابتسامته الساخرة، كل شيء حطم شاوران من الداخل، ليسير أمامهما بخطوات كثيرة لم يرد أن يراها معاً، لم يستطع، هذا أكثر مما يحتمل، تلك الليلة بعد أن خلد الجميع للنوم، أصاب شاوران نفسه بجرح بليغ، لينساب دمه أرضاً، حينها رحل بعيداً عن غضبه، مصيره، قدره، وعنهما؛ إن كان الموت هو قدرهما، والفراق طريقهما، فليرحل الآن، تاركاً كل شيء خلفه، فما عاد يحتمل، هذا الشعور يطغى عليه، هو يخشى استحالة فراقها لاحقاً، أن يتمسك بها حتى الموت، بما أن الغضب هو الشعور الذي يسيطر عليه الآن، فليدعه، لعله ينجح بالهرب هذه المرة.

مجدداً شعر بالذعر الخالص يجتاح جلنار، مصيباً جوفه بالشعور ذاته، الخوف من المجهول، فقدان العزيز الوحيد في الحياة، ومع تلك المشاعر اختلط حب جلنار له، الذي تغير لونه هو الآخر ليماثل حبه لها، لِمَ كَمْ يشعر بهذا من قبل؟ حتى وهما متصلان؟ متى تغيرت مشاعرها له؟ كيف أمكنه أن يكون بهذا

الإهمال والأناية؟ حقيقة أن فؤادها له ينبض وبُحْبِه امتلا، أصابت شاوران ببهجة لم يتذوقها قط، فطمع بالمزيد منها، ليعود مسرعاً نحوها، ليزيل الخوف عنها، أما هو فأراد أن يتنعم بهذا الحب لوقت قليل بعد، حتى يصل لبابل حينها سيرحل دون النظر للخلف ودون ندم، مهما اشتد الألم، أيًا يكن ما يشعر به حينها سيرحل دون عودة، هو يقسم باسم حُبِّه لها.

في رحلتهم التقت طرفهم مع بشري مزهر، وتلك الفتاة التي دعاها زوجته، علم شاوران ما أن وقعت عيناه عليها أنها بنّ، شعر بالموت يحيط بها، كانت من الجيل الضال، علم ذلك لأنها لم تحمل رائحة البنّ فيها كما كل الجيل الضال مثلها، أولئك المشيرون للشفقة أكثر منه ومن جيله الباسل، غير أنه لم يعلم كم تبقى لها من الوقت، كما أنه لم يعتقد أن مرضها يعني اقتراب أجلها.

تلك الليلة وبينما كانت جلنار تغط في النوم، شعر شاوران بحركة خارج نافذة حجرتهما، نظر بهدوء ليرى سينا تقف في الخارج بهيئة البنّ تنظر إلى جلنار، ليقوم شاوران هو الآخر بتغيير هيئته مظهرًا لها حقيقته، مما جعلها تراجع خطوات للخلف، لا

بد وأنها علمت الفرق بينهما، أي بنّ كان ليعلم أن هيئاتهم تتغير وفق الجيل الذي إليه ينتمون، علمت أنها ليست ندّاً له، احتضن شاوران جلنار النائمة بين ذراعيه محذراً سينا: "قلبها ملكي، لا تفكري حتى بالاقتراب." لتراجع البن مع تحذيره. بالرغم من علمه بهوية سينا إلا أن شاوران رحل باكراً فجر اليوم التالي، وذلك لأنه أراد ضمان حياة رغبة لجلنار بعد رحيله، حيث قصّ عن شعره البنّ الذي صيغ بالذهب، لقد أزهق شاوران بهذا الشعر الطويل الحريري مثله مثل سائر البنّ، لذلك أخذ من شعره الذهبي متجهماً به صوب حداد، ذلك البشري أصيب بالدهشة فور أن رأى خيوطاً من الذهب مع شاوران الذي قدمها له أمراً إياه بتحويلها لقطع ذهبية يسهل استخدامها في شراء السلع. إلا أن شاوران أخطأ الحكم بابتعاده عن جلنار تاركاً إياها مع البنّ، مما جعل سينا تسعى خلف فؤادها، الكثير من الأحداث حدثت ذلك اليوم إلا أن أمرين أقلقوا راحته، أولهما ما قالته له سينا:

"دوركما سيحين قريباً، ما أنت فاعل حينها؟"

لقد فكر بالأمر آلاف المرات، لقد رسم ملايين الاحتمالات، لأي طارئ قد يأتي في اتجاههما، وبالرغم من أن احتمال إيذائه لها

كان حاضراً، إلا أن شاوران دائماً ما صرفه، لطالما اعتقد أن حبه لها أقوى من أي غريزة بقاء ورغبة، لقد آمن بحبه لها، إلا أن سينا أحببت فارديون أيضاً، استطاع معرفة ذلك من طريقة نظرتها إليه، الحب الحقيقي دائماً ما يظهر حتى في المآسي، وهو أيضاً ينظر لجلنار بهذه الطريقة ذاتها، غير أن الحب ليس كافياً لإيقاف الموت، منجاتها الوحيدة هي بابتعاده عنها. ثاني أمر أقلقه هو ما شعر به لدى اقترابه من حيث سينا، شعر بوجود سيون، وإن كان خافتاً إلا أنه وجد، حينها تحقق يقيناً ما علمه لحظة رؤية أريو.

ذات يوم وعندما باتت بابل قرية منهم، سمع شاوران صوتاً أكد له الواقع والقدر، سمع نبض قلبه داخل جلنار، بعد عشرين عاماً من إعارتها فؤاده، اليوم ولأول مرة يسمع صوته داخلها، ليشتاق إليه ويرغب به، أجل لقد اقترب الموعد، بات فراقهما قريباً. يوماً بعد يوم ولدى وصولهما لبابل، باتت رغبة شاوران قوية، صوت نبضات قلبه يعلو مع كل شروق، غريزته تستيقظ أقوى مع كل غروب، غير أنه مدرب على الاحتمال، لذلك استمر بالتصرف بطبيعته، مذكراً نفسه بحبه لجلنار، واقترب نهاية الألم.

لدى رؤيته منزل أريو، علم أن ائتمان جلنار له هو العمل الصحيح، حتى وإن أبغض الفكرة، إلا أنه لا يملك الحق ليعترض أو يمنع عنها حياة كريمة، مع هذا الإدراك الذي أصاب روحه بفراغ مخيف، اشتدت رغبة شاوران بقلبه، ليحترق جسده وصبًا، شعر بالدماء داخله تغلي بالنار، بجوفه الخاوي ينبض في الخواء مصيبًا أضلاعه بألم لا يحتمل، شعر بظماً لا يرتوي، رأى فيما تسللت أزهاره وشمًا على جسده، هو غير قادر على التحكم بالبين فيه، وكم كره البين الذي هو عليه، لطالما كان مخلوقين في نظره، شافير المحب والمخلص لجلنار، والبين القاتل لها، من سيسلبها حياتها، والآن هو في صراع مع هذا البين، إنه نزال بين شافير وشاوران، لذلك عزل نفسه تلك الليلة بعيداً عنها، وكما أقسم بحبه، غداً سيكون آخر يوم له معها، غداً سيتمنحها آخر وأجمل الذكريات قبل رحيله.

في منامهما التقيا لأول مرة، لا يعلم شاوران كيف حدث هذا؟ لعل رغبته الشديدة بالوجود مع جلنار في كل ثانية متبقية، جعلت روحيهما تتقابلان، لعل القدر قرر منحهما هدية أخيرة قبل التمزيق بينهما، أيًا يكن السبب، لقاؤهما منح شاوران السعادة،

الطمأنينة والرضا، لقد كانت تلك خانمته معها كبراً، لظالما أراد أن ترى جلنار حقيقته، وحتى عندما لم نعلم حقيقة من يكون إلا أنها تقبلت البنّ فيه، احتضنت مشاعره الضائعة ومنحت شاوران النهاية التي رغب بها، ليستيقظ صباحاً راضياً، متقبلاً للنهاية التي ستحل عليهما، غير أن القدر قاسٍ، منحه لمحة من السعادة قبل أن يسرقها وروحه منه، الآن تعلم جلنار من يكون، تعلم خيانتها، كذبه، أنانيته، بشاعته، كل ما خبأه لوقت طويل، لتتحطم صورة شاوران و شافير لدى جلنار، تمنى أن يرحل دون التسبب بالمزيد من الأسى لها، كم أنت قاسٍ يا قدراً!

في هذا الظلام لم يعلم شاوران كم لبث، ظل يعوم فيه مسترجعاً لحظاته مع جلنار مرة تلو مرة، ليحفرها في روحه، فذكريات البنّ بدأت تنساب منه، لقد نسي هبات أصدقائه، التعاليم التي تلقاها، هو يفقد نفسه شيئاً فشيئاً، سوى هي، سوى جلنار عليه أن لا ينساها، لينس نفسه التافه، ليلتلعها الظلام، لتغدُ لعدم، في ذلك المكان من بين ما تبقى منه ومن شافير ظل يردد:

"هنالك ورقة لكل منسي، ورقة لكل ما فقدت، وورقة لكل ما لم يُقدّر، لكل ما آمنت به؛ عدّد الأوراق، لا تنسها، اجعلها جبلك،

تخلّ عن ليالي الشك، بهدوء اسبح في ذكرياتك لها، بهدوء ليقدك
الظلام؛ هنالك ورقة لكل كذبة، للأحلام المتلاشية، ولما
سيمضي من دونك، لتبتعد المسافات، لتهب الرياح، ليهمس
صوتي، مكانك في القلب، أنتِ جنتي، انتهى زمني، حلمي، كما
عالمك الذي ينبض بالحياة، من دوني.

جلنار

"إلى أين يا فتاة؟"

تجمدت جلنار في مكانها عندما سماع صوت نامار من خلفها،
لم تنظر إليه بل استمرت بالسير متجهة بعيداً عن منزل أزيو فيما
تبعها الجان.

جلنار: "ابتعد عني، ولا تتبعني."

"ألم تملني من فعل هذا كل يوم؟ لقد مضت ثلاثة أشهر يا فتاة،
ألم تسأمي الفشل من البحث كل يوم؟ لا أعلم ما الذي تحاولين
إثباته، إلا أن أزيو صبور للغاية معك، لذلك لا تستغلي لطفه،
وصبره عليك، وعودي أدراجك، آن الأوان لتمضي في حياتك."

جلنار: "ألم تسأم أنت من تكرار الحوار ذاته معي؟ ابتعد من
هنا أيها الجان، ولا تطلب مني أن أمضي قدماً، أنا لم أفعل ولن
أفعل."

"ما الذي تطمحين لتحقيقه بهذه الثورة؟"

جلنار لم تجب إلا أنها مضت في سبيلها، لتبدأ بحثها بين

شوارع بابل، تسأل من ترى من المارة عن رفيقها ذي الشعر الأسود، تبحث بين أزقة المنازل والأسواق الضيقة، عليها تجده يقف مبتسماً لها في مكان ما، بل هي لا تمنع أن يكون جريحاً حتى، كل ما ترغب به هو إيجاد شاوران.

أمضت جلنار أسبوعاً كاملاً مريضة وفي حالة نكران للواقع الذي تحيا فيه من دون نبض فؤادها، رفيقها كما محبوبها، ثم ذات يوم وبينما كانت مستلقية على فراشها تراقب الأشجار في شرفة حجرتها بعينين فقدتا الحياة، شهدت أمراً غريباً في البداية ظنت أنه وهم من فرط شوقها لـ شاوران، فطرفت بعينيهما على الوهم يزول، غير أن أزهار الجلنار وبتلاتها ظلت تتساقط على شرفتها، كذاذ مطر هطل لينقذ روحها البالية، انتفضت من على الفراش راكضة صوب الشرفة، كادت تتعثر في الخطوات القليلة التي أخذتها، بدت كمن قطعت الصحراء الشاسعة لتصل لمياه تروي عطش روحها، توجهت جلنار للخارج بسرعة ظناً منها أن شاوران يقف هنالك، أنه عاد إليها ليأخذها معه، هو هنالك في الخارج باسطاً ذراعيه لها، كل ما عليها فعله هو الوصول للشرفة،

لينتهي هذا السقم، إلا أنه لم يكن هناك، كل ما وُجد هو أزهاره
القرمزية المتناثرة على الأرض، انحنت نحوها حاملة إحداهما في
يدها، لتبين الواقع من الوهم، كانت البتلات حقيقية بلمس
دافئ على أطراف أناملها، ورائحتها العطرة مثل تلك التي في
أحلامها، كيف يمكن لأزهاره أن تكون هنا؟ أيعني هذا أن
شاوران حي؟ عند هذه الفكرة ركضت جلنار مسرعة خارج
المنزل تبحث عنه عله قريبٌ منها، عله لم يُقتل، ربما يوجد غد
لهما، ظلت جلنار تركض في أرجاء بابل، مناديةً برجاء اسمه:
"شاوران، شافير، أين أنت؟ أرجوك لا تهرب! لا تتركني بمفردي!
أرجوك عد."

لم تتوقف عن الرجاء والنداء، حتى شعرت بيد تمسك ذراعها
بقوة مانعة إياها من الركض، التفت جلنار بوجه مبتسم بشوش
نحو الجسد الذي يقف خلفها، لتتلاشى ابتسامتها فور أن رأت
أرئو خلفها، شعرت بقلبها يتحطم.

أريو: "ما الذي تفعلينه هنا جلنار؟ في هذا الليل! أين تذهبين؟"

"أبحث عن شاوران، هو حي، أنا أعلم أنه حي."

أريو: "أنت متعبة، وتوهمين، نامار قتله، لقد سمعت هذا

بنفسك، لذلك أرجوك عودي للمنزل، من الخطر البقاء في الخارج ليلاً."

"لست متوهمة، وجدت أزهاره على شرفة الحجر تتساقط من السماء، إنها له، هو حي أنا أعلم هذا."

"حسناً لتأخذيني إلى حيث هذه الأزهار، دعيني أراها."

عادت جلنار للمنزل مع أزيو لترية الأزهار، ليعلم أنها لا تتوهم، غير أن الأزهار لم تكن موجودة، اختفت من على الشرفة، أصيبت بخيبة الأمل، وشعرت بقلبها يسحق مجدداً، للحظة منحت روحها الحياة والأمل، إلا أنهما سلبا منها، لتواجه الواقع المرير، حياة لا يوجد فيها شاوران.

أريو: "لا يوجد شيء جلنار، أنت لا تنامين، لا تغادرين هذه الحجر، وبالكاد تتناولين طعامك، أنت متعبة؛ أعلم ألمك، ويأسك، أنت تشبثين بالوهم ليحميك من هذا الألم، ترغبين لكذبه وخيانتته أن يكونا خيالاً لذلك، تتوهمين وجوده، لتحصلي على خاتمة، إلا أنه قد مات، قتله نامار."

وقفت جلنار حيث هي لم تتحدث أو تجب، كانت كالصنم ثابتة، حينها أمسك بها أزيو من كتفها قائداً إياها حيث الفراش، ثم

أجلسها عليه قائلاً: "أرجوك احظي ببعض الراحة، كل شيء سيغير عندما ترتاحين قليلاً."

استلقت جلنار على الفراش واهبةً ظهرها لأريو، الذي رحل ما أن تدثرت هي على الفراش، ليغلبها النوم من حيث لا تعلم، من الظلام أزهرت ذكرى قديمة لها، وجدت نفسها طفلة ذات عامين تجلس في حجر والدتها التي كانت تسرح شعرها، لم تملك جلنار أي ذكرى عن طفولتها أو والدتها، غير أن رؤية مشهد كهذا مدت وجدانها بالدفء الذي فقدته مع رحيل شاوران،

في هذا الحلم لم يوجد إلا هي ووالدتها محاطتين بالظلام.

"صغيرتي جلنار، عليك الاهتمام بهذا الفؤاد، إنه هدية ثمينة من مخلوق - شافير - أتعلمين يا صغيرتي أن هذا القلب معجزة، ما حدث ذلك اليوم كان معجزة حقاً، أن تستدعي قلب بنّ وأنت ميتة، أمر لم أفقهه يوماً. حكّت لي جدتي من قبل، عن خيط رفيع جداً ومميز، قليل من المخلوقات يمتلكون هذا الخيط، هو خيط يرتحل عبر الأزمنة والأراضي، ليربط بين الأفتدة المقدر لها أن تلتقي، جاعلاً منهم أحبة، لا يهم أينما أو حيثما كانوا هذا الخيط سيربط أقدارهم بعضها ببعض، ليلتقوا. أنت وصاحب الوجدان

مقدران بعضكما لبعض، لقد استدعاه قلبك الميت عبر هذا الخيط، وهو استجاب للنداء، أعلم أنه ما دام ذلك المخلوق في الخارج فلا أذى سيطولك، هو سيحميك لأنك وجدانه، كما هو فؤادك، أقداركما عقدت قبل أن تلتقيا، قبل أن توجدا، لذلك جلنار، ثقي بهذا القلب وصاحبه، وتذكري أنكما مرتبطان بعقد الجذر والزهرة ما تشعرين به سيصله، وما يشعر به سيصلك."

فتحت جلنار عينيها والدموع تنساب على وسادتها، رؤية والدتها منحتها الطمأنينة، ذكرتها بما نسيت، وضعت وجهها على الوسادة لتمحو الدموع من عينيها، وحين فعلت شعرت بوجود شيء تحت وسادتها، فرفعتها لتجد تحتها زهرته، زهرة جلنار واحدة اختبأت تحت وسادتها كشاهد، كتأكيد على ما قالته والدتها، أجل! هي لا تتوهم، لا يمكن لها أن تتوهم، خبر موت شاوران صعقها، لذلك لم تفكر، استسلمت لما قيل لها من غير قتال أو جدال، إلا أنها ليست طفلة، وليست عاجزة، شاوران حي في الخارج، هي تعلم هذا، ثققتها بصلاية روابطهما أقوى من أن تستسلم بسهولة، هو حارب من أجلها، ومستعد للموت عنها، أما هي فستجده، ستنقذه، كلاهما سينجو، حملت جلنار الزهرة في

يديها مقبلة إياها، مرددة في نفسها: "لا يمكنك الهرب مني شاوران، أينما كنت سأجدك وأعيدك لي، فأقدارنا عقدت قبل أن نلتقي، أنت لي وأنا لك."

منذ ذلك اليوم، وجلنار تخرج كل يوم للبحث عنه، يتبعها نامار أينما ذهبت، أما أزيو فقد تحاور معها مئات المرات طالباً منها أن تتوقف عما تفعله، ألا تتبع سرايا بلا نهاية، لقد ناشدها أن تمضي قدماً، غير أن جلنار ما كانت لتضيق وقتها لتشرح له ما تعلمه، ما تؤمن به، ولا يهمها إن صدقها أم لا، كل ما يهم هو ما تعلمه هي. جعلت جلنار من عادات بحثها التوقف عند معبد عشتار، مغطية شعرها كما الإرشادات، ارتقت السلالم نحو قاعة الإلاهة عشتار، لتقف هنالك أمامها تدعوها: "أيتها الإلاهة الجليلة عشتار، يا من بيدك الحب، رَبَطتِ بين قلوبنا، عَقَدتِ أقدارنا، أنت من أبغض؛ أنا لم أعد تلك الطفلة الصغيرة التي تبكي وحيدة في الظلام، في قلبي يوجد حب أزلي، لأجل هذا أقاتل للعيش في كابوس الحياة، إن رددته لي، فسأنذر لك روحي، هي لك كيفما شئت؛ إلا أني أقسم، أن أعود لمحجوبي، فلا أكون من دونه، ولا هو بدوني، أرجو أن تقبلي مناجاتي لك، وحيي الأبدى له."

ابتعدت جلنار من أمامها متجهة صوب إحدى حدائق المعبد العديدة، هنالك حيث تعلم أنه موجود، ذلك البستاني الذي لطالما ألقى التحية عليها، سائلاً عن حالها، لتجده في مكانه مثل كل يوم يجلس تحت ظل شجرة، عندما التقت أعينهما ابتسم لها لترد هي الابتسامة، إلا أن نامار من خلفها يصدر أصواتاً تهكمية مزعجة كلما رأى البستاني، لعله يبغضه، غير أنها ليست مهتمة بما يفكر به، أخذت جلنار مكانها تحت الشجرة معه. كان البستاني شاباً في مقتبل العمر، لعله في مثل عمر أريو، إلا أنه امتلك الكثير من الحكمة والبصيرة اللتين تفوقان عمره، كان البستاني الذي لا تعرف اسمه، طويلاً بجسد قوي، عينين زرقاوين مثل السماء، بشعر أشقر ذهبي التف حول عصبه من قماش أسود، وفي ساعده وضع سواراً من جلد بني تحلى بحجر أزرق كريم.

البستاني: "مرحباً، أيتها الصغيرة، هل انتهيت من دعائك؟"

جلنار: "تدعوني بالصغيرة في حين أنك لست أكبر مني بكثير."

"أخبرتك عدة مرات، أنا أكبر مما أبدو، هل ستعودين للبحث

عن عشيرك اليوم أيضاً؟"

"أجل، كما كل يوم، سأبحث عنه."

"لماذا هذا الإصرار على إيجاده؟ شابة جميلة مثلك يمكنها
إيجاد الكثير من الشبان غيره، أنت تفعلين هذا منذ ثلاثة أشهر،
ألم يُصِيبِك اليأس؟"

"أسبق لك أن أحببت؟" نظرت جلنار إلى عينيه فيما طرحت
السؤال، لتجد عينيه تتغيران، لتحملا داخلهما شوقاً وحزناً
عميقين، لتردف: "أستطيع الجزم أنك فعلت، كما يبدو أنك
فقدت من أحببت." "أجل لقد فقدتها، لم أتمكن من حمايتها."

"لو قيل لك إن هنالك فرصة بوجودها حية، إنه يمكن لطرفكما
الالتقاء مجدداً، يمكنك أن تشعر بدفء أنفاسها حولك، رؤية
نفسك في عينيها مجدداً، وسماع صوتها ينادي اسمك، فماذا
ستفعل حينها؟"

"سأجوب الأرض بحثاً عنها، سأقضي ما تبقى من أيامي
محاوياً استعادة الوقت الذي سرق منا، كنت لأفعل ما تفعلين
أنت."

لم تجب جلنار، إلا أنها اكتفت بالنهوض مودعة البستاني الذي
قال آخر كلماته لها: "يا فتاة، حب كحبكما نادر، كما محال

استمراره، لا ينجو أحد منه، قدر هذا العشق هو الفراق المؤدي
للجنون، قلب أحدكما سيحترق، إلا أن شيئاً في قلبي ينبئني أنكما
ستنجان، ستجدان معجزة تسمح لكليكما بالحياة، فلا تفقدي
الأمل، جلنار: "

تفاجأت جلنار عندما نطق اسمها، فهي لم تخبره عن اسمها،
وفيما تلفت لتسأله لم تجد له أثراً كما لو كان سرايباً، نظرت
حينها حيث نامار الذي لا يبدو عليه التفاجؤ بل الانزعاج فحسب،
لتحادثه: "ما كان هذا؟"

"كيف لي أن أعلم؟ أنت من تحادثينه وليس أنا." "لماذا لست متفاجئاً؟"

"لأنني رأيت كل شيء في حياتي الطويلة الأمد، فلم يعد شيء
يفاجئني، لن أتفاجأ لو انشقت الصحراء بطوفان يغرق الجميع
كما حدث قبل قرون خلت."

أريو

تكاد الشمس تغرب، وأزيو يقف أمام منزله في انتظار عودة
جلنار، الثلاثة الأشهر الماضية كانت جحيماً لا يطاق بالنسبة له،
في بادئ الأمر حاول منح جلنار بعض الوقت لتقبل الواقع
والتأقلم، إلا أن هذا لم يُجد، لقد كانت مهووسة بإيجاد شافير،
تلك الأزهار التي تساقطت على شرفة حجرتها أيقظت شيئاً ما
داخلها. ذات مساء توجه أزيو لحجرتها، حيث لم تكن، إلا أنه
وجد أزهار الجلنار على شرفتها، وفي حين أنه لا توجد أشجار
رمان قريبة، ذعر أن يكون شافير هنا من أجلها، أن يكون قد أتى
ليحصل على قلبه، توجه للخارج بسرعة ليواجه أيلتا.

"أين جلنار؟"

"... .."

"ألا يمكنك أن تتحدثي بطريقة أسرع؟ انطقي بسرعة أيتها
لمتلعثمة!". صرخ أزيو على أيلتا.

"خرجت." هذا كل ما استطاعت قوله دون التلعثم.

"توجهي لحجرتها، وأزيلني الأزهار القرمزية من الحجرة كما الشرفة واحرقها كلها بسرعة، لا أريد أن أرى بتلة ورد حتى".
مع هذا انطلق أزيو مع نامار باحثًا عنها.

أريو: "هذا خطوك لأنك لم تقتل شافير".

نامار: "إنه ليس هنا".

أريو: "إذا لم يكن هنا فكيف وصلت أزهاره لها؟ هل أمطرتها السماء؟"

نامار: "هو ليس هنا فحسب، لا يعنيني كيف وصلت الأزهار".

أريو: "ما أن تنتهي من الأمر، سأفرض عقدنا، وأسجنك مجدداً في أور".

نامار: "حظًا موفقًا في هذا".

أخيراً مع اقتراب الصباح وجدها أزيو تجوب الشوارع كالمجنونة، حين رآته محيت الابتسامة من شفاهها وخبأ ضوء عينيها، علم أزيو أنها أملت وجود شافير خلفها، لذلك ابتسمت، وعندما وجدته هو تلاشت آمالها، لتقابله بوجه صامت بارد، لقد حطمت فؤاده، لماذا كل ما هي عليه ملك لـ شافير؟ ألا يحق له ابتسامة حتى؟

حينها رفضت العودة معه مصرة على كون شافير، أو كما أسمته شاوران على قيد الحياة، أخيراً تمكن من إقناعها بالعودة، لتصدم بحقيقة أن أزهار الجلنار مجرد وهم رسمه خيالها، مرة أخرى يلجأ أزيو للخداع من أجل الحصول على مبتغاه، كان قد أقسم أن لا يفعل، إلا أنها الطريقة الوحيدة التي يعلمها، الوحيدة التي تنجح، لذلك لم يمانع اتباعها، إلا أن جلنار لم تستسلم للواقع، أو تخضع لكذباته ونامار، بدأت بالبحث عن شافير من غير كلل، كل يوم من بزوغ الفجر وحتى غروب الشمس، وأحياناً أطول من هذا، لذلك لم يجد أزيو حلاً غير الطلب من نامار البقاء حولها، وعلى غير المعتاد هو لم يرفض أو يتصرف بغرور، الأمر الذي أثار تساؤلاته، لكن في هذه المرحلة لم يعد أي شيء طبيعياً، كل يومه، مشاعره، حتى أفكاره كانت عبارة عن فوضى عارمة، توقف أزيو عن محاولة معرفة ما يحدث مع نامار، كما توقف عن محاولة سرقة لحظات صغيرة مع جلنار، لقد سئم أذى قلبه من تجاهلها المستمر له، بل هو بدأ يفهم ما كان يعنيه نامار عندما أخبره: "أنت تحب الحياة المنبعثة منها، وليس هي." لقد أحبها عندما كانت مع شافير، أما الآن فهما متباعدان وجلنار خالية من الحياة، لم يعد قلبه ينبض لها كما في السابق، ما زال يرغب

وجودها حوله، إسعادها، إلا أنها خسرت شيئاً من مكانتها في وجدانه.

مع آخر خيط شمس يغيب في الأفق عادت جلنار لمنزل أزيو المنتظر في الفناء الداخلي، ليقف على قدميه فور رؤيتها متجهاً إلى حيث هي.

أريو: "ألا يمكنك التوقف عن الخروج كل يوم هكذا؟ أنا قلق بشأنك."

جلنار: "لا تقلق أريو، أنا بخير، وسأستمر بالخروج كل يوم حتى أجد شاوران."

ما عاد أزيو يتحمل هذا الغضب، والإحباط اللذين يشعر بهما، ليستشيط غضباً على جلنار، أمر لم يفعله من قبل، ولم يتخيل أن يفعله يوماً.

أريو: "هذا يكفي! ألم تملني من هذه اللعبة التي تلعبينها، هذا الحلم والأمل اللذين تتمسكين بهما؟ لماذا لا تصدقين موته؟ قتله نامار؟ تستمرين بالبحث عن رحل، ما الذي تعتقدين أنك تحققينه هنا؟"

اعتقد أزيو أن جلنار ستتكلمش خوفًا أو تتراجع من صراخه عليها هكذا، إلا أنها نظرت إلى عينيه بصفاء وثقة أخافته.

"شاوران، لم يمت، ما زال حيًا، أنا أعلم هذا، اشعر به حيًا داخل وجداني، أشعر بحياته المرتبطة بي، أعلم أنه ما زال يسكن هذه الأرض، أشعر بألمه، صراعه للبقاء، كما أنه ينساب في ظلام يفقده ذاته، لذلك سأبحث حتى أجده وأنقذه. لا أعلم ما الذي تنوي عليه أنت وجانك، ولا أعلم سبب كذبكما علي، ولن أضيع وقتي الثمين محاولة معرفة ما تنكرانه، أو سماع المزيد من كذبكما، أنا سأجد شاوران بنفسه وأنقذه."

"لماذا تريدان العودة إليه؟ ألم يكذب عليك، ويخدعك، استغل حياتك، حبك، وروحك من أجل أن يشعر هو؟ فلماذا تتوقين للعودة لهذا المخادع؟"

"هو ليس مخادعًا، شاوران لم يخدعني، هو منحني حياته وأكثر، ما أشعر به تجاهه، ما أشعر به معه وحوله، مع كل يوم وكل ثانية، شعور لا يمكنني وصفه، كما لا يمكنك فهمه، فلا تتحدث عنه بما لا تعيه، ولا عن علاقتنا بما لا تشعر به."

"أنا أشعر، أنا أحبك، أريدك قريبًا، أريدك معي، لقد منحني

أيامي حياة لم أعرفها من قبل، أنت سر نبض قلبي، ألا يمكنك نسيانه؟ ألا يمكنني أن أحل محله؟ لا أمانع أن أكون بديلاً له، ألسنت أكفي جلنار؟ ألا يمكنك النظر لي أنا؟ أريدك أن تبسمي لي، أن تحتاجيني، أريدك أن تبحثني عني، تشتاقي لي، ألا يمكنك منحني هذا؟"

كان أزيو يطلق كل ما في وجدانه، ما صمت عنه لوقت طويل، أراد إزالة العبء عن روحه، وقلبه، واستعادة اتزانه، نظر حينها لعيني جلنار، اعتقد أنها ستأثر باعترافه، سيلمس شيئاً في وجدانها ولو قليلاً، هو حتى مستعد لقبول الشفقة منها، أي شيء إلا هذه النظرة الخاوية التي حملتها عيناها، هي لم تشعر بأي شيء من كلماته، واكتفت بالنظر إليه بطريقة حطمت ما تبقى لها في فؤاد أريو.

جلنار: "أنت لا تحبني..."
"كيف لك أن تعلمي؟ كيف لك أن تقرري مكنونات فؤادي؟ ما أشعر به حقاً نحوك، كيف لك أن تصر فيه بلا مبالاة؟"
"لأنني لست الوجود الذي ينعكس في عينيك، لطالما رأيت ذاتي في عيني شاوران، هو رأيي لما أنا عليه، لم يرغبني مُلكاً، حبه لي

كان حرّاً من غير شروط، أما أنت فتريدني تملكاً، أن أمنحك شعوراً جيداً وأسعدك، في كل حديثك، لم تقل ما ستمنحه أنت لي، بل ما تنتظره مني فحسب، أخبرني الآن أي حب هو هذا الذي لا يمنح؟ أنت أحببت حبّ بعضنا لبعض، أحببت وجودي المشرق معه، إلا أنك لا تحب ذاتي الحقيقية، شاوران لم يرد أن يكون بديل أحد، بل أن يكون الوجود كله لي. أزيو لا أحد الآن أو أبداً قادرٌ على استبدال شاوران، ولا حتى ظله، ولا ثانية من عمري معه، ولا نظرة واحدة من نظراته لي.

"لو أنه أحبك كما تقولين، فلماذا لم يقاتل من أجل هذا

الحب؟ لماذا هرب؟"

"لأنه أحبني أكثر من ذاته، أتمنى أن تشعر بهذا الحب يوماً ما أريو، أنت تستحق هذا، إلا أنك لن تحصل عليه مني، اعذرنى أنا مرهقة وسأتوجه للراحة." اعتلت جلنار السلالم متوجهة لحجرتها مخلفة خلفها حطام روح أريو.

توجه حينها أزيو إلى خارج منزله، ليجد نامار يقف هناك، لا بد أنه سمع كل حوارهما، لمح أزيو نظرة شفقة في عيني الجان الأمر الذي جعله يبغض ذاته للتدني لهذا المستوى من الحطام، مستوى يجعل نامار يشفق عليه، لم يقل أزيو شيئاً إنما ابتعد عن

الجان الذي قال متحدثاً: "ما خطوتك التالية؟ ماذا ستفعل حين
يستيقظ البن؟"

"سأقتله"

"حتى إذا لم تحظ بالفتاة؟"

"سأقتله إخماداً لغضبي، وبغضاً لكل ذوي البن، عليهم
يحترقون جميعاً في سعير أسود، بلا نهاية."

"غضبك سيدمرك"

"انظروا من يتحدث!" سخر أزيو من نامار.

"لهذا أحذرك."

"اهتم بشؤونك، ودعني لشأني."

أكمل أزيو طريقه في الظلام، سائراً بمحاذاة النهر الجاري،
ليحمل له سيله الهادئ مفاجأة، فوق النهر سبحت أزهار نيلوفر
زرقاء، كانت كثيرة فباتت النهر كله، توقف أزيو عند مشاهدة هذا
المنظر البديع، لتبدأ الدموع تنساب من عينيه شوقاً للحقيقة
الوحيدة التي عرفها، ألا وهي حب والدته له كما هو لها، اشتاق
لفؤادها، أحضانها، صوت غنائها، شعرها الأسود المتطاير مع
الرياح، عينيها العسليتين، رائحتها التي حملت عبق أزهار

النيلوفر، اشتاق لتلك الأيام حين كان نفسه الحقيقة، حين لم يعلم
أسوأ المشاعر البشرية التي تصورت فيه هو، أراد والدته أو شيئاً
من ريحها وذكرها، كم اشتاق إليها، الشيء الوحيد الذي امتلكته
والدته، كما أحبه حباً جماً كان سواراً هدية من والده، سواراً
بجلد بُنيّ، مع حجر كريم أزرق، إلا أن هذا السوار سلب من يدها
يوم قتلها البن.

أبيلتا

راقبت من حيث تقف خلف أحد أبواب المنزل، شجار سيدها مع جلنار التي تبغضها بكل حواسها، منذ اللحظة التي رأت فيها سيدها يعبر فناء المنزل مع فتاة تتبعه، والابتسامة لا تغادر محياه، كما نظراته الدافئة لها، مقتت جلنار.

أبيلتا، عبدة من صلب عبدة، من سلالة عبيد لم تعرف الحرية، ولدت في الشقاء، ولا تعرف غيره، أخذت من بين يدي والدتها وهي طفلة في الخامسة من عمرها، ليتم وسمها بختم العبيد الكاوي في كتفها ثم بيعها لتاجر رقيق أبعدا عن مدينتها الصغيرة مرتحلاً بها في الصحراء التي قطعتها على قدميها الحافيتين، شاهدت العبيد الآخرين يتساقطون موتى من الجوع والعطش في هذه الرحلة، رأتهم يتشاجرون على كسرة خبز وقطرة ماء، لم ينظر أحد إليها، أو يمنحها قوتاً يحييها، جميعهم قالوا لها الأمر ذاته الذي سمعته من والدتها مراراً وتكراراً: "من الأفضل لك الموت هنا يا فتاة، فحياة العبيد شقاء، نحن نولد فيه لنموت منه."

كم كانت كلماتهم صادقة، لا تعلم أبيلتا كيف نجت من الموت

في الصحراء ولا تذكر، لتصل بعد ذلك لمدينة أخرى حتى يتم بيعها لنبييل اشتهى الطفلة التي كانت عليها، ما تزال ذكرى ما حدث ذلك اليوم محفورة في ذاكرتها بكامل تفاصيلها، حينها فهمت ما قصده والدتها بقولها: "ما كان يجب عليّ إنجابك، نحن نحيا في شقاء لنموت منه، ما كنت أريدك إلا أن السيد الذي جعلني أحمل بك أراد عبدة للبيع، ليحظى ببضع قطع نحاس أو حتى فضة من بيعك، فالنبلاء الذين يشتون طفلة يستمتعون بها كثيرون، من حسن حظك أنك قبيحة، لعل هذا ينقذك."

لكنه لم ينقذها، عانت أيلتا كثيراً من عبوديتها، حتى باتت بلا مشاعر، لا يهم كم مرة تم جلدها، ليتشقق الجلد واللحم من على ظهرها من أثر الضرب، أيلتا لم تصرخ أو تئن، عندما تم صفعها لتساقط أسنانها، أو عند تجويعها، كما أنها تعرضت للحرق والكي عدة مرات، هي لم تعد تقاوم عندما يطلبها أحد السادة لتأتي لفراشه في الليل، لا شيء بات يؤلمها لا شيء مهم، هذه حياة العبيد نحيا في شقاء لنموت منه.

تم بيعها وشراؤها كثيراً، حتى باتت سوق النخاسة كبيت ثانٍ لها، إن حظيت بمكان يدعى منزلاً أو بيتاً، حظيت أيلتا بعدد لا

يحصى من السادة، جميعهم كانوا قساة وبلا رحمة، سخروا من هيئتها القبيحة، أسنانها المفقودة، رائحتها التنتنة، جسدها النحيل، جلدها المتشقق، تلعثمها، كما شعرها الذي تساقط تاركاً حفراً في رأسها ليطلقوا عليها لقب "الكلب الأجرى".

آخر سيد حظيت به كان من كبار نبلاء بابل، الذي امتلك الكثير من العبيد، وخاصة الجميلات منهم، أما أبيلتا فقد اقتصر عملها على غسل الثياب بعيداً، حيث لا يرى النبلاء دمامتها فيشمئزوا منها، امتلك هذا السيد ابناً بكرأ هو الأحب إلى فؤاده، إلا أن هذا الابن مسه أذى من شيطان، فكان لا يأكل الطعام، يتخبط كالمجانين في الأرض، يحدث القذارة على نفسه، وفي الآونة الأخيرة يؤذي جسده، حتى أتى السيد بساحر ذي صيت كبير يدعى أريو، أخبرهم أن به أذى من جان يحب زوجة الابن، وأن هذا الجان لن يدعه حتى يحظى هو الآخر ببشرية جميلة تكون زوجة له، ولأن السيد يحب جارياته كثيراً تردد في منح إحداهن أضحية من أجل ابنه، إلا أن الساحر اقترح تقديم إحدى العبيد اللاتي لا يتمتعن بجمال، عبدة تعمل في زوايا المنزل المظلم والخفية، طمأنهم الساحر أن الجان ليسوا أذكىاء وأنهم لا يستطيعون نكث عهد بينهم وبين البشر ما أن يتم إنشاؤه، لذلك

سيتم وضع الغطاء على وجه العبدة فلا يميز الجان جمالها من قبورها وما أن يتم العهد ويخلى سبيل السيد النبيل، تمنح العبدة للجان، كما أخبرهم أن عليهم تخلية سبيل هذه العبدة لتحيا في منزل الساحر، حيث لديه القدرة على السيطرة على الجان. وبالفعل تم ما أمر به الساحر، لم تهتم أيلتا بما يتم عمله بها، أن يتم تقديمها لجان لم يعن لها شيئاً، فقد عانت في حياتها شتى أنواع العذاب وكلها، فلا يُخَيَّل لها أن الحياة مع جان ستكون أسوأ من حياتها الآن، أتى الساحر للزيارة بعد ثلاثة أيام، مانحاً السيد وقتاً لتجهيز القربان والكنوز للجان لاقرانه ببشرية، وعندما وصل الساحر بدأ طقوسه برسم دائرة سحر كبيرة في منتصف الفناء الخارجي، ثم وضع أيلتا داخلها، محاطة بالقرايين، ليتم الساحر بطلاسم ولغة غريبة حينها اشتعلت الدائرة ناراً حمراء يتطاير الشرر منها، ثم من داخل القصر أتى صوت الابن الأكبر صارخاً، لتنظف النار، أخيراً أتت جارية تركزض حيث الفناء الخارجي وهي تصرخ: لقد رحل الشيطان، لقد شفي سيدنا، فامتلا القصر تهليلاً وبهجة، ما أن انتهى الساحر حتى رحل من القصر محملاً بالقربان والكنوز التي هي ملك للجان الآن، ثم أمر أيلتا أن تتبعه.

علمت أيلتا لاحقاً أنه لم يتم تزويجها بجان، إنما أزيو أراد عبدة تعمل في منزله لذلك ابتكر قصة تزويج الجان، أخبرها أنه طلب عبدة لم تكن حسناء، لأنه دائم الترحال، ولم يرغب بعبدة فاتنة تجذب الرجال محولة منزله لبيت بغاء، لذلك أيلتا تكفي، كل ما عليها هو القيام بعملها في إدارة المنزل في وجوده وحفظ أمانتها في رحيله، وهذا ما فعلته. بالرغم من فارق العمر بينهما حيث إن أيلتا تفوق أزيو بالعمر إلا أنها حملت مشاعر في قلبها له، لقد كان وسيمًا، لطيفًا، لم يهزأ بها، لم يعاقبها، أو يؤذها، لقد ترك لها الحرية للتصرف وعندما آمنها منزله شعرت وكأن وجودها مهم وضروري، أمرٌ لم تشعر به سابقًا، من قبل كانت مجرد قطعة سهل استبدالها، بل لقد كانت أرخص من قطع ثياب النبلاء، إلا أن وجودها هنا مهم وذو معنى، لذلك أحبت الشخص الذي منحها هذا الشعور، هي لم تنتظر منه أن يبادلها المشاعر أو يحبها، أيلتا تعلم مكانها جيداً وما كانت لتجرؤ، لقد اكتفت برؤيته في زيارته النادرة من بعيد فحسب، هذا منحها الرضا، إلا أن سيدها الوقور عاد ذات يوم للمنزل بصحبة فتاة تماثل عشتار في جمالها، رأت كيف يعتني سيدها بها، كيف أحبها، لتبدأ نار الكره تشتعل في قلبها، لماذا حظيت الفتاة بما لم تحظَ هي به من

قبل؟ الجمال، الحب، أشخاص يسعون من أجلها، بل إن رفيقها الذي أتت معه يسلم حياته من أجلها، هو مستعد للموت من أجل الفتاة، ولم يكن بشريكاً حتى، هذا ما استنبطته أيلنا من حديث سيدها وتحققت منه لدى رؤيتها وشم الفتاة، ما الذي يجعلها مميزة لترغب حتى الوحوش بإسعادها وحمايتها؟

منذ وصلت الفتاة للمنزل وسيدها لم يعد على طبيعته، كما أنه أصبح ينفس عن غضبه على العبيد في المنزل أمر لم يفعله من قبل، بل هو صرخ عليها منادياً إياها: "متلعثمة" كم أحرق هذا فؤادها، ولأول مرة تعصي أمراً لسيدها حيث إنها أخفت زهرة قرمزية واحدة تحت وسادة الفتاة، لتؤذي وجدان سيدها الذي مقت الأزهار، بدأ جبهها له يتحول لبغضاء، اليوم تشاجر سيدها والفتاة شجاراً كبيراً حطمت فيه الفتاة وجدان سيدها ليعصف خارج المنزل، حينها قررت أيلنا التدخل وإبعاد الفتاة عن طريقها وطريق سيدها ليعود لنفسه التي فقدها بوجودها، ليعود سيدها اللطيف والوقور.

أثناء ترحال سيدها الدائم والطويل، زارهم في المنزل ساحر آخر عرف عن نفسه باسم "طاليا" أخبرهم أنه صديق أريو، وأنه

هنا يسأل عن أحواله، لقد سأل العديد من الأسئلة إلا أن العبيد
 موجهون بعدم الحديث عن أمور أزيو لأحد، لذلك لم يجيبوا عن
 تساؤلاته، في طريق خروجه وفيما كانت أبلتا ترافقه، أخبرها طالبا
 أن أزيو صديق عزيز عليه، كما أنه ساحر ماهر وطموح، إلا أن
 طموحه هذا قد يؤذيه وخاصة أنه متهور، ذكر لها مخاوفه من أن
 يتأذى صديقه يوماً من هذا التهور، طلب منها إن رأت أن سيدها
 وصديقه يتصرف بطريقة مريبة أو قد تؤذيه عليها أن تلجأ إليه
 بسرعة بهذه الطريقة يمكنه مساعدته قبل أن يتأذى؛ علمت أبلتا
 أن الأوان قد حان للجوء لصديق سيدها لمساعدته وحمايته.

طاليا

"طاليا يا بني! عليك التخلص من كل هذا الحسد داخل قلبك،
وإلا فسيكون ندمك يوماً ما."

هذا ما أخبره به معلمه، ما ذكره في كل مرة تحدث فيها عن
أريو.

"هو ليس حسداً يا معلمي، إنما خوف على سمعة السحرة
والكهنة، هذه الزقورة منزلي منذ طفولتي منذ قدمتي لأسرتي لتعلم
السحر، كل شخص هنا بمثابة عائلتي، ويقلقني أن يتأثر أحد ممن
أحب بسبب تصرفات أريو الرعناء."

"لا تقلق بشأن أريو، عيناى تتبعانه، هو لن يرتكب حماقة."
رحل طاليا بعد سماع هذا الحديث، أجل هو يحسد أريو كما
يحسد موهبته الفذة التي لا يمتلكها هو، القدرة التي خولته
ليمتلك ما لم يمتلكه هو من مال، مسكن، حرية وسمعة؛ مثل
طاليا، أريو تم التخلي عنه بلا عائلة يلتجئ لها، بدأ كلاهما السحر
معاً تحت إشراف معلمهم الكبير، إلا أن أريو سرعان ما تفوق
عليه، جاعلاً وجوده ضئيلاً تحت ظل أريو الذي غطى عليه

وحجبه، حقيقة أن كليهما بدأ من المكان ذاته، ثم أصبح أزيو أفضل منه أرقت نوم طالبا، يوماً بعد يوم سطم اسم أزيو في بابل، والمدن المجاورة، أما هو فلم يكن أكثر من ساحر صغير بل هو أقرب لـ ممشو من ساحر مُعترف به من المعبد، وكل ذلك بسبب أزيو الذي أعاد تعريف مسمى السحر والسحرة. ثم حدث أن أتت الساعة التي سمع فيها حديث أزيو مع شخص ما، اقترب طالبا بهدوء مسترقاً السمع، فلم يجد أحداً معه إلا أن أزيو كان مستمراً في الحديث بمفرده، بعد عدة لحظات علم طالبا سره هو قادر على رؤية كما الحديث مع الجان كيفما أراد، هذا ما منحه الأفضلية، إلا أن أحداً من السحرة لم يصدق طالبا، فما يقترحه منافٍ لكل مبادئ السحر وكل ما يعرفونه، ليستشيط سخطه كما حقه، بالرغم من أن كل السحرة يبغضون أزيو إلا أنهم فضلوا تصديقه وتكذيب طالبا الذي لطالما كان مخلصاً للمعبد.

بينما كان طالبا يتوجه نحو مخدعه، اقترب منه أحد الحراس يبلغه بوجود جارية باسم أيلتا قادمة للتحدث معه، شعر حينها بأن فرصته لإسقاط خصمه قد شارفت، أخيراً سيحصل على ما يتمنى.

"أيلتا! كيف يمكنني مساعدتك؟"

ظهر طالبا أمامها بوجه لطيف مبتسم.

"سيدي، هل يمكنك مساعدة سيدي أريو؟ اعتقد أنه أرفع

نفسه في ورطة قد لا يخرج منها."

"بالتأكيد أخبريني ما حدث."

مضت أيلتا تحكي له ما يحدث عن حقيقة وجود مزهرة في منزله، وبالرغم من عدم تصديقه وجود مزهرين أو بن إلا أن هذه فرصة لا تعوض، لو أن ما تقوله صحيح ولو بنسبة ضئيلة فلن يضيع طالبا فرصة تحطيم أريو، أخبرها أن تعود للمنزل وتنتظر لأنه سيأتي خلفها. ما أن رحلت حتى توجه لمجموعة من كبار السحرة، فحدثهم بما سمع، وحين رفضوا تصديق قوله، ذكرهم بما سيصيب بابل من دمار وأذى في حين كانوا مخطئين، كما أنه تلمس تعصب المتشددين من السحرة والذين يكرهون جشع أريو وتصرفاته التي لا ترقى لمستوى السحرة ولا لسمعتهم، ظل طالبا يزرع الشك كما الوسوسة في عقولهم، مذكراً إياهم بأفعال أريو السابقة، بعد أقل من ساعة توجه طالبا يتبعه بعض كهنة وحراس المعبد نحو منزل أريو، ليسقطوا السماء على رأسه.

نامار

"سيون، لماذا أنت هنا؟ عد لبورسيبا، وأكمل مهمتك،
وجودك هنا يعكر صفو راحتي."

"لست أفعل شيئاً يعكر صفوك، كما أن لدينا مخلوقاً يراقب
هناك، فلا تقلق."

"أنا لست قلقاً، أنا متزعج منك."

"حتى بهذه الهيئة الدخانية أستطيع معرفة ما تفكر به، أنت قلق،
ما الذي حدث؟"

حقيقة أن سيون يعرفه جيداً أراحته كما أغضبته، لم يرد أن
يبدو ضعيفاً وسهلاً، إلا أن هذا سيون وليس أي مخلوق آخر،
لقد فهمه بقدر ما فهمته زمارتا الرقيقة.

نامار: "الفتى فقد عقله، دائماً ما حمل الغضب في جوفه، إلا
أن غضبه هذه المرة مختلف، لقد تحول لكره، وبغضاء، سوف
يؤدي نفسه إن استمر هكذا."

سيون: "أعلم، لقد شعرت بالغضب في قلبه، لذلك ذهبت

وقدمت ما أستطيع لإبهاجه، لكن ما أغضبه؟"

حكى له نامار ما وقع، ووجد في وجه سيون وصباً أقوى مما أصاب أريو.

سيون: "أنا حقاً لا أستطيع فعل أمرٍ واحد جيد من أجله."

نامار: "كرهه للينّ كبير جداً سيون، ماذا ستفعل عندما يعرف حقيقتك؟ أم أنك ستبقي نفسك سرّاً للأبد؟"

سيون: "لا أعلم بأي هيئة أظهر أمامه، لا أعلم ماذا أفعل؟ أزيو يكرهني بكلتا الهيئتين، كل ما قمت به نحوه كان خاطئاً، والآن لا أستطيع إصلاح شيء، أنا حقاً في حيرة من أمري."

لم يرَ سيون متخبطاً كهذا من قبل، أو محبطاً، كما أن نامار لا يعلم كيف يقدم المساعدة له، حيث إنه هو أيضاً لديه سجل في الإخفاقات طويل؛ حاول نامار تغيير مجرى الحديث فلا فائدة نرجى من حديث عقيم.

"هل تثق بمن تركت عند ذلك الينّ؟"

"لا أعلم بشأن الثقة، لكن هذه الفرصة الأفضل لدينا، كما أني حاجة لاكتساب معرفتهم، لقد ظللت في الظلام لوقت طويل ثلك، وهنالك الكثير مما لا أعرفه، لم أحاول البحث عن

الوقائع، اتضح لي أني سلكت نهجك ذاته في اتباع ما يملئ علي،
كل ما أستطيع فعله الآن هو الانتهاء من مهمتنا هنا ثم التوجه
لأتحقق من صحة الهمسات التي أصمتُ أذني عنها طيلة ألفيات،
خوفاً من أن أصدم بالواقع."

نامار: "لا تنسَ دينك لي."

"لست أفعل، كما أن طريقنا سيكون واحداً فلا تقلق."

"والفتى؟"

لم يجب سيون واكتفى بالصمت، حل الصمت لبرهة ثم
تحطم بزلزال عنيف، وقوة قاهرة قادمة من مكان بعيد، قوة مزقت
المسافات الطويلة لتصل حيث وقف سيون ونامار، تجمد الاثنان
للمحظات فيما تبادلا النظرات في صمت أراد كل واحد من الآخر
التأكيد على ظنه، وقبل أن يكسرا الصمت أتت موجة أخرى من
تلك القوة الغامرة حينها تغيرت نظرتهما لمعرفتهما بمعنى ما
يحدث وبما عليهما فعله الآن.

نامار: "سأحضر الفتى."

سيون: "لا تفعل نامار، إنه ليس ندّاً له، أنا من قام بتدريب
شاوران، أعلم أكثر من أي مخلوق قوته الحقيقية، لا تقحم أزيو
في هذه المعركة وإلا فسيقضي نحبه، نحن الثلاثة نكفي."

نامار: "سنكون ثلاثة بوجود يثقل كاهلنا، إذا أردت إنجاح هذا الأمر فعليك إحضار الفتى، هو الوحيد الذي يملك دافعاً لحماية الفتاة، أربعة يقاتلون، فرصة جيدة لمنع البن من الاقتراب منها."
سيون: "لا أقدر نامار، لا أستطيع مواجهة أزيو الآن."

"توقف عن الشفقة على نفسك، لقاؤكما أمر محتوم ومقدر، هربك الآن لن يفيد، لتقابلا وليته الأمر بأي طريقة تكون، لا أعلم الكثير لكني أعلم أن علاقة الأب بابنه علاقة لا تُقطع بسهولة"

"كنت تعلم!"

"منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناى عليه في زقورة أور، اذهب الآن، لقاؤنا في بورسيبا."

انطلق سيون ونامار كلاهما صوب بابل مجدداً وقبل أن يفترقا ليحضر كل منهما الشخص المتكفل هو به، قال سيون: "نامار اعتنِ بأزيو حتى أصل، ولا تمت أنت أيضاً، فكلانا لديه رحلة طويلة أريد المضي فيها برفقتك."

ابتسم نامار بخفية ثم أردف: "اهتم بشؤونك، فأنا لن أموت بسهولة." ثم افترقا على أن يكون اللقاء في بورسيبا.

جلنار

بينما كانت جلنار تحاول أخذ قسط من الراحة على شرفة حجرتها، رأت حشداً من الأشخاص يقتربون لمنزل أزيو وهم يحملون في أيديهم مشاعل نار، شيء ما أخبرها أن تختبئ، لذلك خفضت نفسها حتى لا يراها الوافدون، ثم تسللت بهدوء حيث الساللم ترى غرض القادمين، استقبلت أيلتا الجنود مع الكهنة أمام الباب، ليسألها أحدهم أن تقودهم للمزهرة بهدوء، كانت هذه إشارة جلنار للهرب. ركضت بسرعة حيث آخر حجرة في المنزل ثم منها للشرفة، نظرت في كل مكان لتجد طريقة للهروب، إلا أن الدور العلوي كان مرتفعاً أي قفزة خاطئة قد تؤدي بها لإيذاء نفسها وخسارة فرصة الهرب، في ميمنة الشرفة أطلقت شجرة كبيرة، تطاولت من الفناء الخارجي حتى الدور العلوي، ذهبت جلنار إليها بسرعة، إلا أن الخوف تمكن منها لتردد في استخدام الشجرة للهبوط، غير أن صوت الجنود يثيرون ضوضاء في بحثهم عنها بعد ما اكتشفوا عدم وجودها، جعلها تعلم أنه لا وقت للتردد إن لم تهرب الآن فستخسر فرصتها للنجاة، لايجاد شاوران، حينها

اعتلت جلنار جذع الشجرة لتبدأ بالهبوط بسرعة لكن بثمعن حتى لا تُنبّه الجنود لوجودها، لدى اقترابها من الأرض وضعت قدمها على فرع نحيل لينكسر من تحتها، لتصدر صوت صرخة صغيراً لمفاجأتها، ثم تسقط أرضاً، وكلُّ من الصوتين نبه المفتشين إلى مكانها، ليأتوا حيث مصدر الصوت، وعندما شعرت جلنار أنها ستكشف عادت للدخول للمنزل من النافذة القابعة بالقرب من موضع سقوطها، وصل الجنود ولم يروها، أما هي فقد انطلقت مسرعة نحو الفناء الداخلي، ومنه صوب باب المنزل وفيما كانت تعبر الفناء الخارجي لاحظ أحد الجنود وجودها ليصرخ مخبراً باقي الفرقة عن مكانها، حينها زادت جلنار من سرعتها كل ما عليها فعلة هو عبور بوابة المنزل الخارجية، ما أن تصل للخارج ستمكن من إضاعتهم بين أزقة الشوارع، فجأة حال بينها وبين الباب جندي وقف موجهًا سيفه نحوها، إلا أن جلنار لم تتوقف قررت أن تندفع بكامل قوتها ثم رمت بكامل جسدها على الجندي لتسقطه أرضاً بينما أصابها سيفه بجرح بالغ في ذراعها، إلا أن الآن ليس الوقت المناسب للتألم أو التوقف، عليها الهرب. نهضت المزهرة واستمرت بالهرب، انعطفت عند أول منعطف نحو اليمين ومنه لليسار، معيدة الانعطاف عدة مرات، إلا أن أصوات

الجنود، والسحرة خلفها كانت قريبة، مهما أسرعت أينما انعطفت ظلوا خلفها، في مرحلة ما بدا أن وقع أقدامهم كما صراخهم كانا خلفها مباشرة، وفي اندفاعها للأمام وبينما انفلج مشهد الشارع الرئيس أمامها، إذا بيد تجذبها بقوة كادت أن تخلع كتفها من مكانه، حينها وبكامل قوتها بدأت جلنار بركل وضرب من يمسكها حتى تتخلص من قبضته لتكمل هربها، حافظها الوحيد في القتال كما الهرب هو شاوران، كل ما رآته هو صورته أمامها والآن تلاشت صورته عندما تم الإمساك بها. أزعجت جلنار أيًا يكن من أمسك بها، ليقوم حينها بصفعها صفقة قوية أسقطتها أرضاً جاعلاً أنفها يسيل دماً، كما جعلت رؤيتها معكرة، حينها شعرت بشيء بارد يوضع على عنقها، وعندما شقَّ جرح صغير على عنقها علمت أنه سيف، أغمضت جلنار عينيها لتودع الحياة وكل ندمها هو عدم حماية وجدان شاوران، أو رؤيته مرة أخيرة قبل الموت، لعلهما يلتقيان في الحياة الأخرى، هي ستنتظره على ضفاف نهر هابور^(١)، لا يهم كم من الوقت ستنتظر، لا يهمها غضب هامو

(١) هابور: نهر يعبره الأموات للعالم السفلي

طابل" المتنظر لها، هي لن تبرح مكانها من دون شاوران، وإن كان العالم السفلي مخصصاً للبشر دون سائر المخلوقات، فستر تحل بعيداً حيث تجد عالمه، حتى يكونا معاً، إذا لم تكتب لهما حياة معاً في هذا العالم، فسيصنعانها في العالم السفلي، أو أي عالم آخر يكونان فيه، هما سيحددان كل الأقدار وبطريقة ما، في عالم ما، زمان ما سيحققان قدرهما ليكونا معاً.

"لا تقتلها، نريدها حية." أتى صوت من خلف الجندي.

فتحت جلتار عينيها لترى أن الجنود جميعاً قد أحاطوا بها مستلين سيوفهم، فلا مجال للفرار، على الأقل لم تمت بعد، لعلها تجد طريقة للهرب مجدداً.

"لماذا لا تقتلها؟"

"علينا التحقق من أنها مزهرة، أيضاً هي إثباتنا الوحيد ضد أريو، عليها أن تبقى حية."

"حسناً إذا تحقق ما إذا كانت مزهرة أو لا."

توجه أحد الجنود نحوها وعلى وجهه نظرة قدرة أصابت

جلنار بالذعر، هي تعلم أن عليهم نزع قميصها لرؤية الوشم المنقوش على نحرها، هذا الأمر أصابها بالاشمئزاز لتحكم قبضتها على قميصها كي لا يزيله أحد عنها، حينها امتدت يد قوية رافعةً جلنار للهواء بينما أتى شخصان آخران وأمسكا بكلتا ذراعيها محررين القميص من قبضتها، لتبدأ جلنار بالصراخ والركل مجدداً، وفيما رفع الجندي يده ليمنح جلنار صفعه أخرى صرخ صوتها: "شاوران!"

قُذِف الجندي الذي كان ممسكاً بها صوب الجدار بقوة عظيمة، ومن خلف الفرقة أتى سيل من مياه تُصاحبها حبال ورقية غليظة، أحد هذه الحبال التف حول جلنار حامياً إياها من السقوط، بينما قامت الحبال الأخرى بتوجيه ضربة سريعة عنيفة نحو الرجلين الممسكين بها محررة جلنار ممن يقبضون عليها. أصيب الموجودون بذعر من مشهد ما رأوه كما أن كل شيء حدث بسرعة كبيرة، بعض الجنود الصغار في السن ولوا هارين، أما الآخرون فاعتزموا القتال، ليوجهوا سيوفهم نحو الحبال الورقية التي كانت تسبح في الهواء، قام أحدهم بتوجيه ضربة قوية نحو الحبال الغليظة غير أنها لم تتأذَّ وجل ما حدث أن الحبل

أمسك بالجندي من وسطه قاذفاً إياه في الهواء ليسقط أرضاً كاسراً ظهره، حينها قرر السحرة التدخل داعين الجان، لتشكل هيئات كثيرة في الأرجاء لم يرها غير السحرة وجلنار، عندما ظهر الجان، أشرقت زهرة نيلوفر واحدة زرقاء في الظلام، ليتهامس الجان قائلين: "إنه النيلوفر، إنه بنّ، هو الأسطورة."

حينها تراجع الجان بالسرعة ذاتها التي ظهروا بها، ومن الظلام المحيط بالجنود ظهرت عينان ذهبيتان مخيفتان، من خلفهما تجلى مخلوق بنّ جميل بجسده الأخضر، وشعره الفضي، بيتلات النيلوفر الزرقاء التي برزت من جسده، ما أن رآه البشر حتى فروا هاربين، وهم يصرخون: "بنّ، إن البنّ هنا"

حينها اقترب البنّ من جلنار التي كانت ما تزال معلقة بالجبال، نظر في عينيها كمن يبحث عن الخوف فيهما، إلا أنها لم تخفه، شيء ما فيه ذكرها بشاوران، حينها حملها البنّ بأحزمة ورقية قائلاً: "تمسكي جيداً علينا الخروج من هنا." وقبل أن تحتج جلنار أو تتكلم، إذا بالبنّ يقفز عاليًا فوق بابل، ثم صنع من تحت قدميه مساراً مائياً خطى فوقه، في طرفه عين كانت جلنار بعيدة عن بابل، ليقوم البنّ بوضعها أرضاً على رمال الصحراء.

جلنار: "لماذا توقفنا؟ ألم تكن لتأخذني لشاوران؟"

"كيف لك أن تعلمي؟ لم أخبرك بشيء."

"شيء ما فيك يشابه شاوران، كما أنك بنّ مثله، وأتيت

لإنقاذي، لا بد أن شاوران طلب هذا منك."

"أنت دقيقة الملاحظة، على أي حال علينا علاج جروحك

قبل التحرك مجدداً، رائحة دمائك العطرة ستفقد شاوران عقله

أكثر مما هو عليه الآن."

"هل يتألم؟"

أزهر البنّ من كفيه زهرة نيلوفر ثم أخذ بيتلاتها وسحقها بين

يديه بينما مزج معها بعض الماء الذي أوجده من كفه الأخرى،

عندما فتح قبضته كانت البتلات قد تحولت لمعجون ثقيل ذي

رائحة عطرة، أمسك بذراع جلنار النازفة ليدهن المعجون فوق

الجرح العميق لتشعر حينها بشيء من البرودة تسري على الجرح،

ظلت جلنار تتفقد منقذها، لترى في معصمه سواراً من جلد بُني

مع حجر أزرق، لتشهق بصوت عالٍ: "أنت البستاني؟"

تبسم البنّ بلطف دون النظر إليها، ليجيب فيما استمر بدهن

البتلات على جرحها قائلاً: "أجل أنا هو ذاته، ويمكنك مناداتي

سيون، أنا معلم ومدرّب شاوران منذ أزهري، كما أنّي والد أريو.

أصيّبت جلنار بالدهشة والذهول، لم تعتقد يوماً أنّها ستقابل
بنّاً يعرف شاوران، فضلاً عن هذا هو والد أريو، أمر آخر ما كانت
لتصدقّه ولو قضت حياتها كلها تكرّره على مسامعها، كيف يمكن
لـ أزيو أن يمتلك والداً من البنّ؟ كره الساحر للبنّ لا يضاهيه
شيء، فلماذا؟ غير أنّ جلنار لم تجد الوقت لتسأل، ولا الرغبة
لمعرفة شيء مثل هذا الآن. وقف سيون على قدميه فيما مديده
إلى جلنار التي نظرت إليه بتعجب، قائلاً: "أنا لا أضمن سلامتك
جلنار، حيث نذهب يوجد شاوران الذي يكاد يفسد، غير أنّي
أعدك عهداً لن أخلفه، مهما حدث سأبذل قصارى جهدي لأغير
قدركما، سبق وأخبرتكم أنّكما ستجدان معجزة، لذلك هل أنت
مستعدة لما هو قادم؟"

مدت يدها ممسكة بيد سيون ثم نهضت قائلة: "خذني حيث
شاوران، وليكن ما يكون، أنا مؤمنة بـ معجزتنا." ثم انطلقا في
الظلام.

أزيو

استعاد أزيو القليل من هدوئه بعد أن رأى أزهار النيلوفر تسبح
بعيداً مع النهر، كما لو أنها جرفت مشاعره السيئة معها بعيداً، بينما
كان يعود لمنزله، ظهر نامار أمامه ليجفل أزيو في خطوته.

"يا فتى، البنّ قد استيقظ، هيا بنا للمعركة."

أحاط نامار أزيو بدخانه قبل أن يفقه ما يحدث، أو يتفاعل مع
الخبر، حينها هتف نامار: "احبس أنفاسك." ولمعرفة أزيو بما
سيحدث من ألم واختناق حبس أنفاسه بسرعة فيما أغلق عينيه،
لينطلق به الجان، شعر الساحر أنه يحلق في الهواء من دون روابط
تبقيه على الأرض، كما لو كان يسبح حرّاً في السماء، على خلاف
ما شعر به من قبل عندما انتقل مع الجان، لم يشعر بجسده يلقي
من مكان لآخر، لم يشعر بالاختناق الشديد، في الواقع لقد انتهى
الأمر قبل أن يدركه أزيو، كل ما شعر به هو جسده يوضع على
الأرض، ليفتح عينيه ذعراً من الصوت المدوي الذي أتى من
مكان قريب منه، ليجد الحطام في كل مكان، من صخور عملاقة
ملقاة على الأرض، وشيء منها تطاير في الهواء، ويزداد حيرة

كانت هنالك سحابة رمال تعصف في الأرجاء، كل شيء يحدث بسرعة فائقة وتوجب على أزيو أن يفقه ما يحدث بسرعة.

"استل سيفك يا فتى."

فعل أزيو من دون جدال كان واقع ما يحدث صادماً له، هذا ما رجاه، أليس كذلك؟ هذه المعركة، هذا النزال هو ما طمح إليه، فلماذا هو ذعر هكذا؟ حتى أنه نسي أن يلتقط أنفاسه.

"تنفس، يا فتى أتتوى أن تقتل نفسك؟"

حينها شهق أزيو مُتَشِلاً نفسه من حالة الذهول التي كان فيها، أما سيفه فقد اشتعل بنار وهبها له نامار، لهيبٌ أسود يلائمه.

"لا وقت نضيعه هنا، في هذه المعركة يوجد معنا حليفان وكلاهما من البنّ، يا فتى لا تنهور، لا تفقد تركيزك ولو لثانية واحدة، هذا البنّ وقدراته ليسوا بمزحة، انس كل معاركك السابقة، فهذا البنّ من أقوى الجنود ممن تمرسوا على القتال على يد قائدهم الأعلى، ثق بي لا تريد أن تخطيء، لا أريد أن أحملك ميتاً له."

"حليفان! من هما؟ وكيف تعلم هذه المعلومات؟ وتحملني

ميتاً لمن؟"

"انطلق" صرخ نامار ثم حلق حيث المعركة.

"أيها الـ... " صرخ أزيو غاضباً من هذا، إلا أن صراخاً مشؤوماً صدر من أرض المعركة، علم أنه يعود للبن الذي يكاد يفسد، من دون لحظة تفكير أو تردد انطلق للمعركة هو الآخر.

لدى اقترابه إلى حيث المعركة قائمة، وجد زوبعة رمال تعصف بالصحراء مرتفعة كعمود للسماء، قام أزيو بوضع لثامه على فمه كما أنفه حتى يتمكن من التنفس وسط هذه الرمال المتطايرة، ثم نظر إلى حيث سيفه فوجد أن النيران فيه تتراقص من الرياح إلا أنها لم تنطفئ، "هذا لهيب أسطورة الجان" فكر في نفسه، كلما اقترب الساحر أكثر اتضحت معالم ما يحدث، إضافة للرمال وجد أزيو جذوراً سوداء غليظة، محملة بأشواك حادة تملأ الأرجاء، بدت مألوفة، لكن قبل أن يفقه ما يحدث إذا بجسد يمزق جدار الزوبعة بعد أن قُذِف بسرعة هائلة متجهاً صوبه، علم أزيو أنه يستحيل عليه إيقاف هذا الجسد، فسرعة تحركه كانت عالية للغاية، فما كان منه إلا أن ابتعد عن مسار الجسد بطرح نفسه أرضاً، أيّاً يكن من تم إلقاؤه، لقد سقط بعيداً جداً عن أرض المعركة، رفع أزيو نفسه ليجد نامار يتلاعب بحبال من دخان كما

يطلق ناراً سوداء نحو ذلك المخلوق المخيف الذي لم يره أزيو
بعد.

أمسك الساحر بالسيف بكلتا يديه ثم انطلق صوب البين، الذي
بدأ يحرك سيلاً من الرمال نحو خصومه، من حسن حظ أزيو أنه
تعلم القتال من قبل، وإلا لكان ميتاً الآن، تجنب هذه السيول عبر
القفز فوقها تارة، دون الوقف عليها فحركاتها السريعة قد تجرفه
بعيداً أو حتى تغمره تحتها، ما أن تلمس إحدى قدميه الرمال حتى
يستخدمها للقفز صوب الأعلى أو الهبوط نحو الأرض، متفادياً
الهجمات بكل الطرق الممكنة، وعندما وجد نفسه محاصراً من
دون مجال للتحرك استخدم سيفه المشتعل قاطعاً الرمال التي
كانت تتجه إليه، أخيراً تمكن أزيو من الوصول إلى حيث نامار
والبين، ليجد الجان مقيداً بحبال من ورق كما كانت الكثبان
الرملية تغمره مانعة إياه من الحركة، انطلق حينها أزيو نحو البين،
ملوحاً بسيفه صوبه، عليه أن يتخذ نامار، أرجح سيفه المشتعل
نحو البين الذي بعث لخصمه البشري سيلاً من الرمال، إلا أن أزيو
تفادها بالانزلاق من تحتها ثم النهوض بسرعة مُغيراً على البين،
ليصيبه في صدره إصابة بالغة جعلته يترنح للخلف فاقداً تركيزه،

ورقة المبرور
مما جعل الحبال والرمال حول نامار تضعف، مستغلاً هذا حرر
الجان نفسه، ليقف قرب أزيو، فهم الاثنان بعضهما بعضاً من
دون كلمات، فقد علما أنه يتوجب عليهما الهجوم معاً، انطلقا
مسرعين، غير أن البنّ أطلق صرخة عالية هزت الأرجاء كما
الرمال التي بدأت تتحرك مبتلعة أزيو القابع فوقها، مد نامار خيط
دخان بسرعة ممسكاً بأزيو قبل أن تغمره الرمال، ومن خلفهما
سمعا صوت البنّ يتمتم: "أريد قلباً، أريد قلباً، هذا مؤلم." فجأة
توقف البنّ عن الحديث محيلاً عينيه المخيفتين صوب أزيو
ليبتسم ابتسامة جمدت الدماء داخله قائلاً: "أنت تحمل رائحة
البنّ، سأخذ قلبك."

أطلق البنّ مخالفه المصنوعة من لحاء الشجر ثم انطلق حيث
أريو، غير أن نامار كان أسرع منه حيث جذب أزيو من الرمال
بسرعة ليلقي به بعيداً، فيسقط أرضاً، رفع أزيو عينيه بسرعة ليجد
أن مخالف البنّ اخترقت هيئة نامار الدخانية، لم يعلم أزيو إذا
تأذى نامار أم لا، غير أن الجان ما كان ليسمح لنفسه بأن يتأذى
دون جدوى فقد أطلق هو الآخر، أشواك دخان اخترق البنّ الذي
نزف دمماً أسود اللون، حينها مجدداً أطلق البنّ الصرخة ذاتها التي

هزت الأرجاء، ليقذف بـ نامار المصاب بعيداً، في طرفة عين كان
البنّ أمام أزيو موجهًا مخالفه حيث فؤاده، من دهشته لم يتمكن
أزيو من إغماض عينيه، فأمامه أزهرت زهرة كبيرة، إنها نيلوفر
زرقاء، حمته من هجمة البنّ ومن الزهرة نبثت حبال ورقية كما
اندفع سيل من الماء نحو شاوران الذي ابتعد فوراً في سخط
واضطراب، حينها من خلف أزيو أتى صوت مألوف: "شاوران
هذا يكفي".

أحال أزيو عينيه بسرعة لمصدر الصوت، ليجده يقف خلفه،
بنّ صحيح، إنها أول مرة يبصر أحدهم، هل كانوا دائماً بهذا
الجمال؟ لسبب ما لم يدعر أزيو من هذا البنّ، لم يبغضه، في مكان
ما داخل عقله، عرف أزيو هذا المخلوق، هو يبدو مألوفاً لدرجة
الحنين، أردف البنّ: "لقد أحضرت لك ما تتمنى، والآن ابتعد عن
ابني حالاً".

أصدى صوت البنّ في وجدان أزيو فور نطقه كلمة "ابني"
فشهق أزيو بكلمة واحدة: "سابريل؟"

وقبل أن يجيب إذا بوجود يخترق الظلام قائلاً: "شاوران" إنها
جلنار.

جلنار

انطلقت جلنار يحملها سيون بسرعة نحو الصحراء حتى أنهما
قطعا الصحراء لبورسبيا في طرفة عين، لدى وصولهما وجدت أن
المدينة باتت حطامًا، لكن أكثر من ذلك شعرت به، شعرت
بوجود شاوران هنا، بدا مختلفًا بطريقة مؤلمة، فيما همت جلنار
بالركض إلى حيث تعلم أن شاوران سيكون، أمسك سيون بها
قائلًا: "جلنار، سأسألك للمرة الأخيرة، هل أنت مستعدة لما هو
قادم؟ فهناك يوجد الموت."

"أجل أنا مستعدة" أجابت بيقين منقطع النظير

"حسنًا هيا بنا"

انطلقت جلنار إلى حيث شاوران يقودها سيون، ومن حيث
تبصر وجدت أزيو ونامار يقاتلان شاوران الذي لم تعلم كيف
بات مظهره من حيث هي، كانت حركاتهم سريعة، إلا أنه في لمح
البصر، أصاب شاوران نامار، ثم بدأ بالصراخ لتشعر جلنار
بفؤادها يتمزق ألمًا عليه، صراخه لم يكن غضبًا، لم يكن ألمًا،

إنما هو حزن عميق كما حنين لما يجهله، شعرت بمشاعره تعصر داخلها، كما غريزة البقاء تفتك به رغماً عنه، ما أن تلاشت صرخات شاوران حتى اتجه مجابهاً أربو، جذبها سيون لتجد نفسها في طرفة عين وجهها لوجه مع شاوران الذي أوقفه سيون. نظرت جلنار لرفيقها الذي لم تألفه، شعره الذهبي تحول للون الرمادي فاقداً بريقه، عيناه الزمرديتان تحولتا للون الأبيض، الأوراق التي أحاطت جسده ذابت للون الأسود، كما أن بتلات الجلنار القرمزية تحولت لشوك قرمزي مخيف نبت من كل مكان في جسده، ذلك لم يكن شاوران الذي تعرفه وأحبته، إلا أنها لم تستطع منع نفسها من مناداته، لحظة سماعه اسمه انتفض جسده قليلاً، تحركت المزهرة لتقترب منه إلا أن أزيو أمسك معصمها مانعاً إياها، نظرت جلنار إليه ثم حررت يدها من قبضته، خطت نحو محبوبها مجدداً، ليزمجر شاوران عليها، إلا أنها لم تخف، علمت أنه يحذرها من الاقتراب خوفاً عليها، في مكان داخله هو بصارع لحمايتها حتى وهو بهذه الهيئة، فاستمرت بالاقتراب بما يكفي لترمي بنفسها عليه، محتضنة إياه، فتصيبها أشواك شاوران بجروح طفيفة على جسدها إلا أنها لم تأبه أو تتأوه.

"شاوران، لقد اشتقت إليك، لقد اشتقت إليك جداً، أعلم أنك تتألم، أعلم أنك تعاني، لا بأس الآن أنا هنا، لن أدعك تعاني بعد الآن، لن أدعك وحيداً."

من أنفاسه التي كانت عند عنقها سمعته يهمس: "جل..."

لكن قبل أن ينطق اسمها بالكامل إذا بيده تحيط عنقها طارحاً إياها أرضاً، ثم وجهه مخالبه نحوها قائلاً: "أشتم عطر قلبي لديك."

فيما هوت مخالبه عليها لم تشعر بالخوف، أو الغضب، بل راقبت ألم من أحبت أمامها بحزن، وقبيل أن تصيبها مخالب شاوران إذا به يطلق صرخة عالية، حيث إن أزيو انقض عليه من الخلف بسيفه مصيباً ظهره، فترنح شاوران مبعداً يده عن عنق جلنار.

"هذه ستصيب عنقك الآن."

لوح بالسيف نحو عنق شاوران إلا أن جلنار دفعت بجسدها ذراع أزيو التي تحمل السيف فسقط من يديه، حينها وبسرعة حملت جلنار السيف قبل أن يحظى به أزيو، وحالت بينه وبين شاوران.

"ألا يمكنك أن تفهمي!؟ لقد فسد، علينا إراحته من هذا العذاب، هذا ما طلبه مني."

صرخ أزيو على جلنار، وقبل أن تجيب شعرت بطرف السيف من خلفها يتحرك، استدارت بسرعة، لتجد شاوران على ركبتيه واضعاً نصل السيف عند عنقه كمن يطلب منها قتله، تساقطت دموعها أنهاراً قائلة: "شاوران! هذا قاسٍ جداً، لماذا كنت أنت ابن الخاص بي شاوران؟ لماذا جمعتنا الأقدار إن كانت ستفرقنا هكذا؟"

رفعت عينيها ونظرت إليه نظرة كلها رضا وقناعة ثم قالت بكل الحب الذي تحمله في وجدانها له: "أنا سعيدة أني كنت زهرتك شاوران."

في طرفة عين استلت جلنار السيف موجهة إياه نحوها، لتغرزها في أحشائها، فتسقط على ذراع شاوران الذي التقطها، وبما تبقى لديها من قوة وضعت يدها الدامية على وجنته ثم همست بأخر أنفاسها: "شكراً، لأنك علمتني أنه يمكن لسعادة كهذه أن توجد، خذ قلبي فهو لك، شاوران" حينها أغمضت جلنار عينيها للظلام.

شاوران

في ذلك الظلام أحيل كل شيء لعدم، ما عدا صوتاً صغيراً ظل يهمس من حين لآخر: "شافير"، وأحياناً أخرى يهمس: "شاوران" "لا أعلم معنى ما يقال، لا أعلم صاحب الهمسات، إلا أن الصوت حميم، لطيف، كم أحن إليه، لكن ما هو الحنين؟ لماذا يخالجنني؟ هل هذا الحنين لي؟ لا أعلم شيئاً، لا أذكر شيئاً، لا أشعر بشيء غير الوصب الذي يفتك بي، يقودني لحافة الجنون، لكن لا تفقد نفسك ليس بعد، ليس بعد، قليلاً فحسب، تحمل قليلاً فحسب، حتى لا نفقد صوتها، لا تحترق صورتها وذكرياتها، لا نفقدها، أرجوك روجي إن كنت موجودة فتماسكي قليلاً فحسب، لا يمكنني فقدانها الآن."

أخيراً حتى هذه الهمسات اختفت، سابحاً في خواء حميم، فقدت معه روجي، ذكرياتي، كما الرغبة، لتستيقظ الغريزة الهوجاء والنقية، هذه التي أمقتها، وأمقت كل ما أنا عليه.

"أين فؤادي؟ أين هو؟" كل ما عصف في روجي، الرغبة لإيقاف الوصب كما اللمم، إلا أن من يقف في الطريق أعداء

يتعطشون للقتل، كل من يقف في الطريق عدو لا بد من إزالته وقتله، ثم هنالك تلك الرائحة الطفيفة، المألوفة نبض قلب شعرت به من قبل، ذلك الفتى يحمل قلباً بهذا يكفي لإزالة الألم، هذا يكفي للعودة، إلا أن الأعداء كثيرون، والألم لا يتوقف، بل يفتك من الخارج كما الداخل، لا بد من الحصول على القلب، لا بد أن أنجو من أجل أن أكون معها، لكن من هي؟ لا يهم، هي كل ما يهم في هذه الحياة. ثم أزهرت الزهرة المكروهة، نيلوفر زرقاء، هي أصل تعاستنا، هي مسبب موتنا، ومن خلفها أطلت مخلوقة بقليل من الذكريات، لتنطق: "شاوران"، فيرتعش الجسد عند سماع عذب صوتها، كم غلب الشوق لرؤيتك؟

"يجب أن لا تريني هكذا، لا تنظري، لا تري قبحي، وحشيتي، لا تهربي خوفاً مني، أرجوك ابقيني".

إنها تقترب قليلاً، خطوة تتبعها خطوة، تقبل الفتاة مع الذكريات والهمس، ثم ارتمت على الجسد الذي أصابها شوكة بخدوش فتنبع رائحة الأزهار منه، وقبل أن يفقد العقل مجدداً صرحت الفتاة: "اشتقت إليك"

"أنا أيضاً اشتقت إليك، أياً من تكونين"

إلا أن صوت الفؤاد داخلها، كما رائحة الجلنار أفقداني العقل،
أشتم القلب لديك، لا بد من الحصول عليه، هذه الغريزة أقوى
من المقاومة.

"أرجوكم ليوقني أحد، لا أريد إيذاءها، ليس هي."

إذا بالظهر يشق محدثاً نزيفاً مؤلماً، أما الفتاة فهي تمنع
الموت عنك.

"آه، أنا أذكرك الآن، أنت مَنْ مِنْ أجلها أحياء، أنت سعادتي،
وضوئي، أنت جلناري، لأجلك أقسم، لأحي وأمت من أجلك."

قبل قدوم العدم مجدداً، قبل أن يعود الوحش، وبما تبقى في
من إنسانية، ليوضع النصل على العنق، ليتته كل شيء، أما الفتاة
فبكت، إنها تتحدث بكلام جميل مبهم، ثم أصيبت بسيف حاد،
لتطير دماؤها هابطة على جسدي، إنها تهوي، إلا أن الذراع تمتد
ممسكة بها قبل أن تصل إلى الأرض، عادت لتتحدث بما لا
نفهمه، إلا أن اليد تمتد مخرجة الفؤاد داخلها ليعود حيث ينتمي،
فيختفي الوحش، لعله لم يرحل يوماً، لطالما كنت أنا الوحش،
لم أكن مخلوقين يوماً، لطالما كنت وحشاً قبيحاً، مكروهاً.

"جلنار... جلنار... جلنار" لأنك أحسن في بحر كوكبك، أمي

"تساقطت الدموع من عينيك الآن، ما فائدة أن تذكرها بعد أن أخذت فؤادها؟ كيف ستحيا من دونها في هذا العالم؟ هي كل أمانيك، كيف فعلت أمراً كهذا؟ لماذا تحملين وجهاً ينبض بالرضا وابتسامة سعيدة حتى وأنت ميتة؟ جلنار وهبتك قلبي لتزهري وفي آخر عهدنا ستهلكين."

أطلق شاوران كل أساه وألمه في صرخة واحدة، لتبدأ الرمال من تحته بالتحرك مبتلعة إياه مع جلنار حيث يكونان بمفردهما، بعيداً خلف أعين القدر.

أريو

كل شيء حدث بسرعة تفوق قدرة أزيو على التصرف، في لحظة كانت جلنار حية، وبطرفة عين فارقت الحياة، واختفت تحت الرمال التي ابتلعها والبين، خرّ أزيو على ركبتيه من هول ما حدث، كيف يحدث كل هذا أمامه وهو عاجز، من حيث لا يدري أطلق ضحكة حبسها في صميم وجدانه وروحه، شعر أزيو حينها بيد تلمس كتفه ثم صوت يقول له: "أزيو هل أنت بخير؟ لماذا تضحك؟ أزيو أجبني؟" إلا أن ضحكاته ازدادت وتعالّت، ثم أتى صوت نامار الذي اقترب من حيث هما قائلاً: "سيون ما بال ابنك؟ هل فقد الفتى عقله؟"

حينها التقط أزيو أنفاسه مشيراً بيده بالنفي، إلا أنه ما زال يجد الضحكات تخرج من فمه رغماً عنه: "لم أفقد عقلي أيها العظيم نامار... ههه.. لا تقلق لم أجن بعد... لكنني وصلت لحقيقة وواقع... ههه.. أتعرفان ما هما؟" قال أزيو الذي ما فتى يقهقه في حديثه ثم نهض في حركة رشيقة بينما كان يترنح كمن ثمل، ليردف: "تيقنت الآن أني مهرج، أن حياتي كانت سلسلة إخفاقات

بلا نهاية، أفنيت حياتي سعيًا خلف قضية فاشلة، أتعلمان ما
 المضحك من كل هذا؟ أني بدوت أحقق في نظر كليكما، أعني
 انظرا إلي، عقدت سعيي للبحث عن عظيم الجان وعقدت معه
 اتفاقًا، ليتضح لاحقًا أنه مجرد مخادع كبير يعتبرني أضحوكة
 ويتبعني لسبب لا أعلم ما هو حتى، ولست أهتم حقًا، ثم هنالك
 أنت العظيم سابريل أم أن اسمك سيون؟ لا أهتم بأي حال...
 هههه... وثقت بك، تبعتك حيثما أردت، اعتقدت أن بيننا رابطًا
 مميزًا، إلا أنك تخليت عني من دون سبب يُذكر، ثم ها أنت ذا
 أمامي، بهيئة البنّ.... ههههه.... حقًا لا بد أني بدوت كالأحمق
 أمامك، أخبرك عن البنّ الذي قتل والدتي بينما أنك هو، أليس
 كذلك؟ أنت من قتل والدتي، وليس هذا فقط، يتضح أنك
 والدي..... ههههههه.... هذا ما عنته تلك البنّ بالحقيقة التي
 ستمرني... ههههه، لكني بخير... تبين أني أحمل في عروقي دماء
 قدرة، دماء أكثر من أبغض من المخلوقات.... هههه... يا لها من
 مهزلة ممتعة، من كان يظن أن حياتي كلها كانت كذبة كبيرة، أظن
 أنها أكبر كذبة في العالم، بل أتعلمان؟! إنها أكبر كذبة في التاريخ....
 هههه.... وليصبح الأمر أفضل أعتقد أنكما تعرفان بعضكما
 بعضًا بل أكاد أقسم أنكما صديقان..... ههههه.... لا بد أن الأمر

كان ممتعاً جداً لكما.... ههه... السخرية مني.... هههه...
أخبراني هل أقمتما رهاناً لمعرفة إلى أي مدى يمكن أن أخدع؟
إذا فعلتما فأخبراني من منكما الفائز، فأنا أرغب باقتسام الحصيلة
معه.... ههههه..... حقاً هذا ممتع.... ههههه يا لها من حياة."

بدأ أزيو حينها بالسير وهو يضحك مترنحاً، حتى ما عاد يقدر
ليخر على الأرض فاقداً الوعي.

فتح أزيو عينيه ليجد النجوم تلمع فوقه، والأرض فراشه، شعر
بوجود أحد معه إلا أنه لم يهتم للنظر ومعرفة من يكون، اكتفى
فقط بالنهوض من حيث هو بادئاً السير.

"أريو، أين تذهب؟"

لم يجب أزيو فقط استمر بالسير.

"أزيو دعنا نتحدث."

دون أن ينظر أجاب أريو: "فقدنا فرصة الحوار منذ أمد
سابريل، ارحل عني ولنمضِ كُلُّ في طريق كما كنا، لا يهمني ما
لديك، لا أريد أن أسمع شيئاً، فلن أثق حتى بأنفاسك الصامتة،
أخبر صديقك نأمار أني أنهيت العقد بيننا."

على مشارف بابل، أقبل الجنود ممسكين بأزئو ملقين القبض عليه، إلا أنه لم يقاوم أحداً تاركاً إياهم يجرونه إلى حيث أرادوا، بعد بضعة أيام تم جر جسده المتهالك من كثر الضرب نحو قاعة المحاكمة حيث التهم بيّنة، خداع السحرة والكهنة، عقد صفقات لإيذاء سكان بابل، السرقة من النبلاء، إحضار كما إيواء مزهرة في بابل، لم يهتم أزئو حقاً بما يحدث أو يقال، ليكن ما يكون، لعل الموت هو خلاصه من هذا العالم الأكذوبة، لينص الحكم بعقوبة الموت حرقاً عليه. أتى يوم العقاب، تم استيقاق أزئو في شوارع بابل وهو مكبل اليدين وحبل عقد في عنقه امتد طرفه ليد جلاده الذي اقتاده حيث منصة الحرق، تعالت أصوات الاستهجان له، قام البعض بإلقاء الحجار عليه، آخرون بصقوا نحوه، فضلاً عن القاذورات التي رميت في اتجاهه، لا شيء يهم حقاً. لدى وصولهم للمنصة صعد أزئو الدرجات نحو جذع الشجرة التي انتصفت المنصة، ليتم تقييده بإحكام فيها، اقترب منه منفذ الحكم واطعاً الحطب عند قدمه، ثم سكب الزيت عليه؛ في مكان ما داخله شعر بالراحة لمفارقة هذه الحياة، هو متعب جداً، لم يعد يحتمل، جل ما يريد هو الخلاص. من بين الحشود التي تُطالب بقتله، أصدى صوت: "إن كان سيعاقب بالموت، فليكن الموت

هو جزائي أيضاً، هو تلميذي وكل ذنوبه أتت لاني لم أكن معلماً جيداً. " نظر أزيو ليجد معلمه يطالب بالموت معه، حينها وجدت الدموع طريقها لعينيه ليجهش بالبكاء ندماً على خيانه معلمه، إلا أن غضب المتجمهرين أحيل نحو معلمه العجوز، وفي مرأى من عينيه، رأى الحشد ينهالون عليه بالضرب ليخر الشيخ أرضاً، إلا أن هذا لم يكفهم ليبدؤوا بركله كما الدوس عليه، كل صرخات وتوسلات أزيو لهم ليتوقفوا لم تجد أذناً تسمع، حتى التقط الشيخ آخر أنفاسه تحت أقدامهم.

"أحرقني! لتُحرقني وتوقف عذابي، أرجوك لأمت." ناشد أزيو جلاده للموت، حينها حمل الرجل شعلة من نار وأشعل بها الحطب ليحاط أزيو بالنار، ثم أغمض عينيه مرحباً بالموت.

من بين النار تصاعد دخان أسود كثيف غطى الأرجاء أعمى الحضور، ليبدؤوا بالصراخ والركض في الأرجاء، أما أزيو فقد شعر بالاختناق إنما لم تكن النار أو دخانها هما السبب، ليسمع صوتاً يقول له: "أنت حقاً أحمق يا فتى، لماذا ترغب بالموت بهذه الطريقة الجوفاء؟"

فتح أزيو عينيه ليجد نامار أمامه فاستشاط غضبًا ملوحًا قبضته نحو نامار الذي تفاداه لمجرد اللهو فقط فما كانت قبضة البشري لتصيبه، حينها سقط أزيو أرضًا ليصرخ: "ما الذي تريده نامار؟ لماذا أنقذتني؟ أنا أردت الموت، ما لك أن تتدخل مانعًا الموت عني؟ هل طلب منك الأب المزعوم سابريل أن تنقذني؟"
"يا فتى، ما زلت يافعًا لا تعرف شيئًا..."

"لست مهتمًا بمعرفة أي شيء، ارحل عني."

"سأرحل كما ترغب، فلدي أنا الآخر أمور مهمة، وقصص من الماضي علي معرفتها، لكن إليك الأمر أيها الفتى صدق أو لا، أنت تعني العالم كله لـ سيون، كل ما فعله في الماضي، وكل ما يفعل الآن هو من أجلك أنت وحدك، تذكر هذا."

حينها تلاشى نامار تاركًا أزيو في مكان لا يعلمه، نظر حوله ليجد نفسه محاطًا بالأشجار من كل مكان، تحرك من حيث هو لعله يجد معلمًا يخبره بمكانه، إلا أنه تفاجأ ليجد أنه على جرف جبل يقبع أمامه أجمل منظر رآه، لعل هذا ما يقال عنه بحر، نظر من حوله مجددًا ليرى أنه على أرض مليئة بقمم الجبال الخضراء، نانت الأرض صغيرة فتمكن من رؤية البحر يحيطها من كل

مكان، حيث وقف أزيو رأى أن الجبال كادت أن تلتصق مغلقة على نفسها لولا وجود خواء كبير في المنتصف مما سمح لمياه البحر بالدخول مشكلة شبه دائرة في منتصف الأرض،^(١) كم كان المشهد خلاباً، لعله يجد هنا السلام الذي يصبو إليه.



(١)

هجناء

لا يذكر أزيو كم مضى على وجوده في منفاه، توقف عن العد بعد أن تجاوز المئة عام، نبذه نامار هنا قبل ما يزيد على القرن ليقضي أيامه في وحدة وخلوة، هذه الجزيرة الخالية من البشر كانت منفاه.

إلا أن كل هدوئه سُلب منه ذات يوم عندما ظهر دخان مشؤوم كما مألوف أمامه، ليتفرض أزيو فزعاً من مكانه.

"أحتاج مساعدتك لإيجاد سيون." كان هذا نامار يقف أمامه بهيئته ذاتها التي رآها أزيو آخر مرة.

"ليس لي شأن بكم نامار، فلم أساعدك؟"

"العالم على مشارف حرب كبيرة بين المخلوقات جمعاء، حرب يقودها - هم - وأعني بذلك أورا ومن يتبعها من البن والهجناء"